حَيَوَانَاتٌ و حِكَايَاتٌ

الجُزْءُ الأَوَّلُ

إعداد

أ. د. علي راشد

الحائز على جائزة الدولة التشجيعية
في أدب الأطفال

رسوم

أحمد عبد النعيم

الدار النموذجية للطباعة والنشر

صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: 11/558
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
بوليفار د. تريه البرزي - ص.ب: 221
تلفاكس: 720624 - 729259 - 00961 7 729261
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
مكفر جرة - طريق عام صيدا جزين
00961 7 230841 - 07 230195
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى
2015 - 1436 هـ

Copyright© all rights reserved
جميع الحقوق محفوظة للناشر
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب او اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على اي نحو او باي طريقة سواء كانت الكترونية أو بالتصوير أو التسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

E. Mail alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

المحتويات

مُقَدِّمَةٌ 4

مُتْحَفُ الأَحْيَاءِ المَائِيَّةِ 5

أَوَّلا : الْحُوتُ 6

ثَانِيًا : الدُّلْفِينُ 16

ثَالِثًا : سَمَكَةُ القِرْشِ 26

رَابِعًا : التِّمْسَاحُ 36

خَامِسًا : الثُّعْبَانُ 46

سَادِسًا : السُّلَحْفَاةُ 56

سَابِعًا : فَرَسُ النَّهْرِ 64

ثَامِنًا : الفُقْمَةُ (كَلْبُ البَحْرِ) 74

تَاسِعًا : الضِّفْدَعَةُ 84

عَاشِرًا : الحِرْبَاءُ 94

مُقَدِّمَةٌ

اجْتَمَعَ الأَصْدِقَاءُ (فَرِيدَةُ ـ رَنَا ـ شَهْدٌ ـ نَدَى ـ بَاسِلٌ ـ نَدِيمٌ ـ مُرَادٌ ـ مُعَاذٌ)، وَجَلَسُوا يَتَنَاقَشُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَوْلَ كَيْفِيَّةِ الاسْتِفَادَةِ مِنَ الإِجَازَةِ الصَّيْفِيَّةِ.

قَالَتْ «فَرِيدَةُ» فِي تَسَاؤُلٍ:

- وَالآنَ.. مَاذَا سَتَتَعَلَّمُ؟ وَإِلَى أَيْنَ سَنَذْهَبُ؟

أَجَابَ «بَاسِلٌ» بَعْدَ تَفْكِيرٍ وَتَأَمُّلٍ:

- نَحْنُ يَنْقُصُنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ وَنَكْتَسِبَ مَعَارِفَ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِيَّةِ.

وَأَكْمَلَتْ «رَنَا» بَعْدَ أَنْ أُعْجِبَتْ بِرَأْيِ «بَاسِلٍ»:

- وَأَيْضًا، نُرِيدُ أَنْ نَعْرِفَ شَيْئًا عَنِ الزَّوَاحِفِ.

قَالَ «نَدِيمٌ»:

- وَكَذَلِكَ نُرِيدُ أَنْ نَتَعَلَّمَ وَنَكْتَسِبَ مَعَارِفَ عَنِ البَرْمَائِيَّاتِ.

اشْتَرَكَ «مُرَادٌ» فِي الْحَدِيثِ، وَسَأَلَ:

- وَكَيْفَ نَتَعَلَّمُ وَنَكْتَسِبُ الْخِبْرَاتِ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ البَحْرِيَّةِ؟

فَكَّرَتْ «نَدَى» قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَتْ فِي سُرُورٍ، وَكَأَنَّمَا وَجَدَتْ شَيْئًا ضَاعَ مِنْهَا:

- وَجَدْتُهَا.. وَجَدْتُهَا.. لِنَذْهَبْ إِلَى مُتْحَفِ الْأَحْيَاءِ المَائِيَّةِ.

صَفَّقَ «مُعَاذٌ» لِفِكْرَةِ «نَدَى» مُبْتَسِمًا، وَقَالَ:

- رَائِعٌ يَا «نَدَى».. أَحْسَنْتِ التَّفْكِيرَ.. وَخَاصَّةً أَنَّ لَنَا جَارًا يُدْعَى الدُّكْتُور «مَرْعِي» يَعْمَلُ مُدِيرًا لِمُتْحَفِ الْأَحْيَاءِ المَائِيَّةِ، وَأَظُنُّ أَنَّهُ لَنْ يَبْخَلَ عَلَيْنَا بِالمَعَارِفِ وَالمَعْلُومَاتِ الخَاصَّةِ بِالْحَيَوَانَاتِ البَحْرِيَّةِ.

وَتَفَرَّقَ الْأَصْدِقَاءُ بَعْدَ أَنِ اتَّفَقُوا عَلَى اللِّقَاءِ عِنْدَ بَابِ مُتْحَفِ الْأَحْيَاءِ المَائِيَّةِ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي.

مُتْحَفُ الأَحْيَاءِ المَائِيَّة:

وَفِي صَبَاحِ اليَوْمِ التَّالِي، الْتَقَى الأَصْدِقَاءُ عِنْدَ بَابِ «مُتْحَفِ الأَحْيَاءِ المَائِيَّةِ»، وَهُنَاكَ كَانَ فِي اسْتِقْبَالِهِمُ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» وَالمُشْرِفَةُ «هِبَةُ»، وَحَيَّاهُمُ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» قَائِلًا:

- أَهْلًا أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ الأَعِزَّاءُ فِي مُتْحَفِ الأَحْيَاءِ المَائِيَّةِ.. هَذَا المُتْحَفُ يَضُمُّ مِئَاتٍ مِنْ أَنْوَاعِ الأَسْمَاكِ وَالْحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِيَّةِ، كَمَا يَتَضَمَّنُ هَيَاكِلَ عَظْمِيَّةً لِلْحِيتَانِ وَسَمَكِ القِرْشِ المُتَوَحِّشِ، وَعِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ هُنَاكَ بُحَيْرَةً كَبِيرَةً يُوجَدُ بِهَا عِدَّةُ دَلَافِينَ تُؤَدِّي بِمَهَارَةٍ عُرُوضًا سَتُدْهِشُونَ لِرُؤْيَتِهَا.

وَقَدَّمَتِ المُشْرِفَةُ «هِبَةُ» نَفْسَهَا لِلْأَصْدِقَاءِ وَقَالَتْ:

- أَنَا المُشْرِفَةُ «هِبَةُ»، وَأَعْمَلُ مُسَاعِدَةً لِلدُّكْتُورِ «مَرْعِي»، وَيُسْعِدُنِي أَنْ أُرَافِقَكُمْ فِي جَوْلَتِكُمْ بِالْمُتْحَفِ؛ لِأُوَضِّحَ وَأُقَدِّمَ لَكُمْ مَعْلُومَاتٍ وَمَعَارِفَ تَخُصُّ هَذِهِ الْأَسْمَاكَ وَتِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ البَحْرِيَّةَ.

قَالَ «بَاسِلٌ»:

- لَقَدْ جِئْنَا إِلَى مُتْحَفِ الأَحْيَاءِ المَائِيَّةِ هَذَا؛ مِنْ أَجْلِ التَّعَرُّفِ عَلَى الْحَيَوَانَاتِ البَحْرِيَّةِ الْكَبِيرَةِ مِثْلَ: الْحُوتِ، وَالدُّلْفِينِ، وَسَمَكِ القِرْشِ.

ابْتَسَمَ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» وَقَالَ:

- وَهُوَ كَذَلِكَ.. فَلْنَبْدَأْ بِالْحُوتِ؛ لِأَنَّهُ يُعَدُّ مِنْ أَكْبَرِ الْحَيَوَانَاتِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

أَوَّلًا: الْحُوتُ

أَخَـذَ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» وَالمُشْـرِفَةُ «هِبَةُ» الأَصْدِقَاءَ إِلَى مِنْطَقَةٍ خَلْفِيَّـةٍ لِلْمُتْحَفِ، فَإِذَا بِهِمْ يُشَـاهِدُونَ هَيْكَلًا عَظْمِيًّا ضَخْمًا لِلْغَايَةِ لِحُوتٍ، فَهَالَهُمْ كِبَرُ وَ ضَخَامَةُ هَذَا الْهَيْكَلِ الْعَظِيمِ.

وَصَدَرَتْ عَنِ الأَصْدِقَاءِ هَمْهَمَاتٌ وَصَيْحَاتٌ مَكْبُوتَةٌ مِنْ هَوْلِ مَا يُشَـاهِدُونَهُ، وَأَخَذَ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» يُوَضِّحُ لِلْأَصْدِقَاءِ مَعَارِفَ وَمَعْلُومَاتٍ عَنِ الحُوتِ، فَقَالَ:

- هَـذَا هَيْكَلٌ عَظْمِيٌّ لِلْحُـوتِ الْأَزْرَقِ، وَهُوَ مِنْ أَضْخَمِ الْحَيَوَانَـاتِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ؛ حَيْـثُ يَصِـلُ طُولُـهُ إِلَى أَكْثَـرَ مِـنْ 30 مِتْرًا، وَرَأْسُـهُ رُبْـعُ جِسْـمِهِ طُـولًا، وَوَزْنُ لِسَـانِهِ يُقَدَّرُ بِوَزْنِ فِيلٍ كَبِيرٍ.

ضَحِكَ الأَصْدِقَاءُ مِنْ هَذِهِ الملْحُوظَةِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُـونَ أَنَّ وَزْنَ الفِيـلِ الْكَبِيـرِ حَوَالَيْ 400 كِيلُو جِـرَام.

وَأَكْمَلَ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» قَائِلًا:

- وَهُـوَ أَضْخَمُ أَنْـوَاعِ الحِيتَانِ عَلَى الإِطْلَاقِ، وَهُـوَ عَدِيـمُ الْأَسْـنَانِ، وَتُوجَـدُ بَـدَلًا مِنْهَا أَلْـوَاحٌ كَثِيـرَةٌ جِدًّا مِنْ

التَّصْنِيفُ الْعِلْمِيُّ:

المَمْلَكَةُ : الحيوانيَّةُ.

الصِّنْفُ : الثَّدْيِيَّاتُ البَحْرِيَّةُ.

الرُّتْبَةُ : الحيتانُ.

أَلْوانُه : الْحُوتُ الأَزْرَقُ ـ الحُوتُ الأَسْوَدُ ـ الحُوتُ الأَبْيَضُ ـ الحُوتُ الزِّمَادِيُّ ـ الحُوتُ السَّفَّاحُ (أَسْوَدُ به مَناطِقُ بَيْضاءُ).

معلومة تهمك

- الْحُوتُ لَيْسَ مِنَ الْأَسْمَاكِ، فَهُوَ حَيَوَانٌ ثَدْيِيٌّ يَلِدُ وَيُرْضِعُ صِغَارَهُ، وَيَتَنَفَّسُ الْهَوَاءَ؛ لِذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ الْبَقَاءَ تَحْتَ الْمَاءِ لِوَقْتٍ طَوِيلٍ. وَالْحُوتُ هُوَ أَكْبَرُ الْحَيَوَانَاتِ حَجْمًا؛ فَالْحُوتُ الْأَزْرَقُ يَفُوقُ حَجْمُهُ حَجْمَ فِيلٍ كَبِيرٍ بِـ 25 مَرَّةً، وَيَزِيدُ طُولُهُ عَلَى 30 مِتْرًا، وَمُتَوَسِّطُ وَزْنِهِ 150 طُنًّا.
- يَسْبَحُ الْحُوتُ عَلَى سَطْحِ مِيَاهِ الْبِحَارِ وَالْمُحِيطَاتِ بِسُرْعَةٍ تَتَرَاوَحُ مِنْ 20 ـ 50 كِيلُو مِتْرًا فِي السَّاعَةِ

مَادَّةَ «البِلِين»، وَالَّتِي تُسَمَّى أَيْضًا «عَظْمَ فَكِّ الْحُوتِ»، وَهِيَ مُعَلَّقَةٌ فِي سَقْفِ فَمِهِ، وَيَلْتَقِطُ بِهَا الْغِذَاءَ.

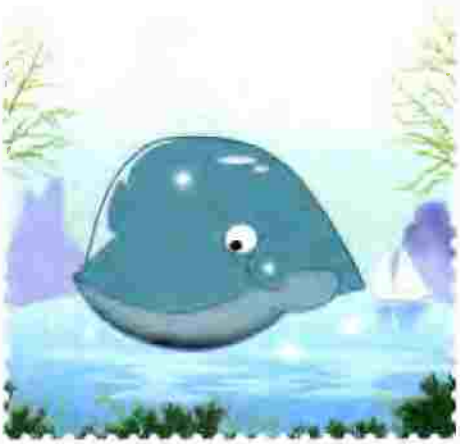

و«البِلِينُ» مَادَّةٌ تُشْبِهُ البِلاَسْتِيكَ. وَقَلْبُ الْحُوتِ فِي حَجْمِهِ وَوَزْنِهِ يُمَاثِلُ حَجْمَ خَمْسَةِ رِجَالٍ يَزِنُ الوَاحِدُ مِنْهُمْ 25 كِيلُوجِرَامًا، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ وَزْنَ قَلْبِهِ مِثْلَ وَزْنِ لِسَانِهِ ـ حَوَالَيْ 450 كِيلُو جِرَامًا.

تَسَاءَلَتْ «رَنَا» قَائِلَةً:

- وَمَاذَا عَنْ جِلْدِ الْحُوتِ؟

أَجَابَتِ الْمُشْرِفَةُ «هِبَةُ»:

- لِلْحُوتِ جِلْدٌ نَاعِمٌ خَالٍ مِنَ الشَّعْرِ تَقْرِيبًا، وَتَحْتَ هَذَا الْجِلْدِ طَبَقَةٌ سَمِيكَةٌ مِنَ الدُّهْنِ، تُسَاعِدُهُ عَلَى الاِحْتِفَاظِ بِحَرَارَةِ جَسَدِهِ حَتَّى فِي أَعْمَاقِ الْبِحَارِ الْبَارِدَةِ جِدًّا. وَيَخْتَلِفُ لَوْنُ الْجِلْدِ مِنْ نَوْعٍ إِلَى آخَرَ مِنْ أَنْوَاعِ الْحِيتَانِ.

سَأَلَ «مُرَادٌ»:

- مَاذَا يَأْكُلُ الْحُوتُ؟ وَمَا مُتَوَسِّطُ عُمْرِهِ؟

رَدَّ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» قَائِلًا:

- تَأْكُلُ الْحِيتَانُ الْكَبِيرَةُ جَمَاعَاتِ الرُّبْيَانِ الكريل (الْجَمْبَرِي)، حَتَّى إِنَّ الْحُوتَ يَلْتَقِطُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ 4 مَلَايِينَ مِنَ الرُّبْيَانِ، وَهِيَ القِشْرِيَّاتُ، حَيْثُ يَقُومُ الْحُوتُ بِنَفْخِ فُقَّاعَاتٍ ضَخْمَةٍ وَهُوَ يَصْعَدُ بِشَكْلٍ لَوْلَبِيٍّ مِنْ تَحْتِ هَذَا التَّجَمُّعِ الْهَائِلِ لِلرُّبْيَانِ، فَتُحْدِثُ هَذِهِ

في مَجْمُوعَاتٍ صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ، وَتَبْدَأُ الْأُنْثَى فِي الْحَمْلِ وَهِيَ فِي عُمْرٍ مِنْ 5 ـ 10 سَنَوَاتٍ، وَتَضَعُ مَوْلُودًا وَاحِدًا كُلَّ سَنَتَيْنِ أَوْ 3 سَنَوَاتٍ، بَعْدَ فَتْرَةِ حَمْلٍ تَبْلُغُ مِن 10 ـ 11 شَهْرًا.

مِنَ الْمُؤْسِفِ أَنَّ شَرِكَاتِ صَيْدِ الْأَسْمَاكِ جَارَتْ عَلَى الْحُوتِ الْأَزْرَقِ، فَفِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ اصْطَادَتْ أَعْدَادًا هَائِلَةً مِنْهُ وَصَلَتْ إِلَى أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنَ الْحِيتَانِ الزَّرْقَاءِ فَقَطْ، حَتَّى أَوْشَكَ هَذَا النَّوْعُ الْعِمْلَاقُ

الْفُقَّاعَاتُ دَوَّامَاتٍ تَدْفَعُ الرُّبْيَانَ إِلَى مَرْكَزِهَا، حَيْثُ يَلْتَهِمُهَا الْحُوتُ دُفْعَةً وَاحِدَةً.

أَمَّا عَنْ مُتَوَسِّطِ عُمْرِ الْحُوتِ، فَيَتَرَاوَحُ مِنْ 30 إِلَى 80 سَنَةً حَسَبَ نَوْعِ الْحُوتِ.

وَفِي حُبِّ اسْتِطْلَاعٍ تَسَاءَلَتْ «شَهْدٌ» قَائِلَةً:

- إِذَا كَانَ الْحُوتُ يَتَنَفَّسُ الْهَوَاءَ مِثْلَنَا، فَكَيْفَ لَهُ أَنْ يَغُوصَ فِي أَعْمَاقِ الْبِحَارِ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ؟

قَالَتِ الْمُشْرِفَةُ «هِبَةُ»:

- لِلْحُوتِ رِئَتَانِ ضَخْمَتَانِ، فَإِذَا صَعِدَ إِلَى سَطْحِ الْبِحَارِ أَخَذَ كَمِّيَّةً هَائِلَةً مِنَ الْهَوَاءِ تَكْفِيهِ لِأَنْ يَبْقَى فِي الْأَعْمَاقِ السَّحِيقَةِ لِأَكْثَرَ مِنْ سَاعَةٍ، وَعِنْدَمَا يَصْعَدُ إِلَى السَّطْحِ مَرَّةً أُخْرَى، فَإِنَّهُ يَنْفُثُ هَوَاءَ الزَّفِيرِ عَلَى شَكْلِ نَافُورَةٍ ضَخْمَةٍ عَالِيَةٍ بِسَبَبِ سُخُونَةِ هَذَا الزَّفِيرِ، وَالَّذِي يُقَابِلُ الْهَوَاءَ الْبَارِدَ، ثُمَّ يَتَنَفَّسُ نَفَسًا عَمِيقًا بِهَوَاءِ الشَّهِيقِ لِيَغُوصَ مِنْ جَدِيدٍ. وَتُشَاهَدُ سَحَابَةُ الْبُخَارِ الصَّادِرَةُ مِنْ مِنْخَارِ الْحُوتِ مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ.

وَيُمْكِنُ التَّعَرُّفُ عَلَى نَوْعِ الْحُوتِ مِنْ حَجْمِ سَحَابَةِ الْبُخَارِ الَّتِي تَصْدُرُ عَنْ مِنْخَارِهِ، وَالَّذِي يُوجَدُ عَلَى سَطْحِ رَأْسِهِ.

قَالَ «نَدِيمٌ»:

- أَوَدُّ أَنْ أَسْتَزِيدَ مَعْرِفَةً بِأَنْوَاعِ الْحِيتَانِ مِنْ فَضْلِكَ يَا دُكْتُورُ «مَرْعِي».

معلومة نهمك

مِنَ الْحِيتَانِ عَلَى الِانْقِرَاضِ. وَقَدْ تَمَّ إِصْدَارُ قَوَانِينَ دَوْلِيَّةٍ بِتَحْرِيمِ صَيْدِ هَذِهِ الْحِيتَانِ لِلْحِفَاظِ عَلَيْهَا.

- عِنْدَمَا تَحِينُ وِلَادَةُ حُوتٍ صَغِيرٍ، تُسَاعِدُ الْحُوتَ الْأُمَّ حُوتٌ أُخْرَى فِي رَفْعِ الْمَوْلُودِ إِلَى سَطْحِ الْمَاءِ لِيَتَنَفَّسَ. وَيَتَضَاعَفُ وَزْنُ الصَّغِيرِ فِي الْأَسَابِيعِ الْأُولَى، وَيَتَغَذَّى عَلَى حَلِيبِ الْأُمِّ لِمُدَّةِ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ إِلَى أَنْ يُصْبِحَ طُولُهُ 15 مِتْرًا. وَيَشْرَبُ صَغِيرُ الْحُوتِ الْأَزْرَقِ 600 لِتْرٍ مِنَ الْحَلِيبِ فِي الْيَوْمِ.

ابْتَسَمَ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» وَقَالَ:

- حَسَنًا.. مِنْ أَشْهَرِ أَنْوَاعِ الْحِيتَانِ: الْحُوتُ الْأَزْرَقُ، وَالَّذِي يُعَدُّ مِنْ أَضْخَمِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُنَاكَ الْحُوتُ الْأَبْيَضُ، وَهُوَ يَعِيشُ فِي السَّوَاحِلِ الْقُطْبِيَّةِ لِقَارَّاتِ أُورُبَّا، وَآسْيَا، وَأَمْرِيكَا الشَّمَالِيَّةِ. وَجِسْمُهُ صَغِيرٌ نِسْبِيًّا، حَيْثُ يَبْلُغُ طُولُهُ حَوَالَيْ 6 أَمْتَارٍ، وَيَزِنُ حَوَالَيْ 1500 كِيلُو جِرَامٍ، وَهُوَ مِنَ الْحِيتَانِ الَّتِي لَهَا أَسْنَانٌ (من 8 ـ 10 في كُلِّ فَكٍّ مِنْ فَكَّيْهِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ)، وَهُوَ يَعِيشُ فِي جَمَاعَاتٍ كَبِيرَةٍ يَتَرَاوَحُ عَدَدُ أَفْرَادِهَا مِنْ 20 وَحَتَّى 100 حُوتٍ، وَالْحُوتُ الْأَبْيَضُ يُشَاهَدُ أَحْيَانًا فِي الْأَنْهَارِ الْكَبِيرَةِ.

وَهُنَاكَ أَيْضًا الْحُوتُ الْأَسْوَدُ، وَالْحُوتُ الرَّمَادِيُّ. أَمَّا الْحُوتُ الْقَاتِلُ ـ وَيُسَمَّى أَحْيَانًا بِالْحُوتِ السَّفَّاحِ أَوِ «الْأَرَكَةِ»، وَهُوَ دُلْفِينٌ لَوْنُهُ أَسْوَدُ وَبِهِ بُقَعٌ بَيْضَاءُ ـ فَيَعِيشُ فِي مَجْمُوعَاتٍ تُسَمَّى «أَسْرَابًا» وَتَصْطَادُ مَعًا، وَهُوَ مَشْهُورٌ بِشَرَاسَتِهِ. وَهُوَ يَأْكُلُ السَّمَكَ وَالْحَبَّارَ وَطُيُورَ الْبَحْرِ، وَالْفُقْمَةَ (كَلْبَ الْبَحْرِ)، كَمَا أَنَّهُ يَأْكُلُ الدَّلافِينَ وَالْحِيتَانَ الْأُخْرَى، وَلِذَا سُمِّيَ بِالْحُوتِ السَّفَّاحِ.

- تَتَبَاهَى ذُكُورُ الْحِيتَانِ أَمَامَ الْإِنَاثِ بِسِبَاقَاتٍ فَائِقَةِ السُّرْعَةِ، وَأَحْيَانًا بِالْعِرَاكِ. وَتَلْعَبُ الْأُنْثَى مَعَ الذَّكَرِ عِنْدَ التَّغَازُلِ، فَيُدَاعِبُهَا بِرَأْسِهِ فِي حَنَانٍ، وَأَحْيَانًا يَقْفِزَانِ مَعًا أَعْلَى سَطْحِ الْمَاءِ عِنْدَ التَّزَاوُجِ.
- يَصْدُرُ عَنِ الْحِيتَانِ صَفِيرٌ قَوِيٌّ يُشْبِهُ رَنِينَ الْأَجْرَاسِ، وَهُوَ أَشْبَهُ بِالْغِنَاءِ. وَتَتَخَاطَبُ الْحِيتَانُ مَعًا عَبْرَ مَسَافَاتٍ طَوِيلَةٍ، وَلِكُلِّ صَوْتٍ أُغْنِيَةٌ مُعَيَّنَةٌ وَمُمَيَّزَةٌ. وَيُلَاحَظُ أَنَّ هَذِهِ الدَّوَّامَاتِ وَالطَّقْطَقَاتِ الصَّغِيرَةَ تَكُونُ أَوْضَحَ فِي فَصْلِ التَّزَاوُجِ.

أَطْرَقَتِ الْمُشْرِفَةُ «هِبَةُ» بِرَأْسِهَا، وَظَهَرَ عَلَى وَجْهِهَا كَأَنَّهَا تَتَذَكَّرُ شَيْئًا مَا، وَقَالَتْ:

- تَذَكَّرْتُ الْآنَ رِوَايَةً مَشْهُورَةً قَرَأْتُهَا مُنْذُ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ، اسْمُهَا «موبي ديك» عَنْ صَيْدِ الْحِيتَانِ، وَهِيَ مِنْ أَجْمَلِ رِوَايَاتِ الْأَدَبِ الْعَالَمِيِّ، كَتَبَهَا الْمُؤَلِّفُ الْأَمْرِيكِيُّ «هيرمان ملفيل» مُنْذُ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَاعْتُبِرَتْ مِنْ أَرْوَعِ الرِّوَايَاتِ الْعَالَمِيَّةِ، رَغْمَ أَنَّهَا لَمْ تُعْرَفْ إِلَّا بَعْدَ وَفَاةِ مُؤَلِّفِهَا.

اسْتَأْذَنَ «مُعَاذٌ» فِي الْحَدِيثِ مُوَجِّهًا كَلَامَهُ لِلْمُشْرِفَةِ «هِبَةَ»، فَقَالَ:

- هَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تُعْطِينَا مُلَخَّصًا عَنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ الْعَالَمِيَّةِ؟

ابْتَسَمَتْ «هِبَةُ» وَقَالَتْ:

- عَلَى الرُّحْبِ وَالسَّعَةِ.. «موبي ديك» هَذَا اسْمُ حُوتٍ أَبْيَضَ، كَانَ يُهَاجِمُ الْبَحَّارَةَ فِي سُفُنِهِمْ وَقَوَارِبِ صَيْدِهِمْ، فَيَقْضِي عَلَيْهِمْ فِي الْحَالِ. وَذَاتَ مَرَّةٍ هَجَمَ «موبي ديك» عَلَى سَفِينَةِ صَيْدٍ فَأَغْرَقَ جَمِيعَ الْبَحَّارَةِ، وَقَضَمَ سَاقَ الْقُبْطَانِ، وَالَّذِي يُدْعَى «إِهَابَ»، وَالَّذِي نَجَا بِأُعْجُوبَةٍ، وَلَكِنَّهُ فَقَدَ سَاقَهُ.

صَمَّمَ «إِهَابُ» عَلَى أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْ هَذَا الْحُوتِ الرَّهِيبِ وَيَقْتُلَهُ. وَبَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ كَانَ هَذَا الْقُبْطَانُ يَقُودُ سَفِينَةً يَمْتَلِكُهَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ أَجْلِ صَيْدِ الْحِيتَانِ الْغَنِيَّةِ بِالزَّيْتِ وَالدُّهْنِ وَاللَّحْمِ، وَبَيْعِ كُلِّ هَذَا، وَتَوْزِيعِ ثَمَنِهِ عَلَى الْمُسَاهِمِينَ، وَلَكِنَّ «إِهَاب» جَاءَ لِيَقُودَ هَذِهِ السَّفِينَةَ لِيَعْثُرَ عَلَى الْحُوتِ الَّذِي قَضَمَ سَاقَهُ مُتَجَاهِلًا مَصَالِحَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَاسْتَمَرَّ الْبَحْثُ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ، وَالسَّفِينَةُ تَجُوبُ الْمُحِيطَاتِ بَحْثًا عَنْ «موبي ديك»!

وَأَخِيرًا تَمَّ الْعُثُورُ عَلَى الْحُوتِ الضَّخْمِ، وَبَدَأَتْ مَعْرَكَةُ صَيْدِهِ، وَأَطْلَقَ الْقُبْطَانُ «إِهَابُ» رُمْحَهُ إِلَى جَسَدِ الْحُوتِ، وَهُوَ يَصِيحُ فِي فَرْحَةٍ: دَنَتْ سَاعَتُكَ يَا «موبي ديك»، وَحَانَ وَقْتُ الِانْتِقَامِ. وَلَكِنَّ الْحُوتَ كَانَ غَايَةً فِي الشَّرَاسَةِ، فَهَجَمَ عَلَى السَّفِينَةِ لِيَشُقَّهَا إِلَى نِصْفَيْنِ وَلِيُغْرِقَ جَمِيعَ الْبَحَّارَةِ، أَمَّا الْقُبْطَانُ «إِهَابُ» فَقَدِ الْتَفَّ حَبْلُ رُمْحِهِ عَلَى رَقَبَتِهِ، وَسَحَبَ الْحُوتُ الْقُبْطَانَ بِعُنْفٍ فَشَنَقَهُ بِالْحَبْلِ، ثُمَّ أَخَذَهُ إِلَى قَاعِ الْمُحِيطِ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْ هَذِهِ الْمَأْسَاةِ سِوَى بَحَّارٍ وَاحِدٍ، هُوَ الَّذِي حَكَى لِأَبْنَاءِ بَلْدَتِهِ مَا حَدَثَ مِنْ «موبي ديك» لِلْقُبْطَانِ «إِهَابَ».

تَسَاءَلَتْ «نَدَى» قَائِلَةً:

- قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْمَجَلَّاتِ عَنْ صَيْدِ الْحِيتَانِ، وَالْعَائِدِ الِاقْتِصَادِيِّ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الصَّيْدِ، لِذَلِكَ أَوَدُّ مَعْرِفَةَ الْمَزِيدِ عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ.

ابْتَسَمَتِ الْمُشْرِفَةُ «هِبَةُ» وَقَالَتْ:

- حَسَنًا.. تَعَرَّضَتِ الْحِيتَانُ قَدِيمًا لِلصَّيْدِ لِلِاسْتِفَادَةِ مِنْ لُحُومِهَا وَدُهُنِهَا - وَالَّذِي يُسْتَخْدَمُ فِي صِنَاعَةِ الشُّمُوعِ - وَزَيْتِ كَبِدِ الْحُوتِ الْغَنِيِّ بِالْفِيتَامِينَاتِ، وَكَذَلِكَ الِاسْتِفَادَةِ صِنَاعِيًّا مِنْ عَظْمِهَا. وَأَيْضًا بِسَبَبِ تَعَرُّضِ قَوَارِبِ صَيْدِ الْأَسْمَاكِ لِهَجَمَاتِ الْحِيتَانِ. وَمُؤَخَّرًا حَظَرَتْ بُلْدَانٌ كَثِيرَةٌ صَيْدَ الْحِيتَانِ بِسَبَبِ تَعَرُّضِهَا لِلِانْقِرَاضِ.

ابْتَسَمَ «بَاسِلٌ» وَقَالَ:

- ذَكَّرْتِنِي هَذِهِ الْحِكَايَةُ بِحِكَايَةِ النَّبِيِّ «يُونُسَ» - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عِنْدَمَا الْتَقَمَهُ الْحُوتُ، كَمَا ذَكَرَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

وَاسْتَحْسَنَ الْأَصْدِقَاءُ الْفِكْرَةَ، وَطَلَبُوا مِنْ زَمِيلِهِمْ حِكَايَتَهَا.

قَالَ «بَاسِلٌ» وَقَدِ اشْتَاقَ الْجَمِيعُ إِلَى سَمَاعِ قِصَّةِ النَّبِيِّ «يُونُسَ» - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَالْحُوتِ:

- سَيِّدُنَا «يُونُسُ» - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنَ الرُّسُلِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ بَعْدَ سَيِّدِنَا «سُلَيْمَانَ» - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَبْلَ سَيِّدِنَا «عِيسَى» - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: [redacted] وَيُسَمَّى «يُونُسَ بْنَ مَتَّى»، وَ«مَتَّى» هُوَ اسْمُ أُمِّهِ وَلَيْسَ اسْمَ أَبِيهِ. وَسُمِّيَ أَيْضًا «ذَا النُّونِ» أَيْ صَاحِبَ الْحُوتِ؛ لِأَنَّ «النُّونَ» هُوَ الْحُوتُ.

أَرْسَلَهُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إِلَى أَهْلِ «نِينَوَى»، وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ تَقَعُ عَلَى نَهْرِ دِجْلَةَ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ، تِجَاهَ مَدِينَةِ «الْمَوْصِلِ» فِي الْعِرَاقِ حَالِيًّا. وَكَانَ عَدَدُ أَهْلِ «نِينَوَى» مِائَةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، وَكَانُوا يَعْبُدُونَ صَنَمًا اسْمُهُ «عَشْتَارُ». فَدَعَا «يُونُسُ» أَهْلَ هَذِهِ الْبَلْدَةِ إِلَى تَرْكِ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ وَعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ، وَبَعْدَ مُحَاوَلاتٍ كَثِيرَةٍ أَنْذَرَهُمْ نَبِيُّهُمْ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ يَأْتِيهِمْ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، وَظَنَّ أَنَّهُ بِذَلِكَ قَدْ أَدَّى رِسَالَتَهُ، وَقَامَ بِكَامِلِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي أَمَرَهُ اللهُ بِهَا، فَخَرَجَ مِنَ الْبَلْدَةِ غَاضِبًا قَبْلَ حُلُولِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ خُرُوجُهُ مِنَ الْبَلْدَةِ اجْتِهَادًا مِنْ نَفْسِهِ دُونَ أَنْ يَأْمُرَهُ اللهُ بِالْخُرُوجِ.

وَعِنْدَمَا جَاءَ مَوْعِدُ الْعَذَابِ، وَبَدَأَتْ مَظَاهِرُهُ تَبْدُو لِلْعِيَانِ. وَشَعَرَ أَهْلُ «نِينَوَى» بِالْفِعْلِ أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى وَشْكِ أَنْ يُصِيبَهُمْ، خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُمْ دَوَابُّهُمْ وَأَنْعَامُهُمْ خَائِفِينَ، وَأَخَذُوا يَدْعُونَ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَأَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْهُمُ التَّوْبَةَ، وَأَخَذُوا يَبْحَثُونَ عَنْ «يُونُسَ» ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِيُعْلِنُوا لَهُ الإِيمَانَ وَالتَّوْبَةَ فَلَمْ يَجِدُوهُ. وَلَمَّا عَلِمَ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ صِدْقَ تَوْبَتِهِمْ، كَفَّ عَنْهُمُ الْعَذَابَ. فَعَادُوا مُؤْمِنِينَ بِاللهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَرَكُوا عِبَادَةَ الأَصْنَامِ.

أَمَّا «يُونُسُ» ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَإِنَّهُ سَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، فَوَجَدَ سَفِينَةً عَلَى وَشْكِ السَّفَرِ، فَطَلَبَ مِنْ أَهْلِهَا أَنْ يُرْكِبُوهُ مَعَهُمْ، فَتَوَسَّمُوا فِيهِ خَيْرًا فَأَرْكَبُوهُ. وَعِنْدَمَا صَارَتِ السَّفِينَةُ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ هَاجَتْ أَمْوَاجُهُ بِشِدَّةٍ، فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ:

ـ إِنَّ فِينَا صَاحِبَ ذَنْبٍ يَجِبُ التَّخَلُّصُ مِنْهُ بِأَنْ يُلْقَى فِي الْبَحْرِ

وَهُنَا قَامُوا بِعَمَلِ قُرْعَةٍ ـ أَيِ اسْتَهَمُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ـ فَوَقَعَ السَّهْمُ عَلَى «يُونُسَ» ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَاسْتَغْرَبَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ وَعَجِبُوا مِنْ أَمْرِهِ وَهُوَ النَّقِيُّ الصَّالِحُ، وَكَرَّرُوا الْقُرْعَةَ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً، فَكَانَ السَّهْمُ يَقَعُ عَلَى «يُونُسَ» ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فِي كُلِّ مَرَّةٍ، وَعِنْدَئِذٍ تَمَّ إِلْقَاءُ «يُونُسَ» بِالْفِعْلِ فِي الْبَحْرِ؛ لِيَسْكُنَ عَنْ أَصْحَابِ السَّفِينَةِ غَضَبُ اللهِ تَعَالَى.

وَمَا إِنْ غَاصَ «يُونُسُ» فِي مَاءِ الْبَحْرِ حَتَّى أَتَى حُوتٌ عَظِيمٌ فَالْتَقَمَهُ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى، وَالَّذِي أَوْحَى إِلَى الْحُوتِ أَلَّا يُصِيبَ مِنْ «يُونُسَ» لَحْمًا وَلَا يَهْشِمَ لَهُ عَظْمًا، وَسَارَ بِهِ فِي

عُبَابِ الْبَحْرِ حَيًّا يُسَبِّحُ اللهَ وَيَسْتَغْفِرُهُ وَيُنَادِيهِ فِي الظُّلُمَاتِ، فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُ وَنَجَّاهُ مِنَ الْغَمِّ. ثُمَّ أَوْحَى اللهُ إِلَى الْحُوتِ أَنْ يَقْذِفَ بِهِ فِي الْعَرَاءِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَأَلْقَى الْحُوتُ بِهِ وَهُوَ سَقِيمٌ هَزِيلٌ. فَحَمِدَ اللهَ عَلَى النَّجَاةِ، وَأَنْبَتَ اللهُ لَهُ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (قَرْع) فَأَكَلَ مِنْهَا. وَاسْتَظَلَّ بِوَرَقِهَا، وَعَافَاهُ اللهُ مِنْ سَقَمِهِ وَتَابَ عَلَيْهِ، وَعَادَ «يُونُسُ» ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ إِلَى قَوْمِهِ فَوَجَدَهُمْ مُؤْمِنِينَ بِاللهِ تَائِبِينَ إِلَيْهِ، مُنْتَظِرِينَ عَوْدَةَ رَسُولِهِمْ لِيَأْتَمِرُوا بِأَمْرِهِ وَيَتَّبِعُوهُ، فَلَبِثَ فِيهِمْ يُعَلِّمُهُمْ وَيَهْدِيهِمْ وَيَدُلُّهُمْ عَلَى اللهِ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

قَالَ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي»:

- أَحْسَنْتَ يَا «بَاسِلُ».. وَلَقَدْ جَاءَتْ قِصَّةُ سَيِّدِنَا «يُونُسَ» ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ «يُونُسَ»: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾.

كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (87) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (139) إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (140) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ (141) فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142) فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144) ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (145) وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (146) وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (147) فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾.

قَالَ الْأَصْدِقَاءُ مَعًا:

- صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ. نَشْكُرُكَ يَا دُكْتُورُ «مَرْعِي» عَلَى كُلِّ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ وَالْحِكَايَاتِ عَنِ الْحَيَوَانِ الْبَحْرِيِّ «الْحُوتِ». وَالْآنَ مَاذَا بَعْدَ الْحُوتِ مِنْ تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ؟

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي»:

- بَعْدَ الْحُوتِ، سَنُشَاهِدُ وَنَتَحَدَّثُ عَنِ «الدَّلَافِينِ»، وَهِيَ مِنْ فَصِيلَةِ الْحِيتَانِ.

ثَانِيًا : الدُّلْفِينُ

ذَهَبَ الْأَصْدِقَاءُ بِرُفْقَةِ الدُّكْتُورِ «مَرْعِي» وَالْمُشْرِفَةِ «هِبَةَ» إِلَى مَبْنَى مُتْحَفِ الْأَحْيَاءِ الْمَائِيَّةِ، فَإِذَا بِرَكَةُ مَاءٍ وَاسِعَةٌ، يَمْرَحُ بِهَا عَدَدٌ مِنَ الدَّلَافِينِ، وَهِيَ تُطْلِقُ أَصْوَاتًا تَدُلُّ عَلَى سَعَادَتِهَا وَمَرَحِهَا. فَسَعِدَ الْأَصْدِقَاءُ بِهَذَا الْمَشْهَدِ الْمُمْتِعِ. قَالَ «مُرَادٌ» وَهُوَ يَبْتَسِمُ:

- مَا أَعْجَبَ هَذِهِ الدَّلَافِينَ، وَهِيَ تَسْبَحُ بِمَهَارَةٍ كَبِيرَةٍ، وَتَقْفِزُ فِي الْهَوَاءِ بِبَرَاعَةٍ!

وَبِابْتِسَامَةٍ أَيْضًا قَالَ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي»:

- الدُّلْفِينُ مِنْ رُتْبَةِ الْحِيتَانِ، وَهُوَ حَيَوَانٌ بَحْرِيٌّ يَتَنَفَّسُ الْهَوَاءَ وَيَلِدُ، وَيُرْضِعُ صَغِيرَهُ الْحَلِيبَ. وَهُنَاكَ أَكْثَرُ مِنْ 30 نَوْعًا مِنَ الدَّلَافِينِ تَسْبَحُ فِي مِيَاهِ الْمُحِيطَاتِ، وَأَحْيَانًا فِي الْأَنْهَارِ الْكَبِيرَةِ.

وَأَكْمَلَتِ الْمُشْرِفَةُ «هِبَةُ» قَائِلَةً:

- جَمِيعُ الدَّلَافِينِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ذَوَاتِ الدَّمِ الْحَارِّ.

سَأَلَتْ «فَرِيدَةُ»:

- وَمَا مَعْنَى ذَوَاتِ الدَّمِ الْحَارِّ؟

أَجَابَتِ الْمُشْرِفَةُ «هِبَةُ» قَائِلَةً:

- أَيْ أَنَّهَا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي

التَّصْنِيفُ الْعِلْمِيُّ:

الْمَمْلَكَةُ : الْحَيَوَانِيَّةُ.

الصِّنْفُ : الثَّدْيِيَّاتُ الْبَحْرِيَّةُ.

الرُّتْبَةُ : الْحِيتَانُ.

أَلْوَانُهُ : ذُو أَلْوَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ، مِنْهَا: اللَّوْنُ الرَّمَادِيُّ، اللَّوْنُ الْبُنِّيُّ الْغَامِقُ، الْمَزِيجُ بَيْنَ الرَّمَادِيِّ وَالْأَصْفَرِ، اللَّوْنُ الْوَرْدِيُّ وَهُوَ نَادِرٌ.

معلومة تهمك

الدُّلْفِينُ حَدِيثُ الْوِلَادَةِ يُسَمَّى «عِجْلًا»، وَبِمُجَرَّدِ وِلَادَتِهِ يَسْبَحُ صَاعِدًا إِلَى سَطْحِ الْمَاءِ حَتَّى يَتَنَفَّسَ الْهَوَاءَ، وَيَعُودُ بَعْدَهَا لِيُرْضِعَ لَبَنَ أُمِّهِ، وَتَعِيشُ الْعُجُولُ الصَّغِيرَةُ مَعَ أُمَّهَاتِهَا فِي مَجْمُوعَاتٍ عَائِلِيَّةٍ تُسَمَّى «السِّرْبَ»، وَيَبْقَى الدُّلْفِينُ الصَّغِيرُ مَعَ أُمِّهِ لِمُدَّةِ 3 ـ 6 سَنَوَاتٍ، وَبَعْدَهَا يَنْضَمُّ إِلَى سِرْبٍ آخَرَ مِنَ الدَّلَافِينِ الشَّابَّةِ. وَمُتَوَسِّطُ عُمْرِ الدُّلْفِينِ 25 سَنَةً.

تَظَلُّ دَرَجَةُ حَرَارَةِ أَجْسَامِهَا ثَابِتَةً، سَوَاءٌ فِي الْأَيَّامِ الْحَارَّةِ أَوِ الْبَارِدَةِ، تَمَامًا مِثْلَ جِسْمِ الْإِنْسَانِ؛ فَدَرَجَةُ حَرَارَتِهِ ثَابِتَةٌ صَيْفًا أَوْ شِتَاءً.

وَتَتَغَذَّى الدَّلَافِينُ عَلَى الْأَسْمَاكِ، وَهِيَ تَعِيشُ فِي أَسْرَابٍ كَبِيرَةٍ لِلْغَايَةِ؛ فَقَدْ يَحْوِي السِّرْبُ الوَاحِدُ آلَافَ الدَّلَافِينِ، وَالَّتِي تَتَجَمَّعُ مَعًا فِي مَجْمُوعَاتٍ كَبِيرَةٍ حَيْثُ تَكْثُرُ الْأَسْمَاكُ الَّتِي تُوجَدُ فِي أَسْرَابٍ ضَخْمَةٍ تُقَدَّرُ بِعَشَرَاتِ الْأُلُوفِ.

وَفِي حُبِّ اسْتِطْلَاعٍ قَالَ «نَدِيمٌ»:

- وَهَلْ يَتَنَفَّسُ الدُّلْفِينُ الْهَوَاءَ الْجَوِيَّ مِثْلَ الْحُوتِ؟

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي»:

- نَعَمْ، يَتَنَفَّسُ الدُّلْفِينُ الْهَوَاءَ الْجَوِّيَّ، لِهَذَا فَهُوَ يَصْعَدُ إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ لِاسْتِنْشَاقِ الْهَوَاءِ، ثُمَّ يَغُوصُ فِي الْمَاءِ مَرَّةً أُخْرَى، وَكَمَا تَرَوْنَ فَإِنَّ جِسْمَ الدُّلْفِينِ يَتَمَيَّزُ بِالشَّكْلِ الِانْسِيَابِيِّ، وَهَذَا يُقَلِّلُ مِنْ مُقَاوَمَةِ الْمَاءِ لِحَرَكَةِ جِسْمِهِ، مِمَّا يُعْطِيهِ السُّرْعَةَ الفَائِقَةَ وَرَشَاقَةَ الْحَرَكَةِ.

كَتَبَ الْإِمَامُ القَزْوِينِيُّ عَنِ الدُّلْفِينِ مَا يَلِي: «الدُّلْفِينُ حَيَوَانٌ مُبَارَكٌ إِذَا رَآهُ أَصْحَابُ الْمَرَاكِبِ اسْتَبْشَرُوا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا رَأَى غَرِيقًا فِي الْبَحْرِ سَاقَهُ نَحْوَ السَّاحِلِ، وَرُبَّمَا حَاوَلَ حَمْلَهُ، وَرُبَّمَا جَعَلَ ذَيْلَهُ فِي يَدِي الْغَرِيقِ لِيَسْبَحَ بِهِ إِلَى الشَّاطِئِ، أَوْ إِلَى أَقْرَبِ مَرْكَبٍ فِي الْمَكَانِ.

مُتَوَسِّطُ طُولِ جِسْمِ الدُّلْفِينِ ـ بِمَا فِي ذَلِكَ الرَّأْسُ ـ «عِنْدَ الذُّكُورِ» 2,20 مِتْرًا، وَعِنْدَ الْإِنَاثِ 2,10 مِتْرًا، وَطُولُ

وَتَدَخَّلَتْ «نَدَى» فِي الْحِوَارِ، فَقَالَتْ:

- أُلَاحِظُ أَنَّ لِلدُّلْفِينِ مِنْقَارًا بِهِ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْأَسْنَانِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

أَجَابَتِ الْمُشْرِفَةُ «هِبَةُ» قَائِلَةً:

- بَلَى. لِلدُّلْفِينِ مِنْقَارٌ وَاضِحٌ، وَفَكُّ الدُّلْفِينِ طَوِيلٌ وَيَحْتَوِي عَلَى 250 سِنًّا بَيْضَاءَ اللَّوْنِ دَائِمًا، وَهُوَ لَا يَسْتَخْدِمُ أَسْنَانَهُ لِلْهُجُومِ عَلَى الْبَشَرِ أَبَدًا، بَلْ إِنَّهُ دَائِمًا مَا يَسْعَى إِلَى مُسَاعَدَةِ الْإِنْسَانِ، إِذَا كَانَ فِي حَالَةِ غَرَقٍ، فَيُسَاعِدُهُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الشَّاطِئِ، وَكَذَلِكَ يُسَاعِدُ بَعْضَ الصَّيَّادِينَ عَلَى صَيْدِ الْأَسْمَاكِ.

ضَحِكَ «مُعَاذٌ» وَقَالَ:

- وَكَيْفَ تُسَاعِدُ الدَّلَافِينُ صَيَّادِي الْأَسْمَاكِ؟

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» قَائِلًا:

- غَالِبًا مَا تَتَقَافَزُ الدَّلَافِينُ بِجِوَارِ قَوَارِبِ الصَّيَّادِينَ، وَتَقُومُ بِعُرُوضِ قَفْزٍ رَائِعَةٍ، وَتُحَاوِلُ أَنْ تُحَرِّكَ أَسْرَابَ الْأَسْمَاكِ نَحْوَ تِلْكَ الْقَوَارِبِ، وَتُعْطِي الدَّلَافِينُ إِشَارَةً لِلصَّيَّادِينَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ لِإِلْقَاءِ شِبَاكِهِمْ فِي مِيَاهِ الْبَحْرِ، فَيَصْطَادُونَ

معلومة تهمك

جِسْمُ الدُّلْفِينِ عِنْدَ الْوِلَادَةِ حَوَالَيْ 80 سَنْتِيمِتْرًا. وَهُنَاكَ أَنْوَاعٌ مِنَ الدَّلَافِينِ أَطْوَلُ مِنْ هَذَا الْمُتَوَسِّطِ مِنْ 3 ـ 4 مَرَّاتٍ.

قَلِيلَةٌ هِيَ الدَّلَافِينُ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْمِيَاهِ الْعَذْبَةِ، حَيْثُ يَعِيشُ أَغْلَبُهَا فِي مِيَاهِ الْمُحِيطَاتِ الْمَالِحَةِ، وَهُنَاكَ عِدَّةُ أَنْوَاعٍ نَادِرَةٍ تَعِيشُ فِي الْأَنْهَارِ مِثْلَ نَهْرَيِ الْأَمَازُونِ وَأُورِينُوكُو بِأَمْرِيكَا الْجَنُوبِيَّةِ، وَنَهْرِ

كَمِّيَّاتٍ كَبِيرَةٍ مِنْ تِلْكَ الْأَسْمَاكِ، وَعَلَى مَا يَبْدُو فَإِنَّهَا تَسْتَفِيدُ مِمَّا يَتْرُكُهُ الصَّيَّادُونَ وَرَاءَهُمْ مِنْ أَسْمَاكٍ لِتَتَغَذَّى عَلَيْهَا.

وَفِي إِثَارَةٍ وَحُبِّ اسْتِطْلَاعٍ قَالَتْ «فَرِيدَةُ»:

- حَدِّثِينَا عَنْ بَعْضِ طَرَائِفِ الدُّلْفِينِ يَا سِيَادَةَ الْمُشْرِفَةِ.

ابْتَسَمَتِ الْمُشْرِفَةُ «هِبَةُ» وَقَالَتْ:

- بِكُلِّ سُرُورٍ.. لُوحِظَ أَنَّ الدَّلَافِينَ تَرْكَبُ الْأَمْوَاجَ مِثْلَ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الْمُصْطَافِينَ، فَالدَّلَافِينُ عِنْدَمَا تَجِدُ الزَّوَارِقَ الْمُسْرِعَةَ، تَقْفِزُ بِالْقُرْبِ مِنْ مُقَدِّمَةِ تِلْكَ الزَّوَارِقِ، وَعِنْدَمَا تُضْغَطُ الْأَمْوَاجُ فِي أَثْنَاءِ انْدِفَاعِ تِلْكَ الزَّوَارِقِ فِي مِيَاهِ الْبَحْرِ وَتُكَوِّنُ مَوْجَاتٍ شَدِيدَةَ السُّرْعَةِ، تَرْكَبُ الدَّلَافِينُ هَذِهِ الْأَمْوَاجَ الْمُحِيطَةَ بِمُقَدِّمَةِ الزَّوَارِقِ بِمَهَارَةٍ، فَتَنْدَفِعُ بِسُرْعَةٍ لَا تَسْتَطِيعُ الْوُصُولَ إِلَيْهَا لَوْ كَانَتْ تَسْبَحُ وَحْدَهَا.

وَجَّهَ «بَاسِلُ» تَسَاؤُلَهُ إِلَى الدُّكْتُورِ «مَرْعِي» فَقَالَ:

- وَكَيْفَ تَتَوَاصَلُ الدَّلَافِينُ مَعَ بَعْضِهَا؟

رَدَّ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» قَائِلًا:

- تَتَوَاصَلُ الدَّلَافِينُ مَعَ بَعْضِهَا عَنْ طَرِيقِ الصَّفِيرِ، حَيْثُ يَتَمَيَّزُ كُلُّ دُلْفِينٍ عَنْ غَيْرِهِ بِصَفِيرٍ خَاصٍّ، وَكَأَنَّهُ اسْمٌ أَوْ تَوْقِيعٌ خَاصٌّ بِهِ، حَيْثُ وَجَدَ الْعُلَمَاءُ وَالْبَاحِثُونَ الَّذِينَ يَدْرُسُونَ أَسَالِيبَ الاتِّصَالِ بَيْنَ الدَّلَافِينِ أَنَّهَا تَسْتَخْدِمُ نِدَاءَاتٍ خَاصَّةً، عِبَارَةً عَنْ نَغَمَاتٍ ذَاتِ تَرَدُّدَاتٍ عَالِيَةٍ لِلْغَايَةِ، بِهَا تَعْرِفُ الدَّلَافِينُ مَوَاقِعَ بَعْضِهَا، فَكُلُّ دُلْفِينٍ يَخْتَارُ صَفِيرًا مُمَيِّزًا لَهُ مُنْذُ مِيلَادِهِ يَسْتَخْدِمُهُ طِيلَةَ سَنَوَاتِ حَيَاتِهِ.

وَأَكْمَلَتِ الْمُشْرِفَةُ «هِبَةُ» الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ:

يَانْجِتْسِي فِي الصِّينِ، وَتَتَمَيَّزُ بِاللَّوْنِ الْأَبْيَضِ أَوِ الْوَرْدِيِّ، وَهِيَ نَادِرَةٌ لِلْغَايَةِ.

تَتَجَمَّعُ آلَافُ الدَّلَافِينِ أَحْيَانًا فِي مَجْمُوعَاتٍ ضَخْمَةٍ تَنْتَشِرُ لِعِدَّةِ كِيلُو مِتْرَاتٍ فِي الْمُحِيطِ، وَهِيَ تَعْمَلُ عَلَى مُحَاصَرَةِ أَسْرَابٍ هَائِلَةٍ مِنَ الْأَسْمَاكِ وَتَدْفَعُهَا إِلَى مِنْطَقَةٍ صَغِيرَةٍ مُزْدَحِمَةٍ بِتِلْكَ الْأَسْمَاكِ، ثُمَّ يَأْخُذُ كُلُّ دُلْفِينٍ دَوْرَهُ فِي الْتِهَامِ نَصِيبِهِ مِنْ تِلْكَ الْأَسْمَاكِ.

- حَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّ الدَّلَافِينَ تَتَمَتَّعُ بِنِظَامِ إِشَارَاتٍ لُغَوِيَّةٍ كَثِيرَةِ التَّشَعُّبِ وَالتَّعْقِيدِ. إِنَّهَا خَاضِعَةٌ لِتَنْظِيمٍ مُحَدَّدٍ، وَتَتَمَتَّعُ بِذَكَاءٍ عَالٍ، وَغَرِيزَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ. وَالدَّلَافِينُ قَابِلَةٌ لِلتَّعَلُّمِ؛ فَنَحْنُ نَرَاهَا تَتَعَلَّقُ بِمُدَرِّبِهَا، كَمَا تَتَعَلَّقُ الْكِلَابُ بِمُدَرِّبِهَا، وَتُحِبُّ مُصَادَقَةَ الْأَوْلَادِ، وَهِيَ تَصْحَبُ السُّفُنَ قَافِزَةً مَرِحَةً، وَهِيَ تُفَضِّلُ الْعَيْشَ مَعَ بَعْضِهَا، وَتَنْشَأُ دَاخِلَ كُلِّ جَمَاعَةٍ مِنْهَا أَوَاصِرُ أُلْفَةٍ وَأَوَاصِرُ تَعَاوُنٍ.

قَالَتْ «رَنَا»:

- وَمَاذَا عَنْ تَوَالُدِ الدَّلَافِينِ؟

رَدَّ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» قَائِلًا:

- فَتْرَةُ حَمْلِ أُنْثَى الدُّلْفِينِ بَيْنَ عَشَرَةٍ وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا، وَتُولَدُ الصِّغَارُ مَفْتُوحَةَ الْعَيْنَيْنِ، وَقَادِرَةً عَلَى السِّبَاحَةِ بِمُفْرَدِهَا بَعْدَ وِلَادَتِهَا بِقَلِيلٍ، وَتُرْضِعُ الْأُنْثَى صَغِيرَهَا مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ إِلَى ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا.
- وَبَعْدَ مُضِيِّ عِدَّةِ أَشْهُرٍ يُغَامِرُ الدُّلْفِينُ الصَّغِيرُ، فَيَبْتَعِدُ عَنْ أُمِّهِ وَيَنْطَلِقُ؛ لِاكْتِشَافِ الْبِيئَةِ مِنْ حَوْلِهِ، وَيَعْتَمِدُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْحُصُولِ عَلَى غِذَائِهِ.

قَالَتِ الْمُشْرِفَةُ «هِبَةُ» مُبْتَسِمَةً:

- الدُّلْفِينُ حَيَوَانٌ بَحْرِيٌّ ذَكِيٌّ جِدًّا، وَيُحِبُّ الْمِزَاحَ، فَهُنَاكَ دُلْفِينٌ فِي هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ، اسْمُهُ «أَكِي»، تَعَوَّدَ أَنْ يَتَلَقَّى مُكَافَأَةً مِنَ السَّمَكِ اللَّذِيذِ مُقَابِلَ مُسَاعَدَتِهِ فِي تَنْظِيفِ الْبُحَيْرَةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا، فَهُوَ يُحْضِرُ أَوْرَاقَ الشَّجَرِ، أَوْ أَيَّ فَضَلَاتٍ أُخْرَى بِالْبُحَيْرَةِ

إِلَى مُدَرِّبِهِ الَّذِي يُكَافِئُهُ بِإِعْطَائِهِ بَعْضًا مِنَ السَّمَكِ اللَّذِيذِ، إِلَّا أَنَّ «أكي» إِذَا لَمْ يَعْثُرْ عَلَى أَيَّةِ مُخَلَّفَاتٍ، فَإِنَّهُ يُقَشِّرُ بَعْضَ دِهَانَاتِ جُدْرَانِ الْبُحَيْرَةِ وَيُعْطِيهَا لِمُدَرِّبِهِ؛ مِنْ أَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى وَجْبَتِهِ الْمُفَضَّلَةِ مِنَ السَّمَكِ.

ضَحِكَ الْأَصْدِقَاءُ لِذَكَاءِ الدُّلْفِينِ «أَكِي» وَخِفَّةِ ظِلِّهِ، وَقَالَ «مُرَادٌ»:

- يَا لَهُ مِنْ حَيَوَانٍ بَحْرِيٍّ ذَكِيٍّ! وَصَدَاقَتُهُ لِلْإِنْسَانِ رَائِعَةٌ.

وَأَكْمَلَ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» الْحَدِيثَ، فَقَالَ:

- إِنَّ صَدَاقَتَهُ لِلْإِنْسَانِ أَكْثَرُ مِنْ رَائِعَةٍ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ صَدِيقٍ لِي يُدْعَى «خَالِدًا»، يَعْمَلُ ضَابِطَ اتِّصَالٍ عَلَى إِحْدَى العَبَّارَاتِ، أَنَّهُ فِي إِحْدَى الرِّحْلَاتِ فِي الْبَحْرِ الأَحْمَرِ بَيْنَ السُّعُودِيَّةِ وَمِصْرَ، وَكَانَ الْوَقْتُ لَيْلًا، فَإِذَا بِالعَبَّارَةِ تَدْخُلُ مِنْطَقَةَ الشُّعَبِ الْمَرْجَانِيَّةِ دُونَ أَنْ يَدْرِيَ القُبْطَانُ أَوْ أَحَدُ المَلَّاحِينَ، وَإِذَا بِهَا تَنْشَقُّ إِلَى نِصْفَيْنِ مِنْ شِدَّةِ الصَّدْمَةِ، وَمَا هِيَ سِوَى دَقَائِقَ قَلِيلَةٍ حَتَّى بَدَأَتِ العَبَّارَةُ فِي الغَرَقِ لِتَسْتَقِرَّ فِي قَاعِ الْبَحْرِ، وَمِنْ سُرْعَةِ الْأَحْدَاثِ وَجَدَ مِئَاتٌ مِنَ الْبَشَرِ أَنْفُسَهُمْ يَسْقُطُونَ فِي ظَلَامِ الْبَحْرِ، وَلَمْ يَجِدْ كَثِيرٌ مِنْهُمُ الْفُرْصَةَ لِارْتِدَاءِ سُتْرَةِ النَّجَاةِ، فَغَرِقَ مُعْظَمُهُمْ فِي دَقَائِقَ مَعْدُودَةٍ، أَمَّا صَدِيقِي «خَالِدٌ» فَقَدِ اسْتَطَاعَ أَنْ يُلْقِيَ بِنَفْسِهِ فِي مِيَاهِ الْبَحْرِ دُونَ أَنْ يَرْتَدِيَ سُتْرَةَ النَّجَاةِ، وَأَخَذَ يَسْبَحُ عَلَى غَيْرِ هُدًى بَيْنَ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ، وَبَعْدَ وَقْتٍ لَيْسَ بِالْقَصِيرِ مِنَ السِّبَاحَةِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ أَيْقَنَ «خَالِدٌ» أَنَّهُ سَيَرْحَلُ عَنِ الدُّنْيَا، واسْتَسْلَمَ لِقَضَائِهِ وَنَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَخَارَتْ

قُـوَاهُ، وَرَاحَ فِي غَيْبُوبَـةٍ ظَنَّهَـا غَيْبُوبَةَ الْمَـوْتِ، لَكِنَّهُ أَفَاقَ عَلَى جِسْـمٍ طَـرِيٍّ يَدْفَعُهُ إِلَى الْأَمَامِ، فَظَنَّ أَنَّهُ سَـمَكَةٌ مِنْ أَسْـمَاكِ الْقِرْشِ جَاءَتْ لِتَتَّخِذَ مِنْهُ وَجْبَةً شَهِيَّةً، وَلَكِنْ ظَلَّ هَذَا الْجِسْـمُ يَدْفَعُهُ فِي اتِّجَاهٍ مُعَيَّنٍ، فَاسْتَبْشَـرَ خَيْرًا، وَأَخَذَ يَدْعُو اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَنْ يُنْجِيَهُ مِنْ هَذَا الْغَرَقِ.

بَـدَأَتْ أَضْوَاءُ الْفَجْـرِ تَظْهَرُ لِـ «خَالِدٍ»، وَمَا زَالَ الدُّلْفِينُ يَدْفَعُـهُ فِي اتِّجَاهٍ مُعَيَّنٍ، وَعِنْدَ ظُهُـورِ أَوَّلِ ضَوْءٍ لِلصَّبَاحِ، شَـاهَدَ «خَالِدٌ» مُنْقِـذَهُ الدُّلْفِينَ بِوُضُوحٍ، كَمَا شَـاهَدَ عَنْ قُرْبٍ شَـاطِئًا قَرِيبًا، فَشَـكَرَ الْفَتَى رَبَّهُ وَحَمِدَهُ عَلَى النَّجَاةِ، كَمَا شَـكَرَ لِلدُّلْفِينِ صَنِيعَهُ، وَبَعْدَ أَنْ وَصَلَ إِلَى الشَّاطِئِ نَظَرَ نَاحِيَةَ الدُّلْفِينِ وَرَفَعَ لَهُ يَدَهُ مُحَيِّيًا، فَإِذَا بِالدُّلْفِينِ يَقْفِزُ فِي الْهَوَاءِ وَيَغُوصُ فِي الْبَحْرِ مُعْرِبًا عَنْ سَعَادَتِهِ بِإِنْقَاذِ الْفَتَى.

جَلَسَ «خَالِدٌ» عَلَى الشَّـاطِئِ سَـاعَاتٍ حَتَّـى جَاءَتْ دَوْرِيَّةٌ بَحْرِيَّةٌ لِتُنْقِـذَهُ وَتَعُودَ بِهِ إِلَى بَلَدِهِ. وَاكْتَشَـفَ بَعْدَ أَيَّامٍ أَنَّهُ مِنَ الْقَلَائِلِ الَّذِينَ نَجَـوْا مِنْ حَادِثِ غَرَقِ الْعَبَّارَةِ، وَذَلِكَ بِفَضْـلِ اللهِ ـ سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ ثُمَّ بِفَضْلِ هَذَا الدُّلْفِينِ الَّذِي دَاوَمَ لِعِدَّةِ سَـاعَاتٍ وَهُوَ يَدْفَعُهُ نَاحِيَةَ الشَّاطِئِ.

قَالَتْ «شَهْدٌ» وَهِيَ لَا تَزَالُ مُتَأَثِّرَةً مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ الْعَجِيبَةِ:

- يَا لَهُ مِنْ دُلْفِينٍ رَائِعٍ! فَلَوْلَاهُ مَا كَانَ «خَالِدٌ» عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَمَا كُنَّا عَرَفْنَا هَذِهِ الْقِصَّةَ الْعَجِيبَةَ.

قَالَ «نَدِيمٌ»:

- إِنَّنِي أَتَذَكَّرُ قِصَّةً قَرَأْتُهَا فِي مَكْتَبَةِ الْمَدْرَسَةِ تَحْتَ عُنْوَانِ: «الدَّلَافِينُ وَسَمَكَةُ التُّونَةِ».

فَأَبْدَى الْجَمِيعُ تَشَوُّقَهُمْ لِمَعْرِفَةِ هَذِهِ الْقِصَّةِ، فَانْصَاعَ «نَدِيمٌ» لِرَغْبَةِ أَصْدِقَائِهِ وَقَالَ:

- كَانَ هُنَاكَ دُلْفِينٌ يَسْـبَحُ فِي الْبَحْرِ وَهُوَ يَبْحَثُ عَنْ طَعَامٍ يَسُـدُّ بِـهِ جُوعَهُ، وَبَيْنَمَا هُوَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ إِذْ لَمَحَ سَمَكَةَ تُونَةٍ تُسْرِعُ بِالْفِرَارِ مِنْ هَذَا الْمَوْتِ الْمُحَقَّقِ، وَتَبْذُلُ قُصَارَى جُهْدِهَا فِي مُحَاوَلَةِ النَّجَاةِ، فَأَخَذَ يُلَاحِقُهَا لِالْتِهَامِهَا وَإِشْبَاعِ حَاجَتِهِ مِنَ الطَّعَامِ.

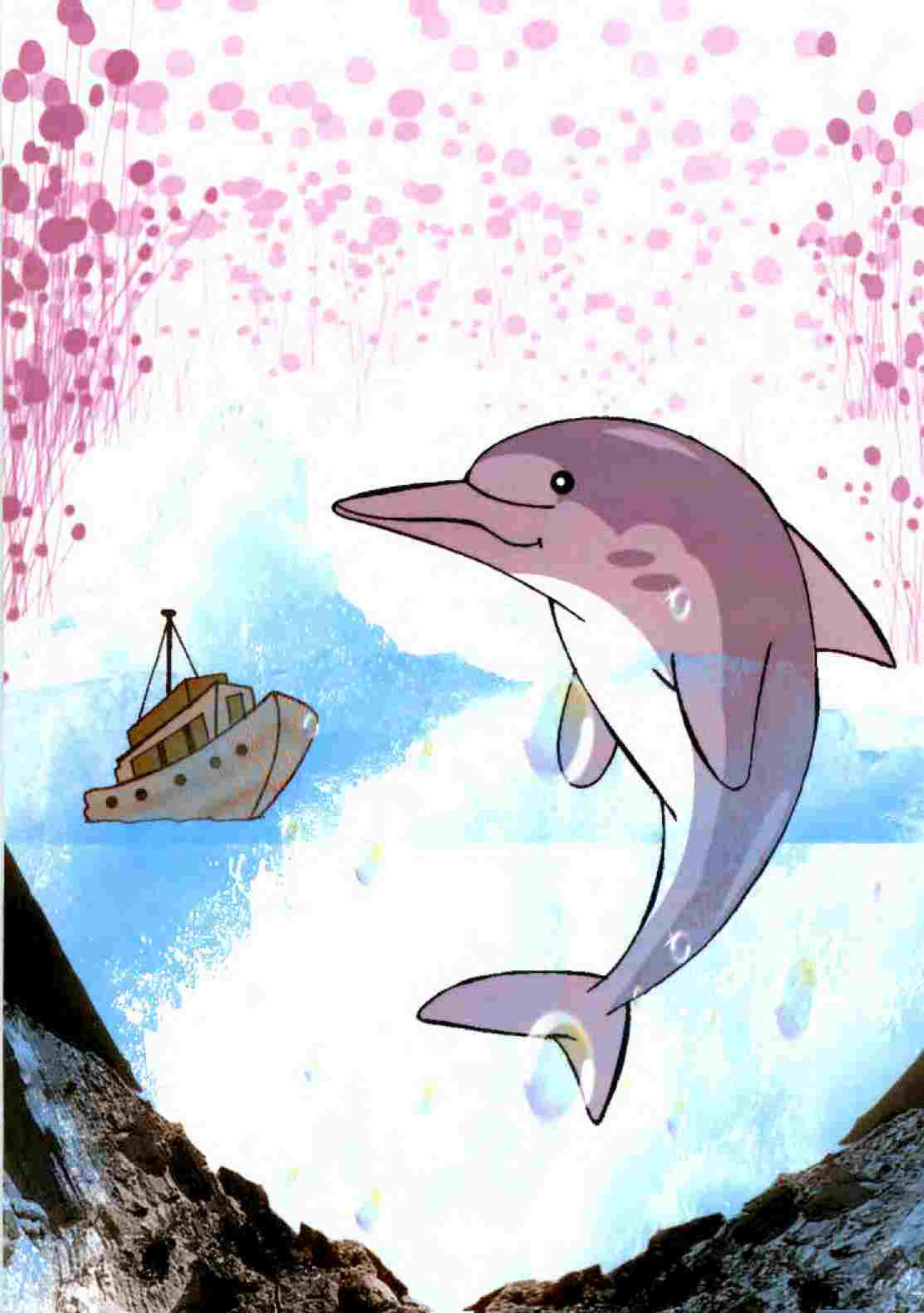

كَانَ الدُّلْفِينُ يُحَدِّدُ الْأَمَاكِنَ الَّتِي تَلْجَأُ إِلَيْهَا سَمَكَةُ التُّونَةِ عَنْ طَرِيقِ إِرْسَالِ مَوْجَاتٍ صَوْتِيَّةٍ، فَتَصْطَدِمُ هَذِهِ الْمَوْجَاتُ بِالسَّمَكَةِ وَيَكُونُ لَهَا صَدًى يُحَدِّدُ مَكَانَهَا بِدِقَّةٍ، مِثْلَ الرَّادَارِ تَمَامًا.. وَعِنْدَمَا تَعِبَتْ سَمَكَةُ التُّونَةِ وَأَجْهَدَهَا هَذَا السِّبَاقُ، قَالَتْ فِي نَفْسِهَا:

- سَأَقُومُ بِمُغَامَرَةٍ لَعَلِّي أَسْتَطِيعُ الْإِفْلَاتَ مِنْ هَذَا الدُّلْفِينِ اللَّعِينِ.

وَأَطْلَقَتْ لِسُرْعَتِهَا الْعَنَانَ نَاحِيَةَ الشَّاطِئِ، حَتَّى إِذَا اقْتَرَبَتْ مِنْهُ قَفَزَتْ فِي الْهَوَاءِ قَفْزَةً عَالِيَةً لِتَقَعَ عَلَى رِمَالِ الشَّاطِئِ، وَهِيَ تَحْسَبُ أَنَّ الدُّلْفِينَ لَنْ يُغَامِرَ بِحَيَاتِهِ وَيَتْرُكَ الْمَاءَ مِثْلَهَا، وَلَكِنَّ الدُّلْفِينَ خَيَّبَ ظَنَّهَا وَقَفَزَ مِنْ مِيَاهِ الْبَحْرِ لِيَسْتَقِرَّ بِجِوَارِهَا عَلَى الرِّمَالِ، قَالَتْ سَمَكَةُ التُّونَةِ لِلدُّلْفِينِ:

- إِنَّكَ تُغَامِرُ بِحَيَاتِكَ وَتَتْرُكُ مِيَاهَ الْبَحْرِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَفْتَرِسَنِي، فَلِمَاذَا وَأَسْمَاكُ الْبَحْرِ كَثِيرَةٌ؟

ضَحِكَ الدُّلْفِينُ وَقَالَ:

- أَيَّتُهَا السَّمَكَةُ اللَّذِيذَةُ، عِنْدَمَا تَخْرُجِينَ مِنْ مِيَاهِ الْبَحْرِ فَإِنَّكِ تُعَرِّضِينَ نَفْسَكِ لِلْمَوْتِ، أَمَّا أَنَا فَأَتَنَفَّسُ الْهَوَاءَ.

تَحَسَّرَتْ سَمَكَةُ التُّونَةِ عَلَى عَدَمِ مَعْرِفَتِهَا هَذِهِ الْمَعْلُومَةَ، فَالْتَهَمَهَا الدُّلْفِينُ فِي سَعَادَةٍ.

سَعِدَ الْجَمِيعُ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ، وَاسْتَخْلَصُوا مِنْهَا أَنَّ الْمَعْرِفَةَ قَدْ تُنْقِذُ حَيَاةَ الْفَرْدِ.

قَالَتِ الْمُشْرِفَةُ «هِبَةُ»:

- وَنَظَرًا لِذَكَاءِ الدُّلْفِينِ فَقَدِ اسْتَعْمَلَتْهُ الْبَحْرِيَّةُ الْأَمْرِيكِيَّةُ فِي تَحْدِيدِ أَمَاكِنِ الطُّرْبِيدَاتِ وَرَفْعِهَا مِنْ أَعْمَاقِ الْبَحْرِ، وَتَتَوَلَّى دَلَافِينُ أُخْرَى الْإِنْذَارَ بِوُجُودِ غَوَّاصَاتٍ مُعَادِيَةٍ، وَحِرَاسَةَ بَوَّابَاتِ الْمَوَانِئِ.

قَالَتْ «نَدَى»:

- لَقَدْ تَعَلَّمْنَا الْكَثِيرَ عَنِ الدَّلَافِينِ، وَسَعِدْنَا بِخَصَائِصِهَا، فَمَاذَا عَنِ الْكَائِنِ الْبَحْرِيِّ التَّالِي؟

رَدَّ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» مُبْتَسِمًا:

- الْكَائِنُ الْبَحْرِيُّ التَّالِي هُوَ «سَمَكَةُ الْقِرْشِ».

ثَالِثًا: سَمَكَةُ الْقِرْشِ

صَحِبَ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» وَالْمُشْرِفَةُ «هِبَةُ» الْأَصْدِقَاءَ إِلَى قَاعَةٍ كَبِيرَةٍ مُخَصَّصَةٍ لِسَمَكِ الْقِرْشِ؛ حَيْثُ شَاهَدَ الْأَصْدِقَاءُ دَاخِلَهَا هَيْكَلًا عَظْمِيًّا لِسَمَكَةِ قِرْشٍ بَيْضَاءَ، فَهَالَتْهُمْ ضَخَامَةُ الْهَيْكَلِ. قَالَ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي»:

- هَذَا هَيْكَلٌ عَظْمِيٌّ لِسَمَكَةِ قِرْشٍ مِنَ النَّوْعِ الْأَبْيَضِ، وَالَّذِي يُعَدُّ مِنْ أَشْرَسِ أَنْوَاعِ سَمَكِ الْقِرْشِ. وَيُعَدُّ الْقِرْشُ مِنْ أَهَمِّ وَأَخْطَرِ حَيَوَانَاتِ عَالَمِ الْبِحَارِ، وَهُوَ يَجُوبُ سَطْحَ الْبِحَارِ، وَيَنْشَطُ فِي مِيَاهِهَا الْعَمِيقَةِ. تَعَالَوْا مَعِي نُشَاهِدْ عَلَى شَرَائِحَ شَفَّافَةٍ وَأَفْلَامٍ مُتَحَرِّكَةٍ، الْأَنْوَاعَ الْمُخْتَلِفَةَ لِسَمَكِ الْقِرْشِ، وَأَهَمَّ خَصَائِصِهِ وَكَيْفِيَّةَ مَعِيشَتِهِ.

وَبِالْفِعْلِ أَخَذَ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» يَعْرِضُ عَلَى الْأَصْدِقَاءِ صُورَةً مُكَبَّرَةً لِأَسْمَاكِ الْقِرْشِ عَلَى شَرَائِحَ شَفَّافَةٍ، وَاسْتَمَرَّ شَارِحًا عَلَى الصُّورَةِ الْمُكَبَّرَةِ رَأْسَ سَمَكَةِ قِرْشٍ ضَخْمَةٍ، مُبَيِّنًا أَسْنَانَهَا الْمُرْعِبَةَ الْحَادَّةَ، فَقَالَ:

التَّصْنِيفُ الْعِلْمِيُّ:

الْمَمْلَكَةُ: الْحَيَوَانِيَّةُ.

الصِّنْفُ: الْأَسْمَاكُ.

الرُّتْبَةُ: الْأَسْمَاكُ الْغُضْرُوفِيَّةُ.

أَلْوَانُهُ: لَوْنُ الْجِسْمِ رَمَادِيٌّ مَائِلٌ لِلْبُنِّيِّ، وَالْبَطْنُ لَوْنُهُ أَبْيَضُ.

وَالْقِرْشُ الْأَبْيَضُ وَهُوَ أَخْطَرُ أَنْوَاعِ الْقِرْشِ، وَالْقِرْشُ الْأَزْرَقُ.

مَعْلُومَةٌ تَهُمُّكَ

- مُتَوَسِّطُ طُولِ الْقِرْشِ مِنْ 5, 6 ـ 8 أَمْتَارٍ، وَعِنْدَ بِدَايَةِ حَيَاتِهِ يَبْلُغُ مُتَوَسِّطُ طُولِ الْقِرْشِ الصَّغِيرِ 0, 9 ـ 1, 5 مِتْرًا وَمُتَوَسِّطُ وَزْنِهِ حَوَالَيْ 3 أَطْنَانٍ. وَمُتَوَسِّطُ عُمْرِ الْقِرْشِ 27 عَامًا.
- يَعُودُ تَارِيخُ سَمَكِ الْقِرْشِ إِلَى أَكْثَرَ مِنْ 300 مِلْيُونِ سَنَةٍ، أَيْ مَا قَبْلَ وُجُودِ الدَّيْنَاصُورَاتِ، وَبَقِيَتْ سُلَالَاتٌ قَلِيلَةٌ مِنَ الْقِرْشِ حَتَّى الْيَوْمِ مُحْتَفِظَةً بِالصِّفَاتِ الْجُسْمَانِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي

- إِنَّ أَهَمَّ مَا يُمَيِّزُ سَمَكَةَ الْقِرْشِ تِلْكَ الصُّفُوفُ مِنَ الْأَسْنَانِ الْمُتَرَاصَّةِ فِي فَكَّيْهَا، تِلْكَ الْأَسْنَانُ الْمُخِيفَةُ الْمُدَبَّبَةُ الْقَاطِعَةُ الْقَادِرَةُ عَلَى تَقْطِيعِ أَوْصَالِ أَيِّ سَمَكَةٍ مَهْمَا كَانَ حَجْمُهَا، وَقَضْمِ مِسَاحَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ أَيِّ حَيَوَانٍ بَحْرِيٍّ مِثْلِ فَرَسِ الْبَحْرِ وَكَلْبِ الْبَحْرِ، وَغَيْرِهِمَا، وَلِذَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ «الْفَكُّ الْمُفْتَرِسُ»، وَكَمَا تَرَوْنَ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ الْوَاضِحَةِ فَإِنَّ سَمَكَةَ الْقِرْشِ تَتَمَتَّعُ بِمُرُونَةٍ جَسَدِيَّةٍ وَاضِحَةٍ، فَهِيَ تَتَحَرَّكُ بِرَشَاقَةٍ مُذْهِلَةٍ وَسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ حَجْمِهَا؛ فَالْقِرْشُ يَتَحَرَّكُ صُعُودًا وَهُبُوطًا بِفَضْلِ كَبِدِهِ الَّتِي تَبْلُغُ رُبْعَ حَجْمِ جِسْمِهِ، وَالَّتِي تَحْتَوِي عَلَى مَادَّةٍ أَقَلَّ كَثَافَةً مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ.

تَسَاءَلَ «مُعَاذٌ» فَقَالَ:

- وَكَيْفَ يَتَكَاثَرُ سَمَكُ الْقِرْشِ؟ أَهُوَ يَتَوَالَدُ مِثْلَ الْحُوتِ وَالدُّلْفِينِ؟

ابْتَسَمَتِ الْمُشْرِفَةُ «هِبَةُ» وَقَالَتْ:

- لَا.. سَمَكُ الْقِرْشِ يَتَكَاثَرُ بِالْبَيْضِ، وَتَضَعُ الْأُنْثَى مِنْ 20 ـ 25 بَيْضَةً فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ، وَلَكِنَّ أُنْثَى بَعْضِ أَنْوَاعِ سَمَكِ الْقِرْشِ تَحْتَفِظُ بِالْبَيْضِ بِدَاخِلِهَا حَتَّى يَفْقِسَ، فَتَخْرُجُ

تَوَارَثَتْهَا مُنْذُ مَلَايِينِ السِّنِينِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهَا تَحْمِلُ الْكَثِيرَ مِنْ أَسْرَارِ الْحَيَاةِ الْأَوَّلِيَّةِ، وَسَبَبُ ذَلِكَ هُوَ قُدْرَتُهَا الْفَائِقَةُ عَلَى الْحُصُولِ عَلَى غِذَائِهَا.

- جِسْمُ سَمَكِ الْقِرْشِ انْسِيَابِيُّ الشَّكْلِ؛ لِكَيْ يُسَاعِدَهُ عَلَى السَّبَاحَةِ السَّرِيعَةِ، وَهُوَ مُزَوَّدٌ بِعَدَدٍ مِنَ الزَّعَانِفِ، وَتَقُومُ زِعْنِفَةُ الصَّدْرِ وَزِعْنِفَةُ الذَّيْلِ بِمُهِمَّةِ الْحَرَكَةِ وَالدَّفْعِ، أَمَّا زَعَانِفُ الظَّهْرِ فَمُهِمَّتُهَا حِفْظُ التَّوَازُنِ. وَيَتَنَفَّسُ الْقِرْشُ عَبْرَ خَمْسَةِ

الصِّغَارُ إِلَى مِيَاهِ الْبَحْرِ، وَلِذَا يَظُنُّ الْبَعْضُ أَنَّ الْقِرْشَ يَتَوَالَدُ مِثْلَ الْحُوتِ وَالدُّلْفِينِ. وَفَتْرَةُ حَضَانَةِ الْبَيْضِ تَتَرَاوَحُ مِنْ 9 ـ 12 شَهْرًا. وَالْقِرْشُ حَدِيثُ الْوِلَادَةِ يُسَمَّى بِـ «صَغِيرِ الْقِرْشِ»، وَتَبْحَثُ سَمَكَةُ الْقِرْشِ عَنْ مَكَانٍ آمِنٍ لِتَضَعَ فِيهِ صِغَارَهَا، وَيَقُومُ كُلٌّ مِنَ الْأُمِّ وَالْأَبِ بِرِعَايَةِ الصِّغَارِ وَحِمَايَتِهَا مِنْ أَيِّ خَطَرٍ يَقْتَرِبُ مِنْهَا.

قَالَتْ «فَرِيدَةُ»:

- وَعَلَى مَاذَا يَتَغَذَّى سَمَكُ الْقِرْشِ؟

أَجَابَتِ الْمُشْرِفَةُ «هِبَةُ»:

- يَتَغَذَّى الْقِرْشُ عَلَى كُلِّ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُهَاجِمَهُ مِنْ أَسْمَاكٍ وَدَلَافِينَ وَفُقْمَاتٍ (كَلْبِ الْبَحْرِ) وَغَيْرِهَا، وَالْقِرْشُ الْأَبْيَضُ الضَّخْمُ يَتَغَذَّى عَلَى الْأَسْمَاكِ الصَّغِيرَةِ وَالْجَمْبَرِي.

وَتَسَاءَلَ «بَاسِلٌ»:

- وَهَلْ يَنَامُ سَمَكُ الْقِرْشِ؟

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» قَائِلًا:

- أَثْبَتَتِ الدِّرَاسَاتُ أَنَّ أَسْمَاكَ الْقِرْشِ تَنَامُ؛ حَيْثُ تَأْوِي إِلَى كُهُوفٍ

معلومة تهمك

أَوْ سِتَّةٍ أَزْوَاجٍ مِنَ الْخَيَاشِيمِ الْمَوْجُودَةِ عَلَى جَانِبَيْهِ، وَعِنْدَمَا يَتَحَرَّكُ يَنْدَفِعُ الْمَاءُ عَبْرَ الْخَيَاشِيمِ الَّتِي تَمْتَصُّ الْأُكْسُجِينَ مِنَ الْمَاءِ، لِذَا يَحْتَاجُ إِلَى حَرَكَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ، وَإِلَّا فَقَدَ الْقُدْرَةَ عَلَى التَّنَفُّسِ، وَمَاتَ.

← أَظْهَرَتْ بَعْضُ الدِّرَاسَاتِ أَنَّ ثُلُثَ أَسْمَاكِ الْقِرْشِ فِي الْمُحِيطَاتِ ـ وَمِنْ بَيْنِهَا سَمَكَةُ الْقِرْشِ الْبَيْضَاءُ الْكَبِيرَةُ ـ مُهَدَّدَةٌ بِالِانْقِرَاضِ بِسَبَبِ عَمَلِيَّاتِ الصَّيْدِ الْمُكَثَّفَةِ. وَأَكَّدَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَاتُ أَنَّ

تَحْتَ الْمَاءِ، أَوْ تَنَامُ وَهِيَ تَسْبَحُ، وَلَكِنَّهَا لَا تُغْمِضُ أَعْيُنَهَا.

وَفِي حُبِّ اسْتِطْلَاعٍ قَالَتْ «رَنَا»:

- وَمَاذَا عَنْ قُدْرَةِ حَوَاسِّهِ؟

رَدَّ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي»:

- الْغَرِيبُ أَنَّ قُدْرَتَهُ عَلَى الرُّؤْيَةِ ضَعِيفَةٌ بِالْقُرْبِ مِنْ سَطْحِ الْبَحْرِ، وَلَكِنَّهَا فِي الْأَعْمَاقِ تَزْدَادُ قُوَّةً، أَمَّا حَاسَّةُ الشَّمِّ لَدَيْهِ فَهِيَ فَائِقَةُ الْحَسَاسِيَةِ؛ فَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَشُمَّ رَائِحَةَ الدِّمَاءِ مِنْ مَسَافَاتٍ بَعِيدَةٍ جِدًّا، وَمُقَدَّمَةُ أَنْفِهِ مُزَوَّدَةٌ بِنَوْعٍ مِنَ الْمَسَامِّ تَجْعَلُهُ قَادِرًا عَلَى رَصْدِ أَيِّ حَرَكَةٍ عَضَلِيَّةٍ مَهْمَا بَلَغَتْ مِنَ الضَّعْفِ. وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى السِّبَاحَةِ لِمَسَافَةٍ أَكْثَرَ مِنْ 100 كِيلُو مِتْرٍ يَوْمِيًّا، وَلِأَعْمَاقٍ تَصِلُ إِلَى 200 مِتْرٍ.

سَأَلَ «مُرَادٌ» مُسْتَنْكِرًا:

- مَا سَبَبُ هَذَا الْعَدَاءِ بَيْنَ سَمَكِ الْقِرْشِ وَالْإِنْسَانِ؟

ابْتَسَمَتِ الْمُشْرِفَةُ «هِبَةُ» وَقَالَتْ:

- فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ، لَيْسَ هُنَاكَ عَدَاءٌ بَيْنَ سَمَكِ الْقِرْشِ وَالْإِنْسَانِ، فَالْحَقَائِقُ الْعِلْمِيَّةُ تُكَذِّبُ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ الْخَيَالِيَّةَ الَّتِي تَنَاقَلَهَا بَنُو الْبَشَرِ عَنْهُ، وَتِلْكَ الْمُبَالَغَاتِ السِّينِمَائِيَّةَ الَّتِي تَسْتَهْدِفُ الْإِثَارَةَ وَجَذْبَ الْمُشَاهِدِينَ. وَسَمَكُ الْقِرْشِ لَا يَمِيلُ إِلَى الْتِهَامِ لَحْمِ الْإِنْسَانِ وَلَا يَسْتَسِيغُهُ أَبَدًا، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ يُهَاجِمُهُ بِدَوَافِعِ الْخَوْفِ، أَوِ الدِّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ.

وَفِي جِدِّيَّةٍ أَكْمَلَ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» الْحَدِيثَ، فَقَالَ:

- وَبِالطَّبْعِ، هَذِهِ لَيْسَتْ دَعْوَةً لِلْجُرْأَةِ وَالِاقْتِرَابِ مِنْ أَيَّةِ سَمَكَةِ قِرْشٍ، بَلْ يَجِبُ الِاحْتِرَاسُ تَمَامًا مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاكِ الْخَطِيرَةِ الْمُفْتَرِسَةِ.

قَالَتْ «شَهْدُ»:

أَسْمَاكُ الْقِرْشِ لَا تَحْظَى بِأَيَّةِ حِمَايَةٍ مِنَ الْهَيْئَاتِ الْعَالَمِيَّةِ الَّتِي تَهْتَمُّ بِالْحِفَاظِ عَلَى الْبِيئَةِ.

- هُنَاكَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ سَمَكِ الْقِرْشِ، مِنْهَا: الْقِرْشُ ذُو الْمِطْرَقَةِ - الْقِرْشُ ذُو الزَّعْنَفَةِ الْبَيْضَاءِ - الْقِرْشُ ذُو الزَّعْنَفَةِ السَّوْدَاءِ - الْقِرْشُ النَّمِرِيُّ - الْقِرْشُ الْحَرِيرِيُّ - الْقِرْشُ اللَّيْمُونِيُّ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَبَعْضُ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ حَجْمُهَا صَغِيرٌ لِلْغَايَةِ، وَالْبَعْضُ الْآخَرُ يَبْلُغُ وَزْنُ فِيلَيْنِ.

- دُكْتُور «مَرْعِي».. بِمَاذَا تَنْصَحُنَا لَوْ تَوَاجَدْنَا عَلَى شَوَاطِئَ يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ بِهَا أَسْمَاكُ الْقِرْشِ؟

ابْتَسَمَ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» وَقَالَ:

- بِكُلِّ سُرُورٍ.. أَوَّلًا: شَوَاطِئُنَا الَّتِي تَذْهَبُ إِلَيْهَا فِي الْإِجَازَاتِ الصَّيْفِيَّةِ لَا خَوْفَ مِنْ تَوَاجُدِ سَمَكِ الْقِرْشِ بِهَا، وَإِنَّمَا الْخَوْفُ عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَدَيْهِمْ هِوَايَةُ الْغَوْصِ فِي مِيَاهِ الْبِحَارِ، وَالَّتِي يُحْتَمَلُ وُجُودُ الْقِرْشِ فِي أَعْمَاقِ تِلْكَ الْبِحَارِ، وَإِلَيْكُمْ أَهَمَّ وَصَايَا تَجَنُّبِ مَخَاطِرِ الْقِرْشِ لِهَؤُلَاءِ الغَوَّاصِينَ:

1- عَدَمُ الْغَوْصِ إِلَّا بَعْدَ أَخْذِ دَوْرَةٍ تَدْرِيبِيَّةٍ لَدَى مُدَرِّبٍ ذِي دِرَايَةٍ كَافِيَةٍ بِالْبَحْرِ وَالْكَائِنَاتِ الَّتِي تَقْطُنُهُ، وَطُرُقِ التَّعَامُلِ مَعَ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ.

2- عَدَمُ الْغَوْصِ مُنْفَرِدًا، فَكُلَّمَا زَادَ عَدَدُ زُمَلَاءِ الْغَوْصِ، قَلَّ احْتِمَالُ وُقُوعِ الْأَخْطَارِ.

3- الْغَوْصُ فِي حُدُودِ الْإِمْكَانِيَّاتِ.

4- فِي حَالَةِ مُوَاجَهَتِكَ سَمَكَةَ الْقِرْشِ: كُنْ هَادِئًا، قِفْ فِي مَكَانِكَ وَلَا تُحَاوِلِ الْهَرَبَ، وَانْظُرْ حَوْلَكَ وَرَاقِبِ الْقِرْشَ وَسُلُوكَهُ؛ فَقَدْ يَكُونُ مَارًّا وَلَا تُهِمُّهُ فِي شَيْءٍ.

5- انْسَحِبْ مِنَ الْمِنْطَقَةِ فِي هُدُوءٍ، وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ، وَاخْرُجْ مِنَ الْمَاءِ فَوْرًا؛ فَقَدْ يَكُونُ هُنَاكَ أَكْثَرُ مِنْ قِرْشٍ.

تَسَاءَلَ «نَدِيمٌ» قَائِلًا:

- وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ صَدَاقَةٌ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْقِرْشِ مِثْلَ صَدَاقَتِهِ لِلدُّلْفِينِ؟

أَجَابَتِ الْمُشْرِفَةُ «هِبَةُ» قَائِلَةً:

- هَـذَا نَادِرٌ جِدًّا، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَحِيلٍ، فَقَدْ قَرَأْتُ فِي إِحْدَى الْمَجَلَّاتِ الْفَرَنْسِيَّةِ قِصَّةَ حُبٍّ غَرِيبَةٍ بَيْنَ سَمَكَةِ قِرْشٍ وَصَيَّادِ أَسْمَاكٍ يُدْعَى «أرنولد بوينتر» مِنْ جَنُوبِيِّ أُسْتُرَالْيَا، وَالَّذِي صَرَّحَ بِمَا يَلِي:

وَقَعَتْ فِي شِبَاكِي سَمَكَةُ قِرْشٍ عِمْلَاقَةٌ، فَقُمْتُ بِإِنْقَاذِهَا وَخَلَّصْتُهَا مِنَ الشَّبَكَةِ، فَمَا كَانَ مِنْ هَذِهِ السَّمَكَةِ الْعِمْلَاقَةِ إِلَّا أَنْ حَفِظَتِ الْجَمِيلَ، وَأَصْبَحَتْ تُلَازِمُنِي دَائِمًا فِي رِحْلَاتِ الصَّيْدِ، وَهَذَا مَا كَانَ يُسَبِّبُ الْفَزَعَ لِلْأَسْمَاكِ.

إِنَّنِي لَا أَعْرِفُ مَاذَا أَفْعَلُ بِهَذِهِ الصَّدَاقَةِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي أَثَّرَتْ عَلَى كَمِّيَّاتِ الْأَسْمَاكِ الَّتِي كُنْتُ أَصْطَادُهَا يَوْمِيًّا، بِسَبَبِ مُصَاحَبَةِ سَمَكَةِ الْقِرْشِ هَذِهِ فِي رِحْلَاتِ الصَّيْدِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَأَنَا سَعِيدٌ بِأَنَّنِي الرَّجُلُ الْوَحِيدُ الَّذِي لَهُ هَذِهِ الصَّدَاقَةُ الْعَجِيبَةُ.

ابْتَسَمَتْ «نَدَى» وَقَالَتْ:

- حِكَايَةٌ مُثِيرَةٌ حَقًّا! وَلَكِنْ مَا الَّذِي يَسْتَفِيدُ مِنْهُ صَيَّادُو سَمَكِ الْقِرْشِ؟

أَجَابَتِ الْمُشْرِفَةُ «هِبَةُ»:

- أَهَمُّ مَا يَسْتَفِيدُهُ الصَّيَّادُونَ مِنْ سَمَكِ الْقِرْشِ:

1- لَحْمُ سَمَكِ الْقِرْشِ لَذِيذٌ وَمُقَوٍّ لِصِمَامَاتِ الْقَلْبِ.

2- زَعَانِفُ سَمَكِ الْقِرْشِ يُصْنَعُ مِنْهَا حَسَاءٌ فِي الصِّينِ وَتَايْلَانْد وَكُوْرِيَا وَسَنْغَافُورَة؛ وَلِهَذَا الْحَسَاءِ بَعْضُ الْفَوَائِدِ الصِّحِّيَّةِ كَتَقْوِيَةِ مَنَاعَةِ الْجِسْمِ، وَإِكْسَابِهِ الطَّاقَةَ الْبَدَنِيَّةَ.

3- تُسْتَخْدَمُ أَسْنَانُ سَمَكِ الْقِرْشِ بَعْدَ تَصْنِيعِهَا فِي صُنْعِ بَعْضِ الْقَلَائِدِ وَالْحُلِيِّ.

وَيَقُولُ عُلَمَاءُ الْأَحْيَاءِ الْمَائِيَّةِ وَالْبَحْرِيَّةِ: إِنَّ الْإِقْبَالَ عَلَى صَيْدِ سَمَكِ الْقِرْشِ يُهَدِّدُ بِالْقَضَاءِ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ أَقْدَمِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَيُهَدِّدُ النِّظَامَ الْبِيئِيَّ الَّذِي يُعَانِي زِيَادَةً فِي مُعَدَّلَاتِ الصَّيْدِ الْجَائِرِ.

ابْتَسَمَ الدُّكْتُورُ «مَرْعِي» وَقَالَ:

- لَقَدْ تَذَكَّرْتُ الآنَ الرِّوَايَةَ الشَّهِيرَةَ الْمَعْرُوفَةَ بِاسْمِ «الْعَجُوزِ وَالْبَحْرِ»، وَالَّتِي كَتَبَهَا الرِّوَائِيُّ الْأَمْرِيكِيُّ «إِرْنِسْت هِيمِنْجُوَاي» عَامَ 1952 م وَحَصَلَ بِهَا عَلَى جَائِزَةِ «بُولِيتْزَرْ»، وَالَّتِي كَانَتْ مُقَدِّمَةً لِفَوْزِهِ بِجَائِزَةِ «نُوبِلْ» فِي الْآدَابِ عَامَ 1954م.

قَالَتْ «فَرِيدَةُ» فِي تَشَوُّقٍ:

- حَدِّثْنَا عَنْ مُلَخَّصٍ لَهَا مِنْ فَضْلِكَ يَا دُكْتُورُ «مَرْعِي».

رَدَّ الدُّكْتُورُ قَائِلًا:

- بِكُلِّ سُرُورٍ.. «الْعَجُوزُ وَالْبَحْرُ» رِوَايَةٌ تَحْكِي حِكَايَةَ صَيَّادِ أَسْمَاكٍ عَجُوزٍ مِنْ «كُوبَا» يُدْعَى «سَانْتِيَاجُو»، كَانَ مِنْ أَمْهَرِ صَيَّادِي السَّمَكِ فِي بَلْدَتِهِ، وَلَكِنَّهُ فِي فَتْرَةٍ مِنَ الْفَتَرَاتِ قُدِّرَتْ بِأَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِينَ يَوْمًا لَمْ يَظْفَرْ بِسَمَكَةٍ وَاحِدَةٍ! فَقَرَّرَ أَنْ يُوغِلَ فِي الْبَحْرِ بَعِيدًا عَنْ مِينَاءِ «هَافَانَا»، وَسَارَ بِمَرْكَبِهِ دَاخِلَ الْبَحْرِ وَهُوَ يَأْمُلُ فِي أَنْ يَصْطَادَ سَمَكَةً كَبِيرَةً يُعَوِّضُ بِهَا الْأَيَّامَ الْعِجَافَ، وَيَسْتَعِيدُ بِهَا كِبْرِيَاءَهُ بِاعْتِبَارِهِ مِنْ أَمْهَرِ صَيَّادِي السَّمَكِ.

وَبِالْفِعْلِ، اسْتَطَاعَ الصَّيَّادُ الْعَجُوزُ أَنْ يَصْطَادَ سَمَكَةً ضَخْمَةً كَانَتْ مِنْ نَوْعِ «الْمُرْلِين»، وَالَّتِي يَزِيدُ طُولُهَا عَلَى طُولِ الْمَرْكَبِ الَّذِي يَقُودُهُ «سَنْتِيَاجُو». ظَلَّتِ السَّمَكَةُ الْكَبِيرَةُ تَحْتَ سَطْحِ الْمَاءِ تُقَاوِمُ فِي مُحَاوَلَةٍ لِلتَّخَلُّصِ مِنَ الْخُطَّافِ دُونَ جَدْوَى، وَظَلَّ الْحَالُ

عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ لِمُدَّةِ يَوْمَيْنِ! صَعِدَتْ بَعْدَهَا سَمَكَةُ «المُرْلِين» إِلَى سَطْحِ الْمَاءِ بَعْدَ أَنْ أَدْرَكَهَا التَّعَبُ وَالْإِرْهَاقُ، وَظَلَّتْ تَدُورُ حَوْلَ الْمَرْكَبِ، وَفِي لَحْظَةٍ مِنَ اللَّحَظَاتِ أَصْبَحَتِ السَّمَكَةُ فِي مُحَاذَاةِ الْمَرْكَبِ، فَإِذَا بِالصَّيَّادِ الْعَجُوزِ الْمَاهِرِ يَرْمِيهَا بِرُمْحِهِ، فَنَالَ مِنْهَا وَقَتَلَهَا.

سَعِدَ «سَانْتِيَاجُو» بِهَذَا الْإِنْجَازِ، وَرَبَطَ رَأْسَ السَّمَكَةِ فِي مُقَدِّمَةِ الْمَرْكَبِ الْعُلْوِيَّةِ؛ لِيَعُودَ بِهَا مُنْتَصِرًا إِلَى «هَافَانَا»، وَلَكِنَّ السَّمَكَةَ كَانَتْ قَدْ نَزَفَتْ دِمَاءً غَزِيرَةً فِي الْبَحْرِ، مِمَّا جَذَبَ إِلَيْهَا أَعْدَادًا غَيْرَ قَلِيلَةٍ مِنْ سَمَكِ الْقِرْشِ، وَالَّتِي بَدَأَتْ تَنْهَشُ لَحْمَ هَذِهِ السَّمَكَةِ الضَّخْمَةِ!

حَاوَلَ الصَّيَّادُ الْعَجُوزُ الدِّفَاعَ عَنْ صَيْدِهِ الثَّمِينِ ضِدَّ أَسْمَاكِ الْقِرْشِ، وَلَكِنْ لِكَثْرَتِهَا تَمَكَّنَتْ مِنَ الْتِهَامِ لَحْمِ سَمَكَةِ «المُرْلِين»، وَحِينَ وَصَلَ «سَانْتِيَاجُو» إِلَى شَاطِئِ الْمِينَاءِ وَجَدَ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ السَّمَكَةِ غَيْرَ هَيْكَلِهَا الْعَظْمِيِّ، وَكَانَ الْإِجْهَادُ وَالتَّعَبُ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ مَا أَخَذَ، فَذَهَبَ إِلَى كُوخِهِ وَأَلْقَى بِجَسَدِهِ فَوْقَ فِرَاشِهِ وَنَامَ نَوْمًا عَمِيقًا، وَظَلَّ الْهَيْكَلُ الْعَظْمِيُّ لِلسَّمَكَةِ الضَّخْمَةِ مَتْرُوكًا عَلَى الشَّاطِئِ؛ فُرْجَةً لِلنَّاظِرِينَ وَمُتْعَةً لِلسَّائِحِينَ.

قَالَ «بَاسِلٌ»:

- يَا لَهَا مِنْ قِصَّةٍ مُثِيرَةٍ! شُكْرًا يَا دُكْتُور «مَرْعِي». وَالْآنَ، وَبَعْدَ أَنْ شَاهَدْنَا وَاكْتَسَبْنَا مَعَارِفَ وَخِبْرَاتٍ عَنِ الْحُوتِ، وَالدُّلْفِينِ، وَسَمَكِ الْقِرْشِ، نَوَدُّ التَّعَرُّفَ عَلَى التِّمْسَاحِ وَأَهَمِّ خَصَائِصِهِ وَصِفَاتِهِ.

رَدَّتِ الْمُشْرِفَةُ «هِبَةُ» قَائِلَةً:

- سَوْفَ تُشَاهِدُونَ التِّمْسَاحَ، وَتَعْرِفُونَ مَعْلُومَاتٍ عَنْهُ فِي حَدِيقَةِ الْحَيَوَانِ.

شَكَرَ الْأَصْدِقَاءُ الدُّكْتُورَ «مَرْعِي» وَالْمُشْرِفَةَ «هِبَةَ» عَلَى كُلِّ مَا قَدَّمَاهُ لَهُمْ، وَذَهَبُوا فِي اتِّجَاهِ حَدِيقَةِ الْحَيَوَانِ.

رَابِعًا: التِّمْسَاحُ

كَانَ اللِّقَاءُ دَاخِلَ حَدِيقَةِ الْحَيَوَانَاتِ بَيْنَ الْأَصْدِقَاءِ وَالدُّكْتُورِ «مَنْدُورِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ» وَالدُّكْتُورَةِ «هِنْد يُوسُف» الطَّبِيبَةِ الْبَيْطَرِيَّةِ. بَدَأَتْ «رَنَا» الْحَدِيثَ وَالتَّحِيَّاتِ، وَقَالَتْ:

- كُنَّا فِي مُتْحَفِ الْأَحْيَاءِ الْمَائِيَّةِ، وَتَعَرَّفْنَا عَلَى الْحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِيَّةِ: الْحُوتِ وَالدُّلْفِينِ وَالْقِرْشِ، وَمِنْ ثَمَّ جِئْنَا لِنَتَعَرَّفَ عَلَى الزَّوَاحِفِ وَالْحَيَوَانَاتِ الْبَرْمَائِيَّةِ، وَأَرَى أَنْ نَبْدَأَ بِـ«التِّمْسَاحِ».

ابْتَسَمَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» وَقَالَ:

- حَسَنًا.. مَا دَامَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَهَيَّا بِنَا إِلَى بُحَيْرَةِ التَّمَاسِيحِ بِالْحَدِيقَةِ؛ لِنَتَعَرَّفَ عَلَى هَذَا الْحَيَوَانِ الزَّاحِفِ الْخَطِيرِ، وَالَّذِي يَعِيشُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْيَابِسَةِ.

تَسَاءَلَ «مُرَادٌ»:

- هَلْ تَعِيشُ التَّمَاسِيحُ فِي مِيَاهِ الْأَنْهَارِ الْعَذْبَةِ أَمْ فِي مِيَاهِ الْبِحَارِ الْمَالِحَةِ؟

أَجَابَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» قَائِلَةً:

- مُعْظَمُ أَنْوَاعِ التَّمَاسِيحِ تَعِيشُ فِي مِيَاهِ الْأَنْهَارِ الْعَذْبَةِ، إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ أَنْوَاعًا مِنْهَا - مِثْلَ التِّمْسَاحِ الْأَمْرِيكِيِّ وَالتِّمْسَاحِ

التَّصْنِيفُ الْعِلْمِيُّ:

الْمَمْلَكَةُ : الْحَيَوَانِيَّةُ.

الصِّنْفُ : التَّمْسَاحِيَّاتُ.

الرُّتْبَةُ : الزَّوَاحِفُ.

أَنْوَاعُهُ : يُوجَدُ لِلتَّمَاسِيحِ 13 نَوْعًا مِنْ أَهَمِّهَا: الْهِنْدِيُّ، الْأَمْرِيكِيُّ، النِّيلِيُّ، الْأَفْرِيقِيُّ، الْأُسْتُرَالِيُّ، الصِّينِيُّ.

معلومة نهمك

- يُشَكِّلُ التِّمْسَاحُ مَعَ الزَّوَاحِفِ الْأُخْرَى - مِثْلِ الْحَيَّاتِ وَالسَّلَاحِفِ وَالْحِرْبَاوَاتِ - أَقْدَمَ أَشْكَالِ الْحَيَاةِ الْحَيَوَانِيَّةِ، وَقَدْ وُجِدَ مَنْقُوشًا عَلَى جُدْرَانِ مَعَابِدِ قُدَمَاءِ الْمِصْرِيِّينَ مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ.
- غَالِبًا مَا يَنْشَطُ التِّمْسَاحُ لِلْقَنْصِ وَاصْطِيَادِ فَرَائِسِهِ فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ، أَمَّا فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ فَهُوَ يُفَضِّلُ أَنْ يَتَمَشَّى عَلَى الْيَابِسَةِ، وَلَكِنَّهُ مِنْ حِينٍ لِآخَرَ يَنْزِلُ الْمَاءَ لِيُرَطِّبَ جِلْدَهُ.

الْأُسْتُرَالِيِّ ـ تَعِيشُ فِي الْأَنْهَارِ وَالْبِحَارِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ.

وَعِنْدَ بُحَيْرَةِ التَّمَاسِيحِ شَاهَدَ الْأَصْدِقَاءُ مَجْمُوعَةً مِنَ التَّمَاسِيحِ، بَعْضُهَا كَبِيرٌ ضَخْمٌ، وَشَكْلُهَا يُرْعِبُ مَنْ يَرَاهَا، وَخَاصَّةً عِنْدَمَا تَفْتَحُ فَمَهَا وَتُظْهِرُ أَسْنَانَ فَكِّهَا الْمُدَبَّبَةَ، وَبَعْضُهَا صَغِيرٌ نِسْبِيًّا، وَبَعْضُهَا يَعُومُ فِي مِيَاهِ الْبُحَيْرَةِ، وَالْبَعْضُ الْآخَرُ يَقِفُ عَلَى الْيَابِسَةِ فِي اسْتِرْخَاءٍ.

قَالَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ»:

- يُعَدُّ التِّمْسَاحُ مِنْ أَضْخَمِ الزَّوَاحِفِ البَرْمَائِيَّةِ، وَهُوَ يَنْتَسِبُ إِلَى فَصِيلَةِ «التِّمْسَاحِيَّاتِ»، وَلَهُ فَمٌ وَاسِعٌ بِهِ سِتُّونَ نَابًا فِي فَكِّهِ الْأَعْلَى، وَأَرْبَعُونَ نَابًا فِي الْأَسْفَلِ، وَلَهُ لِسَانٌ طَوِيلٌ. وَجِسْمُهُ طَوِيلٌ وَأَرْجُلُهُ قَصِيرَةٌ، وَلَهُ ذَيْلٌ (ذَنَبٌ) طَوِيلٌ قَوِيٌّ يُمَكِّنُهُ مِنَ السِّبَاحَةِ بِمَهَارَةٍ فِي الْمَاءِ. وَلِلتِّمْسَاحِ جُمْجُمَةٌ ضَخْمَةٌ، وَجِسْمُهُ مُغَطًّى بِقُشُورٍ ثَقِيلَةٍ، وَأَقْدَامُهُ الْقَوِيَّةُ بِهَا مَخَالِبُ.

لَاحَظَتْ «شَهْدٌ» أَمْرًا مَا عَلَى تِمْسَاحٍ فِي مِيَاهِ الْبُحَيْرَةِ، فَقَالَتْ:

- لِسَانُ التِّمْسَاحِ مُثَبَّتٌ فِي سَقْفِ الْفَمِ، وَرَغْمَ أَنَّهُ طَوِيلٌ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ إِخْرَاجَهُ مِنْ فَمِهِ، كَمَا أَنَّ حَاسَّةَ الشَّمِّ لَدَى التِّمْسَاحِ قَوِيَّةٌ لِلْغَايَةِ، وَمَصْدَرُهَا وُجُودُ الْأَنْفِ ذِي الْمِنْخَرَيْنِ عِنْدَ طَرَفِ فَمِ التِّمْسَاحِ.
- أَغْلَبُ التَّمَاسِيحِ لَهَا غُدَّةٌ ـ أَوْ غُدَّتَانِ ـ تُفْرِزُ عِطْرًا زَيْتِيًّا جَمِيلَ الرَّائِحَةِ يُسَمَّى «دُهْنَ الْمِسْكِ»، لَوْنُهُ مُخْضَرٌّ، وَتُوجَدُ هَذِهِ الْغُدَّةُ فِي الذَّقْنِ، وَهِيَ تُفْرِزُ رَائِحَتَهَا الْعِطْرِيَّةَ هَذِهِ فِي أَيَّامِ الْمُغَازَلَةِ وَالتَّزَاوُجِ بَيْنَ هَذِهِ التَّمَاسِيحِ.

- انْظُرُوا إِلَى هَذَا التِّمْسَاحِ العَجِيبِ! إِنَّ جِسْمَهُ كُلَّهُ سَاكِنٌ فِي المَاءِ، وَلَا يَظْهَرُ مِنْهُ سِوَى عَيْنَيْهِ وَطَرَفِ أَنْفِهِ! إِنَّهُ يَبْدُو وَكَأَنَّهُ كُتْلَةٌ مِنَ الْخَشَبِ مَغْمُورَةٌ فِي المَاءِ.

عَلَّقَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» عَلَى مَلْحُوظَةِ «شَهْدٍ» قَائِلَةً:

- نَعَمْ.. نَعَمْ. إِنَّ التِّمْسَاحَ فِي الْمَاءِ يَبْدُو - وَهُوَ سَاكِنٌ بِلَا حَرَاكٍ - وَكَأَنَّهُ كُتْلَةٌ مِنَ الْخَشَبِ مَغْمُورَةٌ فِي المَاءِ، فَإِذَا مَا اقْتَرَبَتْ مِنْهُ الفَرِيسَةُ انْقَضَّ عَلَيْهَا فِي سُرْعَةِ الْبَرْقِ وَأَمْسَكَهَا بَيْنَ فَكَّيْهِ القَوِيَّيْنِ، وَسَحَبَهَا تَحْتَ سَطْحِ الْمَاءِ، حَيْثُ يَبْتَلِعُهَا فِي ثَوَانٍ.

سَأَلَ «نَدِيمٌ»:

- أَلَا يَدْخُلُ الْمَاءُ دَاخِلَ رِئَتَيْهِ وَهُوَ يَبْتَلِعُ فَرِيسَتَهُ؟

رَدَّتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ»:

- أَحْسَنْتَ الْمُلَاحَظَةَ يَا «نَدِيمُ»! حَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّ دَاخِلَ أَنْفِ وَحَلْقِ التِّمْسَاحِ صِمَامَاتٌ تُمَكِّنُهُ مِنَ ابْتِلَاعِ فَرِيسَتِهِ وَهُوَ بِدَاخِلِ الْمَاءِ، دُونَ أَنْ يَدْخُلَ الْمَاءُ إِلَى رِئَتَيْهِ. وَيُلَاحَظُ أَنَّ التَّمَاسِيحَ تَتَغَذَّى عَلَى الْحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ عَلَى الْحَيَوَانَاتِ البَرِّيَّةِ الَّتِي تَرِدُ المِيَاهَ لِتَشْرَبَ، مِثْلَ: الْغَزَالِ، وَالْأَبْقَارِ الْوَحْشِيَّةِ، وَالطُّيُورِ، كَمَا أَنَّهَا تُهَاجِمُ الْإِنْسَانَ وَتَفْتَرِسُهُ.

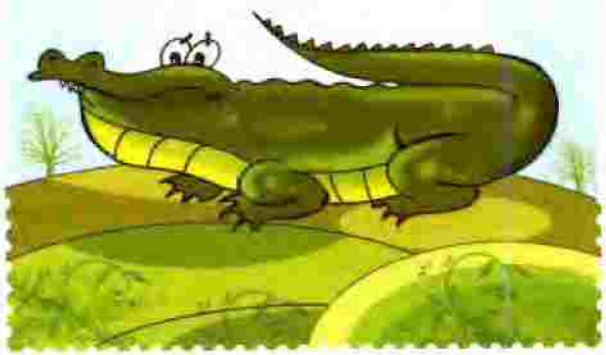

معلومة نهمك

- دَاخِلَ جُمْجُمَةِ التِّمْسَاحِ مُخٌّ لَا يَزِيدُ عَلَى حَجْمِ فِنْجَانِ الشَّايِ.
- يَسْتَطِيعُ تِمْسَاحُ النِّيلِ أَنْ يَصْطَادَ الْجَامُوسَ وَالْبَقَرَ وَالْحِمِيرَ وَيَأْكُلَ لُحُومَهَا؛ حَيْثُ يَكْمُنُ فِي مِيَاهِ النَّهْرِ وَلَا يَبْرُزُ مِنْهُ سِوَى مِنْخَارَيْهِ وَعَيْنَيْهِ، وَيَظَلُّ سَاكِنًا حَتَّى يَنْزِلَ أَحَدُ أَفْرَادِ القَطِيعِ لِيَشْرَبَ، وَهُنَا يَنْقَضُّ عَلَيْهِ التِّمْسَاحُ بِسُرْعَةٍ مُذْهِلَةٍ، فَيَقْضِي عَلَيْهِ وَيَفْتَرِسُهُ فِي الْحَالِ.

تَسَاءَلَتْ «نَدَى» قَائِلَةً:

- مَاذَا عَنْ تَكَاثُرِ التَّمَاسِيحِ؟

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ»:

- بَعْدَ تَزَاوُجِ ذَكَرِ التِّمْسَاحِ مَعَ أُنْثَاهُ، تَحْفِرُ أُنْثَى التِّمْسَاحِ حُفْرَةً فِي الرِّمَالِ عَلَى ضِفَافِ الْمِيَاهِ، وَتَضَعُ فِيهَا بَيْضَهَا، وَيَتَرَاوَحُ عَدَدُ الْبَيْضِ مِنْ 40 ـ 90 بَيْضَةً، ثُمَّ تُغَطِّيهِ بِالرِّمَالِ وَالْأَعْشَابِ. وَيُشْبِهُ بَيْضُ التَّمَاسِيحِ بَيْضَ الدَّجَاجِ، إِلَّا أَنَّهُ أَكْبَرُ حَجْمًا وَقِشْرَتُهُ أَقَلُّ بَرِيقًا، وَتَبْقَى أُنْثَى التِّمْسَاحِ قَرِيبَةً مِنْ هَذِهِ الْحُفْرَةِ لِعِدَّةِ أَسَابِيعَ دُونَ أَنْ تَتَنَاوَلَ طَعَامًا. وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ تُصْدِرُ الصِّغَارُ أَصْوَاتًا مِنْ دَاخِلِ الْبَيْضِ، فَتُبَادِرُ الْأُمُّ بِكَشْفِ الْحُفْرَةِ، وَسُرْعَانَ مَا تَخْرُجُ الصِّغَارُ مِنْهَا بَاحِثَةً عَنْ مَلْجَإٍ آمِنٍ، فَتَأْخُذُ الْأُمُّ كُلَّ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ مِنْ صِغَارِهَا فِي فَمِهَا لِتَنْقُلَهَا إِلَى الْمَاءِ، وَهُنَاكَ تَبْقَى الصِّغَارُ بِجِوَارِ الْأُمِّ، وَالَّتِي تَبْذُلُ جُهْدًا كَبِيرًا فِي رِعَايَةِ صِغَارِهَا، وَالَّتِي تَتَسَلَّقُ أَحْيَانًا ظَهْرَ أُمِّهَا.

تَدَخَّلَ «مُعَاذٌ» فِي الْحِوَارِ وَقَالَ:

- وَأَيْنَ تَعِيشُ التَّمَاسِيحُ؟

أَجَابَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ»:

- تَعِيشُ التَّمَاسِيحُ فِي الْمَنَاطِقِ الِاسْتِوَائِيَّةِ، وَهِيَ تُفَضِّلُ الْمِسَاحَاتِ الوَاسِعَةَ مِنَ الْمِيَاهِ الضَّحْلَةِ، وَالْأَنْهَارِ الرَّاكِدَةِ، وَالْمُسْتَنْقَعَاتِ الْمَفْتُوحَةِ، وَتُسَاعِدُهَا

— يَسْتَطِيعُ التِّمْسَاحُ أَنْ يَرَى تَحْتَ سَطْحِ الْمَاءِ كَمَا يَرَى فَوْقَهُ، أَيْ أَنَّهُ يَمْتَلِكُ قُدْرَةً عَلَى الرُّؤْيَةِ الْمُزْدَوَجَةِ. وَهُوَ يَرَى الْأَشْيَاءَ فِي الْمَاءِ حَتَّى وَلَوْ كَانَ عَكِرًا، كَمَا أَنَّهُ يَرَى الْأَشْيَاءَ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى وَلَوْ كَانَ ضَوْءُ الشَّمْسِ مُبْهِرًا.

— شَهِيَّةُ التِّمْسَاحِ دَائِمًا مَفْتُوحَةٌ، فَهُوَ حَيَوَانٌ نَهِمٌ، فَعِنْدَمَا يَأْكُلُ يَكُونُ شَرِهًا، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ لَدَيْهِ الْقُدْرَةَ عَلَى مُقَاوَمَةِ الْجُوعِ فِي الظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ، وَأَحْيَانًا يَأْكُلُ كُلَّ مَا يُصَادِفُهُ حَتَّى لَوْ لَمْ يُفِدْهُ فِي شَيْءٍ!

أَقْدَامُهَا ذَاتُ الْأَغْشِيَةِ عَلَى السَّيْرِ فَوْقَ الْأَرْضِ الطَّرِيَّةِ، وَيُلَاحَظُ أَنَّ هَذِهِ الْمَنَاطِقَ مُرْتَفِعَةُ الْحَرَارَةِ، مِثْلَ: وَسَطِ أَفْرِيقْيَا، وَشَمَالِيِّ أُسْتُرَالْيَا، وَالْهِنْدِ، وَالْفِلِبِّين، وَبَنْجلادِشْ، وَفِي الصِّينِ، وَجَنُوبِ شَرْقِيِّ الوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ.

وَيَبْلُغُ مُتَوَسِّطُ طُولِ التِّمْسَاحِ الْبَالِغِ 6 أَمْتَارٍ، وَالذَّكَرُ أَكْبَرُ حَجْمًا مِنَ الْأُنْثَى، وَهَذَا التِّمْسَاحُ الضَّخْمُ يَكُونُ طُولُهُ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الْبَيْضَةِ مِنْ 20 ـ 25 سم.

وَأَكْبَرُ التَّمَاسِيحِ حَجْمًا هُوَ التِّمْسَاحُ الْأُسْتُرَالِيُّ؛ إِذْ يَبْلُغُ طُولُهُ 9 أَمْتَارٍ تَقْرِيبًا، وَهُوَ يَعِيشُ فِي الْمِيَاهِ الْمَالِحَةِ، وَيَأْكُلُ الْإِنْسَانَ إِذَا وَجَدَ فُرْصَةً مُوَاتِيَةً، وَيُعَدُّ أَكْبَرَ أَنْوَاعِ الزَّوَاحِفِ الْمَوْجُودَةِ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ.

تَسَاءَلَتْ «فَرِيدَةُ» قَائِلَةً:

- مَاذَا عَنْ أَلْوَانِ التَّمَاسِيحِ؟

رَدَّ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» قَائِلًا:

- لَوْنُ جِلْدِ التَّمَاسِيحِ البَالِغَةِ هُوَ اللَّوْنُ الْأَسْوَدُ مَعَ بَعْضِ الْأَجْزَاءِ الْفَاتِحَةِ عِنْدَ الْبَطْنِ، وَالْغَامِقَةِ اللَّوْنِ عِنْدَ الذَّنَبِ (الذَّيْلِ). وَالتَّمَاسِيحُ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَوْنُهَا فَاتِحٌ مَعَ تَقَاطُعَاتٍ عَرْضِيَّةٍ غَامِقَةٍ عَلَى الْجِسْمِ وَعِنْدَ الذَّنَبِ. وَلِذَا تَتَعَرَّضُ التَّمَاسِيحُ لِعَمَلِيَّاتِ الصَّيْدِ عَلَى نِطَاقٍ وَاسِعٍ؛ بِهَدَفِ الْحُصُولِ عَلَى جُلُودِهَا، وَالَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي صُنْعِ الْأَحْذِيَةِ وَالْحَقَائِبِ وَالْأَحْزِمَةِ، وَقَدْ أَصْبَحَتْ أَنْوَاعٌ مِنَ التَّمَاسِيحِ مُهَدَّدَةً بِالانْقِرَاضِ. وَقَدْ سُنَّتِ الْقَوَانِينُ فِي بُلْدَانٍ عَدِيدَةٍ مِنَ الْعَالَمِ لِمَنْعِ صَيْدِ التَّمَاسِيحِ؛ لِلْحِفَاظِ عَلَى بَعْضِ

أَنْواعِهَا مِنَ الِانْقِراضِ.

ابْتَسَمَ «بَاسِلٌ» وَقَالَ:

- نَسْمَعُ كَثِيرًا عَنْ دُمُوعِ التَّمَاسِيحِ، وَأَنَّ التَّمَاسِيحَ تَبْكِي عَلَى فَرِيسَتِهَا وَهِيَ تَلْتَهِمُهَا. فَهَلْ هَذِهِ حَقِيقَةٌ؟ أَمْ مَاذَا؟

ابْتَسَمَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» وَقَالَتْ:

- دُمُوعُ التَّمَاسِيحِ الَّتِي تَتَسَاقَطُ مِنْ عُيُونِهَا فِي أَثْنَاءِ الْتِهَامِ فَرِيسَتِهَا هِيَ دُمُوعٌ زَائِفَةٌ، وَلَا تَدُلُّ مُطْلَقًا عَلَى حُزْنِ التِّمْسَاحِ عَلَى فَرِيسَتِهِ، وَلَكِنَّهُ فِي أَثْنَاءِ الْتِهَامِهَا تَضْغَطُ لُحُومُ الفَرِيسَةِ عَلَى الغُدَدِ الدَّمْعِيَّةِ لِلتِّمْسَاحِ، فَتَتَسَاقَطُ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْهِ. وَفِي مُجْتَمَعِنَا يُطْلَقُ عَلَى دُمُوعِ شَخْصٍ مَا إِذَا تَسَاقَطَتْ دُونَ أَحَاسِيسِ حُزْنٍ حَقِيقِيَّةٍ «دُمُوعُ التَّمَاسِيحِ».

قَالَتْ «رَنَا»:

- دُكْتُورُ «مَنْدُورُ»، مِنْ فَضْلِكَ حَدِّثْنَا عَنْ تَمَاسِيحِ النِّيلِ.

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» قَائِلًا:

- حَسَنًا يَا «رَنَا».. إِنَّ تِمْسَاحَ النِّيلِ كَانَ يَنْتَشِرُ مُنْذُ قَدِيمِ الزَّمَنِ فِي أَرْجَاءِ النِّيلِ، مِنْ مَنَابِعِهِ فِي وَسَطِ القَارَّةِ الْأَفْرِيقِيَّةِ إِلَى مَصَبِّهِ فِي شَمَالِيِّ مِصْرَ، وَلَكِنَّهُ الآنَ اخْتَفَى مِنْ مِصْرَ وَأَجْزَاءٍ أُخْرَى مِنْ نَهْرِ النِّيلِ، وَلَمْ يَعُدْ يَظْهَرُ إِلَّا فِي بُحَيْرَةِ «تِشَاد» فِي الصَّحْرَاءِ الْكُبْرَى، وَفِي «مَدْغَشْقَرَ»، وَتُوجَدُ بَعْضُ تَجَمُّعَاتِهِ عِنْدَ مَصَبَّاتِ الْأَنْهَارِ الْأَفْرِيقِيَّةِ، وَتُوجَدُ تَجَمُّعَاتٌ مِنْهُ فِي المِيَاهِ المُنْعَزِلَةِ فِي مُورِيتَانْيَا وَالْجَزَائِرِ وَتُونُسَ وَلِيبْيَا. وَيُقَالُ إِنَّ قُدَمَاءَ المِصْرِيِّينَ مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ كَانُوا يُرَبُّونَ التَّمَاسِيحَ فِي أَحْوَاضٍ قُرْبَ الْمَعَابِدِ، وَكَانُوا يُقَدِّسُونَهَا وَيُصَوِّرُونَهَا عَلَى جُدْرَانِ الْمَعَابِدِ، وَإِذَا مَاتَ تِمْسَاحٌ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُحَنِّطُونَهُ وَيَضَعُونَهُ

كَالْمُومِيَاءِ فِي صُنْدُوقٍ، ثُمَّ يُدْفَنُ فِي مَقَابِرَ خَاصَّةٍ تُسَمَّى «مَقَابِرَ التَّمَاسِيحِ الْمُقَدَّسَةِ»، وَطُولُ تِمْسَاحِ النِّيلِ حَوَالَيْ ٥ أَمْتَارٍ، وَيَزِيدُ وَزْنُهُ عَلَى 700 كِيلُو جِرَامٍ، وَيَتَمَيَّزُ بِرَأْسِهِ الْمُثَلَّثِ.

وَأَكْمَلَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ:

- كَذَلِكَ تُوجَدُ فِي «الْهِنْدِ» التَّمَاسِيحُ الْهِنْدِيَّةُ الَّتِي يُقَدِّسُهَا الْهُنُودُ، وَهِيَ تَمْتَازُ بِالْفَكِّ الطَّوِيلِ جِدًّا، وَتَقْضِي أَغْلَبَ وَقْتِهَا فِي الْمَاءِ تَأْكُلُ الْأَسْمَاكَ، وَلَا تَخْرُجُ إِلَى الشَّاطِئِ إِلَّا وَقْتَ وَضْعِ الْبَيْضِ.

قَالَ «مُرَادٌ»:

- قَرَأْتُ فِي إِحْدَى الْمَجَلَّاتِ بِمَكْتَبَةِ الْمَدْرَسَةِ أَنَّ هُنَاكَ صَدَاقَةً غَرِيبَةً بَيْنَ تِمْسَاحِ النِّيلِ وَطَائِرٍ يُسَمَّى «الْقَطْقَاطَ»؛ حَيْثُ يَقِفُ التِّمْسَاحُ فَاتِحًا فَاهُ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَدْ تَنَاوَلَ وَجْبَةً دَسِمَةً، فَيَدْخُلُ طَائِرُ الْقَطْقَاطِ فَمَهُ وَيَخْرُجُ مِنْهُ دُونَ خَوْفٍ، وَدُونَ أَنْ يُطْبِقَ التِّمْسَاحُ فَكَّيْهِ عَلَيْهِ؛ حَيْثُ يَلْتَقِطُ الطَّائِرُ بَقَايَا اللَّحْمِ الْمَوْجُودِ بَيْنَ أَسْنَانِهِ، فَكَأَنَّهُ يُنَظِّفُ أَسْنَانَ التِّمْسَاحِ، كَمَا يَلْتَقِطُ الدِّيدَانَ وَالْحَيَوَانَاتِ الصَّغِيرَةَ الضَّارَّةَ الَّتِي تَعِيشُ فِي فَمِ هَذَا الْعِمْلَاقِ الضَّخْمِ، وَيَتَغَذَّى الطَّائِرُ عَلَيْهَا.

وَإِذَا رَأَى هَذَا الطَّائِرُ خَطَرًا قَادِمًا ـ صَيَّادًا مَثَلًا ـ فَإِنَّهُ يُصْدِرُ صَفِيرًا يَسْمَعُهُ التِّمْسَاحُ وَيَعْرِفُ مَعْنَاهُ، فَيَبْتَعِدُ عَنْ هَذَا الْخَطَرِ وَيَنْزِلُ فِي الْمَاءِ بَعِيدًا.

تَسَاءَلَتْ «شَهْدٌ» قَائِلَةً:

- سَمِعْتُ أَنَّ هُنَاكَ بُحَيْرَةً تُسَمَّى «بُحَيْرَةَ التِّمْسَاحِ»، فَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ الْبُحَيْرَةُ؟

أَجَابَ «نَدِيمٌ» قَائِلًا:

- أَنَا أَعْرِفُ الْإِجَابَةَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ؛ لِأَنَّ أَحَدَ أَعْمَامِي يَسْكُنُ مَدِينَةَ «الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ»، وَأَنَا أَزُورُهُ مَرَّةً كُلَّ عَامٍ، حَيْثُ تَقَعُ هَذِهِ الْمَدِينَةُ عَلَى الضِّفَّةِ الْغَرْبِيَّةِ لِقَنَاةِ السُّوَيْسِ، فِي مُنْتَصَفِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ مَدِينَةِ بُورْسَعِيدَ شَمَالًا، وَمَدِينَةِ السُّوَيْسِ جَنُوبًا، وَيَزْدَادُ عَرْضُ

قَنَاةِ السُّوَيْسِ عِنْدَ مَدِينَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ لِيَضُمَّ أَرْبَعَ بُحَيْرَاتٍ مَالِحَةٍ مِنْهَا بُحَيْرَةُ التِّمْسَاحِ، وَالْبُحَيْرَاتُ الْمُرَّةُ.

قَالَتْ «نَدَى»:

- وَلِمَاذَا سُمِّيَتْ هَذِهِ الْبُحَيْرَةُ بِهَذَا الِاسْمِ؟ هَلْ كَانَ بِهَا تِمْسَاحٌ؟

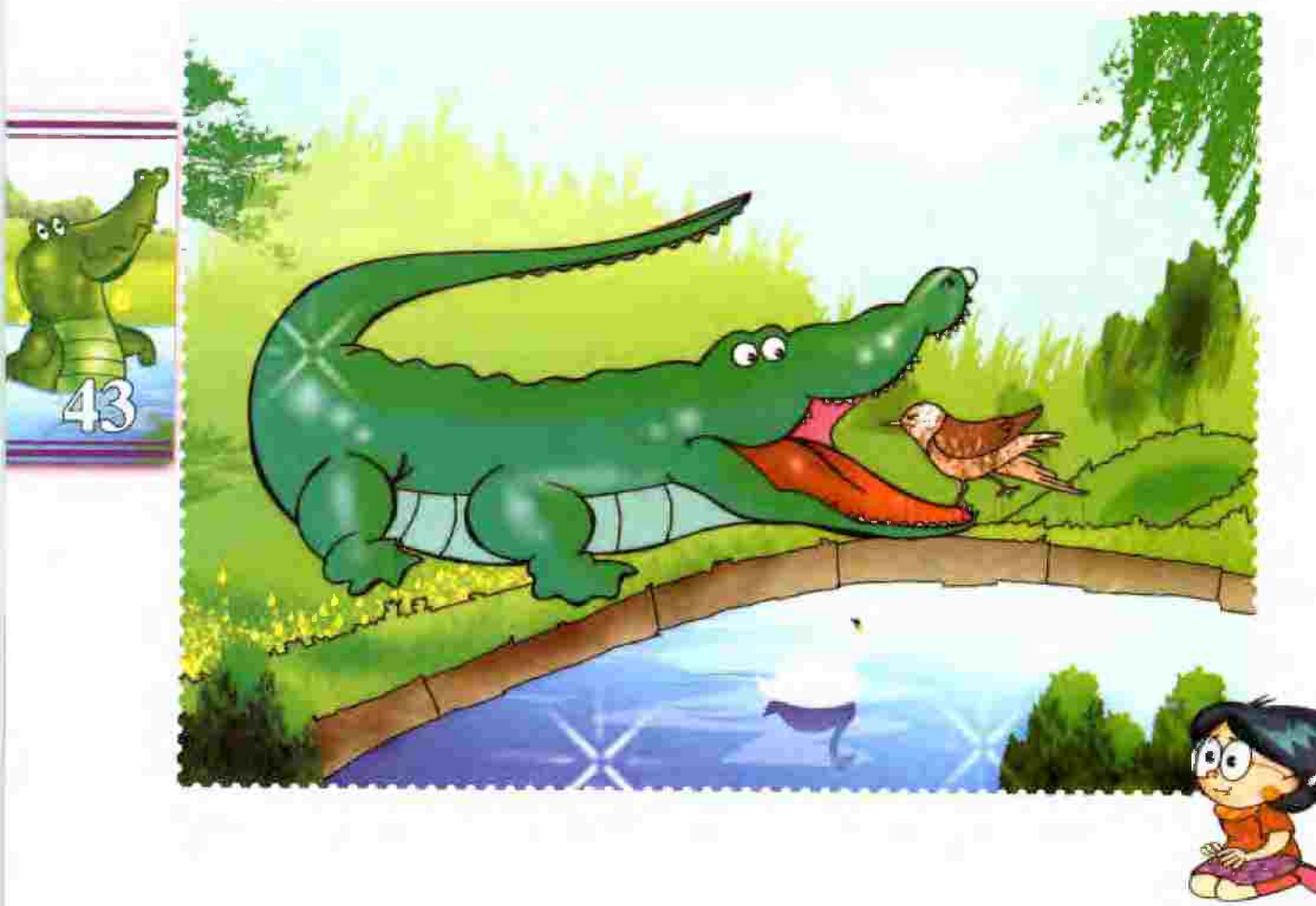

أَجَابَ «نَدِيمٌ»:

- لَا أَدْرِي.. رُبَّمَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ شُهْرَةَ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ تَأْتِي مِنْ كَوْنِهَا الْمَكَانَ الَّذِي أَغْرَقَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ فِيهِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ.

وَأَكْمَلَ «نَدِيمٌ» قَائِلًا:

- وَالْمِنْطَقَةُ الَّتِي غَرِقَ فِيهَا فِرْعَوْنُ لَا تَزَالُ مِيَاهُهَا تَفُورُ إِلَى الْيَوْمِ، وَتُسَمَّى «نَافُورَةَ فِرْعَوْنَ»، وَهِيَ تُعَدُّ مِنَ الْأَمَاكِنِ السِّيَاحِيَّةِ.

قَالَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ»:

- هَذِهِ مَعْلُومَاتٌ مُمْتَازَةٌ يَا «نَدِيمُ».. وَأَنَا قَرَأْتُ فِي كِتَابٍ عَنِ الْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ أَنَّ هُنَاكَ بَلْدَةً فِي وَسَطِ أَفْرِيقْيَا قَدِ اسْتَأْنَسَتِ التَّمَاسِيحَ، بِحَيْثُ صَارَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَلْدَةِ يَتَعَايَشُونَ مَعَ التَّمَاسِيحِ، وَيَلْعَبُونَ مَعَهَا، بَلْ إِنَّ الْأَطْفَالَ كَانُوا يَرْكَبُونَهَا كَمَا تُرْكَبُ الدَّوَابُّ دُونَ خَشْيَةٍ مِنْ أَنْ تُؤْذِيَهُمْ هَذِهِ التَّمَاسِيحُ الْمُتَوَحِّشَةُ!!

قَالَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ»:

- وَأَنَا شَاهَدْتُ فِيلْمًا تِلِيفِزْيُونِيًّا يَحْكِي قِصَّةَ بَلْدَةٍ سَاحِلِيَّةٍ صَغِيرَةٍ فِي إِحْدَى جُزُرِ إِنْدُونِيسْيَا؛ حَيْثُ كَانَ فِي بَحْرِ هَذِهِ الْبَلْدَةِ تِمْسَاحٌ ضَخْمٌ مُرْعِبٌ، يَبْلُغُ طُولُهُ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ أَمْتَارٍ، وَيَزِنُ أَكْثَرَ مِنْ طُنٍّ وَنِصْفِ الطُّنِّ، وَقَدْ تَكَرَّرَتْ مُهَاجَمَتُهُ لِلصَّيَّادِينَ فِي قَوَارِبِهِمْ فِي أَثْنَاءِ رِحْلَاتِهِمْ لِصَيْدِ الْأَسْمَاكِ، فَكَانَ يَقْلِبُ الْقَارِبَ بِضَرْبَةٍ مِنْ ذَنَبِهِ، وَيَلْتَهِمُ فِي سُرْعَةٍ مُذْهِلَةٍ الصَّيَّادِينَ الَّذِينَ يَسْتَقِلُّونَ هَذَا الْقَارِبَ، وَلَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ، بَلْ كَانَ هَذَا الْوَحْشُ الْخَطِيرُ يَتَجَوَّلُ لَيْلًا؛ لِيَلْتَهِمَ الْأَبْقَارَ وَالْمَاعِزَ، وَأَحْيَانًا بَعْضَ

أَهْـلِ هَذِهِ الْبَلْـدَةِ. وَقَدْ حَاوَلَ بَعْـضُ رِجَالِ الْبَلْـدَةِ التَّصَدِّيَ لِهَذَا التِّمْسَـاحِ الْمُخِيفِ لِلْقَضَـاءِ عَلَيْهِ، دُونَ جَدْوَى، وَفِي آخِرِ الْأَمْرِ تَمَّ اسْـتِقْدَامُ خَبِيرٍ فِي اصْطِيَادِ التَّمَاسِـيحِ، هُوَ وَمُسَـاعِدُهُ، وَالَّذِي رَاقَبَ تَحَرُّكَاتِ التِّمْسَاحِ لِعِدَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ نَصَبَ فِي الْبَحْرِ مِصْيَدَةً ضَخْمَةً ـ وَهِيَ تُشْـبِهُ إِلَى حَدٍّ مَا مِصْيَدَةَ الْفِئْرَانِ ـ وَوَضَعَ فِي الْمِصْيَدَةِ كُتْلَةً ضَخْمَةً مِنْ لَحْمِ السَّمَكِ، وَمَا هِيَ سِوَى سَاعَاتٍ قَلِيلَةٍ حَتَّى دَخَلَ التِّمْسَاحُ الْمِصْيَدَةَ لِيَلْتَهِمَ كُتْلَةَ السَّـمَكِ، فَأُغْلِقَ بَابُ الْمِصْيَدَةِ عَلَيْـهِ، وَحَاوَلَ أَنْ يُحَطِّمَ الْمِصْيَـدَةَ الْحَدِيدِيَّةَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْجَحْ، وَتَمَّ سَـحْبُ الْمِصْيَدَةِ بِحِبَالٍ قَوِيَّةٍ نَاحِيَةَ الشَّـاطِئِ، وَأُطْلِقَتْ عَلَيْهِ طَلْقَةٌ بِهَا مَـادَّةٌ مُخَـدِّرَةٌ، فَغَابَ عَنِ الْوَعْيِ، وَهَجَمَ عَلَيْهِ الْخَبِيرُ وَمُسَـاعِدُهُ، فَرَبَطَا فَكَّيْهِ بِإِحْكَامٍ بِوَاسِـطَةِ حَبْلٍ مَتِينٍ، وَكَذَلِكَ بَقِيَّةَ جِسْـمِهِ، وَتَمَّ نَقْلُهُ بِمُعَاوَنَةِ أَهْلِ الْبَلْدَةِ إِلَى عَرَبَةِ نَقْلٍ كَبِيرَةٍ؛ حَيْثُ كَانَتِ النِّيَّةُ بَيْعَهُ لِإِحْدَى حَدَائِقِ الْحَيَوَانِ الْعَالَمِيَّةِ.

سَعِدَ الْأَصْدِقَاءُ بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ الْمُثِيرَةِ، وَتَسَاءَلَتْ «نَدَى» قَائِلَةً:

ـ بَعْدَ أَنْ تَعَلَّمْنَا مَعَارِفَ وَحِكَايَاتٍ عَنِ التِّمْسَاحِ، مَاذَا عَنِ الْحَيَوَانِ التَّالِي؟

قَالَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ»:

ـ سَيَكُونُ الْحَيَوَانُ التَّالِي بِإِذْنِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ هُوَ «الثُّعْبَانَ».

خَامِسًا: الثُّعْبَانُ

تَوَجَّهَ الْأَصْدِقَاءُ بِرُفْقَةِ كُلٍّ مِنَ الدُّكْتُورِ «مَنْدُورِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ» وَالدُّكْتُورَةِ «هِنْدِ يُوسُفَ» إِلَى بَيْتِ الثَّعَابِينِ، حَيْثُ يُوجَدُ الْعَدِيدُ مِنْهَا فِي بُيُوتٍ زُجَاجِيَّةٍ ذَاتِ أَرْضِيَّاتٍ رَمْلِيَّةٍ، مَعَ وُجُودِ بَعْضِ فُرُوعِ أَشْجَارٍ مُخْتَلِفَةِ الطُّولِ وَالْحَجْمِ. وَعِنْدَمَا رَأَى الْأَصْدِقَاءُ الثَّعَابِينَ فِي بُيُوتِهَا الزُّجَاجِيَّةِ، بَدَا عَلَيْهِمُ الْخَوْفُ وَالرَّهْبَةُ مِنْ مَنْظَرِهَا الْمُخِيفِ الْمُرْعِبِ.

قَالَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ»:

- تُوجَدُ الثَّعَابِينُ فِي كُلِّ مَكَانٍ فِي الْعَالَمِ، وَهِيَ تَعِيشُ فِي الْغَابَاتِ الَّتِي يَكْثُرُ الْمَطَرُ فِيهَا، وَكَذَلِكَ فِي الْأَرَاضِي الْعُشْبِيَّةِ الْكَثِيفَةِ وَالْمُسْتَنْقَعَاتِ وَالصَّحَارِي. وَهِيَ تُفَضِّلُ الْعَيْشَ فِي الْأَمَاكِنِ الدَّافِئَةِ. وَتُوجَدُ أَنْوَاعٌ مِنْهَا فِي الْمِيَاهِ الْعَذْبَةِ، وَفِي الْمِيَاهِ الْمَالِحَةِ فِي الْبِحَارِ وَالْمُحِيطَاتِ.

وَأَكْمَلَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» الْحَدِيثَ:

- جِلْدُ الثُّعْبَانِ، مِثْلُ جِلْدِ كُلِّ الزَّوَاحِفِ، جَافٌّ وَمُحَرْشَفٌ، وَهُوَ مُكَوَّنٌ مِنْ مَادَّةٍ قَاسِيَةٍ وَلَيْسَتْ لَيِّنَةً كَالْأَظَافِرِ، وَهَذِهِ الْحَرَاشِفُ غَيْرُ قَابِلَةٍ لِتَسَرُّبِ

التَّصْنِيفُ الْعِلْمِيُّ:

الْمَمْلَكَةُ : الْحَيَوَانِيَّةُ.

الصِّنْفُ : الْحَيَّاتُ.

الرُّتْبَةُ : الْحَرْشَفِيَّاتُ.

أَلْوَانُهُ : لَهُ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَلْوَانِ، مِنْهَا: الْأَصْفَرُ، وَالْبُنِّيُّ، وَالذَّهَبِيُّ، وَالْأَسْوَدُ، وَالْأَخْضَرُ، وَالْمُزَرْكَشُ بَيْنَ الْأَصْفَرِ وَالْبُنِّيِّ.. وَغَيْرِ ذَلِكَ.

معلومة نهمل

- يُعَدُّ الثُّعْبَانُ حَيَوَانًا زَاحِفًا مِنْ ذَوَاتِ الدَّمِ الْبَارِدِ، أَيْ أَنَّ دَرَجَةَ حَرَارَةِ جِسْمِهِ غَيْرُ ثَابِتَةٍ، فَهِيَ مَعَ سُخُونَةِ الْجَوِّ وَالْأَرْضِ مُرْتَفِعَةٌ، وَهِيَ مَعَ بُرُودَةِ الْجَوِّ وَالْأَرْضِ مُنْخَفِضَةٌ، وَلَهُ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَسْمَاءِ، مِنْهَا: الثُّعْبَانُ، الْحَيَّةُ، الْأَفْعَى، الْحَنَشُ، الصِّلُّ، الْأَيِّمُ، وَالْأَيِّنُ.
- وُجِدَتْ بَعْضُ الْأَحَافِيرِ فِي طَبَقَاتٍ مُعَيَّنَةٍ مِنَ الْأَرْضِ أَشَارَتْ إِلَى أَنَّ الثَّعَابِينَ كَانَ لَهَا أَرْجُلٌ، لَكِنَّهَا

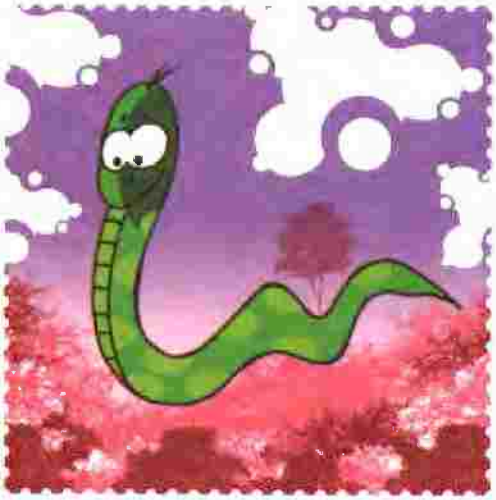

الْمَاءِ؛ لِذَا فَهِيَ تَحْتَفِظُ بِالرُّطُوبَةِ دَاخِلَ جِسْمِ الثُّعْبَانِ؛ كَيْ لَا يَجِفَّ فِي حَرَارَةِ الشَّمْسِ.

قَالَ «مُعَاذٌ»:

- قَرَأْتُ أَنَّ الثُّعْبَانَ قَادِرٌ عَلَى تَغْيِيرِ جِلْدِهِ كُلَّ فَتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ»:

- بَلَى.. وَتُسَمَّى هَذِهِ العَمَلِيَّةُ «انْسِلَاخَ الْجِلْدِ»؛ حَيْثُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْسَلِخَ مِنْ جِلْدِهِ مِنْ أَرْبَعٍ إِلَى خَمْسِ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ عَامٍ.

تَسَاءَلَتْ «فَرِيدَةُ»:

- وَمَا سِرُّ انْسِلَاخِ جِلْدِ الثُّعْبَانِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ فِي السَّنَةِ الوَاحِدَةِ؟

رَدَّتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» قَائِلَةً:

- عِنْدَمَا يَنْمُو الثُّعْبَانُ نُمُوًّا سَرِيعًا يُصْبِحُ جِلْدُهُ الْمُحَرْشَفُ ضَيِّقًا عَلَى جِسْمِهِ؛ لِذَا فَفِي كُلِّ بِضْعَةِ أَشْهُرٍ تَسْقُطُ طَبَقَةٌ خَارِجِيَّةٌ مِنْ هَذَا الْجِلْدِ، وَتَظْهَرُ تَحْتَهَا طَبَقَةُ جِلْدٍ جَدِيدَةٌ بِحَجْمٍ أَكْبَرَ، وَتَنْسَلِخُ الطَّبَقَةُ الْقَدِيمَةُ.

قَالَ «بَاسِلٌ»:

- وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَتَغَذَّى الثَّعَابِينُ؟

انْدَثَرَتْ مَعَ مُرُورِ الْوَقْتِ حَتَّى تَمَّ الِاسْتِغْنَاءُ عَنْهَا نِهَائِيًّا.

تَضَعُ مُعْظَمُ الثَّعَابِينِ بَيْضًا نَاعِمًا وَطَرِيًّا كَالْجِلْدِ بِحَيْثُ يُدْفَنُ فِي حُفْرَةٍ رَمْلٍ، أَوْ تَحْتَ كَوْمَةٍ مِنْ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ الْمُتَسَاقِطَةِ، وَلَا يَلْبَثُ الْبَيْضُ أَنْ يَفْقِسَ لِتَخْرُجَ مِنْهُ الثَّعَابِينُ الصَّغِيرَةُ. وَلِصَغِيرِ الثُّعْبَانِ نَابٌ حَادٌّ فِي فَكِّهِ الْعُلْوِيِّ يَسْتَعْمِلُهُ لِيَشُقَّ طَرِيقَهُ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْبَيْضَةِ، وَبَعْدَ تَحْطِيمِ الْبَيْضَةِ يَسْقُطُ النَّابُ.

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» قَائِلًا:

- تَتَغَذَّى الثَّعَابِينُ عَلَى كُلِّ مَا هُوَ «حَيَوَانِيٌّ»، وَلَا تَتَغَذَّى عَلَى أَيَّةِ نَبَاتَاتٍ نِهَائِيًّا. وَصِغَارُ الثَّعَابِينِ تَتَغَذَّى عَلَى الْحَشَرَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، أَمَّا الثَّعَابِينُ الْكَبِيرَةُ فَتَأْكُلُ الْفَرَائِسَ الْمُتَوَفِّرَةَ فِي بِيئَتِهَا، مِثْلَ: الْفِئْرَانِ وَالْأَرَانِبِ وَصِغَارِ الطُّيُورِ، وَبَيْضِ الطُّيُورِ وَالْأَسْمَاكِ وَالْغِزْلَانِ، وَهُنَاكَ ثَعَابِينُ لَا تَأْكُلُ سِوَى ثَعَابِينَ أُخْرَى!

وَفِي حُبِّ اسْتِطْلَاعٍ قَالَتْ «رَنَا» وَهِيَ مُنْدَهِشَةٌ:

- وَكَيْفَ تَأْكُلُ الثَّعَابِينُ حَيَوَانَاتٍ أَكْبَرَ حَجْمًا مِنْهَا مِثْلَ الْغَزَالِ؟!

رَدَّتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» وَقَالَتْ:

- فَكُّ الثُّعْبَانِ مِنْ نَوْعٍ مَطَّاطِيٍّ، وَلِذَلِكَ يَسْمَحَانِ لِفَمِهِ بِالاتِّسَاعِ بِدَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ لِلْغَايَةِ، وَلِذَا فَبِاسْتِطَاعَةِ الثُّعْبَانِ أَنْ يَبْتَلِعَ فَرَائِسَ أَكْبَرَ مِنْهُ حَجْمًا، حَيْثُ تَسْتَطِيعُ عِظَامُ الْفَكَّيْنِ وَالْجُمْجُمَةِ الِانْفِصَالَ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ.

سَأَلَتْ «شَهْدٌ» قَائِلَةً:

- وَهَلْ كُلُّ الثَّعَابِينِ وَالْأَفَاعِي سَامَّةٌ؟

معلومة تهمك

- أُجْرِيَتْ دِرَاسَاتٌ عَدِيدَةٌ حَوْلَ مُتَوَسِّطِ عُمْرِ الثَّعَابِينِ بِدَايَةً مِنْ خُرُوجِهَا لِلْحَيَاةِ حَتَّى مَوْتِهَا، وَقَدْ خَرَجَتْ نَتَائِجُ هَذِهِ الدِّرَاسَاتِ لِتُعْلِنَ أَنَّ مُعْظَمَ الثَّعَابِينِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا تَعِيشُ لِفَتْرَةٍ تَتَرَاوَحُ مِنْ 15 ـ 25 سَنَةً تَقْرِيبًا.
- تَخْتَلِفُ الثَّعَابِينُ فِي دَرَجَةِ الرُّؤْيَةِ، فَالثَّعَابِينُ الَّتِي تَعِيشُ عَلَى الْأَشْجَارِ لَدَيْهَا رُؤْيَةٌ أَفْضَلُ مِنْ تِلْكَ

أَجَابَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ»:

- لَا.. لَيْسَتْ كُلُّ الثَّعَابِينِ وَالْأَفَاعِي سَامَّةً، بَلْ إِنَّ مُعْظَمَهَا غَيْرُ سَامٍّ، وَلَكِنْ يَجِبُ الْحَذَرُ عِنْدَ التَّعَامُلِ مَعَ أَيِّ ثَعَابِينَ؛ لِأَنَّنَا لَا نَعْرِفُ مَا إِذَا كَانَتْ سَامَّةً أَمْ لَا. وَمِنْ أَشْهَرِ الثَّعَابِينِ السَّامَّةِ وَالْخَطِيرَةِ ثُعْبَانُ «الكُوبْرَا».

وَهُنَا تَدَخَّلَتْ «نَدَى» فِي الْحَدِيثِ، فَقَالَتْ:

- رَغْمَ هَذَا الْحَاجِزِ الزُّجَاجِيِّ السَّمِيكِ الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَفْعَى الْكُوبْرَا هَذِهِ، إِلَّا أَنَّنِي خَائِفَةٌ جِدًّا مِنْهَا. أَلَا تَخْشَى هَذِهِ الْأَفْعَى مِنْ شَيْءٍ؟

رَدَّتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» مُبْتَسِمَةً:

- أَفَاعِي الْكُوبْرَا تَخْشَى النَّاسَ وَتَهْرُبُ مِنْهُمْ، وَلَا تُهَاجِمُهُمْ إِلَّا عِنْدَمَا يُرِيدُ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ مُهَاجَمَتَهَا أَوْ مُهَاجَمَةَ أَمَاكِنِ الْبَيْضِ.

وَيُعَدُّ حَيَوَانُ «النِّمْسِ» الْعَدُوَّ الطَّبِيعِيَّ لِلثَّعَابِينِ وَالْأَفَاعِي؛ لِأَنَّهُ حَيَوَانٌ سَرِيعٌ

الَّتِي تَعِيشُ فِي الْجُحُورِ وَجَوْفِ الْأَرْضِ، أَمَّا حَاسَّةُ الشَّمِّ فَهِيَ قَوِيَّةٌ لَدَى الثَّعَابِينِ، وَتَتِمُّ عَنْ طَرِيقِ اللِّسَانِ وَالَّذِي يُسْتَخْدَمُ أَيْضًا فِي حَاسَّةِ التَّذَوُّقِ. أَمَّا حَاسَّةُ السَّمْعِ فَلَا تَمْتَلِكُ الثَّعَابِينُ آذَانًا خَارِجِيَّةً، وَلَكِنْ لَهَا آذَانٌ دَاخِلِيَّةٌ؛ فَهِيَ تَسْمَعُ عَنْ طَرِيقِ عِظَامِ الْفَكَّيْنِ.

الْأَصَلَةُ قَدْ تَعِيشُ بِوَحْدَةٍ وَاحِدَةٍ طَوَالَ السَّنَةِ، وَهِيَ تَقْتُلُ فَرَائِسَهَا بِعَصْرِهَا إِلَى أَنْ يَتَوَقَّفَ تَنَفُّسُهَا وَتَمُوتَ، فَتَقُومُ

وَمُفْتَرِسٌ؛ لِذَا فَإِنَّ الثَّعَابِينَ وَالْأَفَاعِي تَحْسِبُ لِلنَّمْسِ أَلْفَ حِسَابٍ، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا تَمْتَلِكُ عَنَاصِرَ فَتَّاكَةً إِلَّا أَنَّ النَّمْسَ يَهْجُمُ عَلَيْهَا وَيَقْتُلُهَا وَيَأْكُلُ لَحْمَهَا. وَبِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ فَقَدْ قَرَأْتُ مُنْذُ فَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ رِوَايَةً أَجْنَبِيَّةً تَحْكِي عَنْ عَائِلَةٍ كَانَتْ تَسْكُنُ فِي بَيْتٍ بِهِ حَدِيقَةٌ كَبِيرَةٌ. وَقَدِ اعْتَادَتْ هَذِهِ الْعَائِلَةُ رُؤْيَةَ «نِمْسٍ» فِي الْحَدِيقَةِ مِنْ وَقْتٍ إِلَى آخَرَ، وَأَبْدَتِ الزَّوْجَةُ لِزَوْجِهَا رَغْبَتَهَا فِي التَّخَلُّصِ مِنْ هَذَا «النَّمْسِ» بِطَرِيقَةٍ أَوْ بِأُخْرَى، وَلَكِنَّ الزَّوْجَ أَفْهَمَهَا أَنَّهُ حَيَوَانٌ لَا يُسَبِّبُ لَنَا أَيَّ ضَرَرٍ.

وَفَجْأَةً ظَهَرَتْ فِي حَدِيقَةِ الْمَنْزِلِ، وَفِي وَسَطِ الْمَزْرُوعَاتِ أَفْعَى الْكُوبْرَا الضَّخْمَةُ، وَالَّتِي أَصَابَتِ الْعَائِلَةَ بِرُعْبٍ وَفَزَعٍ شَدِيدٍ وَارْتِبَاكٍ، فَاتَّخَذُوا قَرَارًا سَرِيعًا بِتَرْكِ الْبَيْتِ وَالْفِرَارِ مِنْ هَذَا الْخَطَرِ الْمُمِيتِ، وَخَاصَّةً عِنْدَمَا وَجَدُوا الْكُوبْرَا قَدْ تَرَكَتِ الزَّرَاعَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَخْتَفِي فِيهَا وَظَهَرَتْ بِشَكْلٍ وَاضِحٍ فِي طَرَفِ الْحَدِيقَةِ.

وَمَا هِيَ سِوَى لَحَظَاتٍ حَتَّى ظَهَرَ فِي الطَّرَفِ الْآخَرِ لِلْحَدِيقَةِ حَيَوَانُ النَّمْسِ، وَالَّذِي انْطَلَقَ بِسُرْعَةٍ نَاحِيَةَ الْكُوبْرَا الَّتِي حَاوَلَتْ نَفْثَ سُمِّهَا نَاحِيَةَ النَّمْسِ، لَكِنَّهُ لَمْ يُبَالِ بِذَلِكَ، وَهَجَمَ عَلَى رَقَبَةِ الْأَفْعَى وَأَخَذَ يَنْهَشُهَا بِأَسْنَانِهِ الْحَادَّةِ، وَدَارَتْ مَعْرَكَةٌ رَهِيبَةٌ بَيْنَهُمَا، وَأَفْرَادُ الْعَائِلَةِ يُشَاهِدُونَ فِي تَرَقُّبٍ وَحَذَرٍ هَذِهِ الْمَعْرَكَةَ، وَكَانَتِ النَّتِيجَةُ النِّهَائِيَّةُ هِيَ فَوْزُ النَّمْسِ عَلَى الْكُوبْرَا الَّتِي تَقَطَّعَتْ أَجْزَاؤُهَا، وَتَمَّ فَصْلُ رَأْسِهَا عَنْ جِسْمِهَا.

وَقَدْ أُصِيبَ النَّمْسُ بِبَعْضِ الْجُرُوحِ مِنْ جَرَّاءِ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ، إِلَّا أَنَّهُ انْتَصَرَ انْتِصَارَ الْأَبْطَالِ، وَوَقَفَ عَلَى جِسْمِ الْكُوبْرَا وَأَصْدَرَ صَوْتًا يُعَبِّرُ بِهِ عَنِ انْتِصَارِهِ الْكَبِيرِ، وَصَفَّقَتِ الْعَائِلَةُ لِلنَّمْسِ عَلَى بُطُولَتِهِ، وَنَظَرَتِ الزَّوْجَةُ إِلَى زَوْجِهَا وَكَأَنَّهَا تَعْتَذِرُ لَهُ؛ لِأَنَّهَا ذَاتَ يَوْمٍ نَصَحَتْ بِالتَّخَلُّصِ مِنْ هَذَا النَّمْسِ.

معلومة نهمك

الْأَصْلُ بِابْتِلَاعِ الْفَرِيسَةِ بِبُطْءٍ، وَتَتَمَتَّعُ هَذِهِ الْأَفَاعِي الضَّخْمَةُ بِقُوَّةٍ كَافِيَةٍ لِقَتْلِ «فَهْدٍ»، وَلِذَا فَهِيَ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَنَاوُلِ وَجْبَةٍ أُخْرَى لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ جِدًّا قَدْ تَصِلُ إِلَى سَنَةٍ كَامِلَةٍ.

أَثْقَلُ الْأَفَاعِي وَزْنًا فِي الْعَالَمِ هِيَ «الْأَنَاكُونْدَا»، حَيْثُ يَصِلُ وَزْنُ كُبْرَى الْأَنَاكُونْدَا إِلَى ٢٣٠ كِيلُو جِرَامًا، بَيْنَمَا أَكْبَرُ الْأَفَاعِي سِنًّا فِي التَّارِيخِ هِيَ حَيَّةُ «الْبُوَا» الْعَاصِرَةُ، وَالَّتِي كَانَتْ تَعِيشُ فِي إِحْدَى

سَعِدَ الْأَصْدِقَاءُ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ الْمُمْتِعَةِ، وَلَكِنَّ «مُعَاذًا» كَانَ لَهُ اسْتِفْسَارٌ، فَقَالَ:

- وَهَلِ النِّمْسُ فَقَطْ هُوَ عَدُوُّ الثَّعَابِينِ؟

رَدَّ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» وَقَالَ:

- لَا.. فَهُنَاكَ أَعْدَاءٌ لِلثَّعَابِينِ لَا تَخَافُ مُوَاجَهَتَهَا وَالدُّخُولَ مَعَهَا فِي قِتَالٍ، مِثْلَ: الصُّقُورِ، وَخَاصَّةً صَقْرَ الْعَسَلِ الْحَوَّامِ، وَالْقُنْفُذِ، وَالْقِطَطِ، بَلْ إِنَّ بَعْضَ الدَّجَاجِ يَقُومُ بِالْتِهَامِ صِغَارِ ثَعَابِينِ الْكُوبْرَا فَوْرَ رُؤْيَتِهَا لَهَا.

تَسَاءَلَتْ «فَرِيدَةُ»:

- مَاذَا عَنْ أَنْوَاعِ الثَّعَابِينِ الْأُخْرَى؟

أَجَابَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» قَائِلَةً:

حَدَائِقِ الْحَيَوَانِ وَمَاتَتْ وَعُمْرُهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً.

تَلْجَأُ الثَّعَابِينُ وَالْأَفَاعِي إِلَى عِدَّةِ طُرُقٍ لِمُوَاجَهَةِ الْأَعْدَاءِ، مِنْ أَهَمِّهَا: التَّظَاهُرُ بِالْمَوْتِ - إِصْدَارُ أَصْوَاتٍ كَالْفَحِيحِ - التَّخَفِّي - الْقَفْزُ وَالطَّيَرَانُ - فَتْحُ الْفَمِ - نَفْخُ الْجِسْمِ - تَفَلْطُحُ الرَّقَبَةِ - الِارْتِكَازُ وَالْوُقُوفُ - نَفْثُ السُّمِّ.

- هُنَاكَ ثَعَابِينُ ضَخْمَةٌ جِدًّا تُسَمَّى «الْأَصَلَةَ»، وَهِيَ غَيْرُ سَامَّةٍ، وَلَكِنَّهَا تَلْتَفُّ حَوْلَ الْفَرِيسَةِ وَتَقْتُلُهَا بِقُوَّةِ الْعَصْرِ.

وَهُنَاكَ الْأَفْعَى الطَّيَّارَةُ الَّتِي تَعِيشُ فِي غَابَاتِ جَنُوبِ شَرْقِيِّ آسْيَا، وَهِيَ تَنْتَقِلُ مِنْ شَجَرَةٍ إِلَى أُخْرَى عَنْ طَرِيقِ الِانْزِلَاقِ بِهُدُوءٍ فِي الْهَوَاءِ. وَهُنَاكَ الْأَفْعَى الْقَرْنَاءُ، أَيْ ذَاتُ الْقُرُونِ، وَالَّتِي تَعِيشُ فِي رِمَالِ الصَّحْرَاءِ، وَهِيَ تَخْتَبِئُ مِنْ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ بِأَنْ تَلْوِيَ جِسْمَهَا وَتَدْفِنَهُ تَحْتَ الرِّمَالِ، وَهِيَ تَخْرُجُ مِنْ مَكَانِهَا لِتَصْطَادَ فَرَائِسَهَا لَيْلًا. وَهُنَاكَ أَفَاعٍ تُسَمَّى «ذَاتَ الْأَجْرَاسِ»؛ فَهِيَ عِنْدَمَا تَشْعُرُ بِالْخَطَرِ، تَهُزُّ ذَيْلَهَا الْخَشِنَ بِسُرْعَةٍ، فَيُحْدِثُ طَنِينًا جَافًّا أَشْبَهَ بِالْجَرَسِ يُخِيفُ الْعَدُوَّ وَيُبْعِدُهُ.

وَمِنْ أَخْطَرِ الْأَفَاعِي أَفْعَى «الْأَنَاكُونْدَا» الَّتِي تَعِيشُ فِي أَنْهَارِ الْغَابَاتِ الِاسْتِوَائِيَّةِ فِي أَمْرِيكَا الْجَنُوبِيَّةِ، حَيْثُ تَنْتَظِرُ فِي عُمْقِ الْمِيَاهِ فَرِيسَتَهَا، فَإِذَا جَاءَتْ فَإِنَّهَا تَنْقَضُّ عَلَيْهَا وَتَلْتَفُّ حَوْلَهَا إِلَى أَنْ تَمُوتَ.

قَالَ «بَاسِلٌ»:

- دُكْتُور «مَنْدُور»، إِذَا كَانَتِ الثَّعَابِينُ لَا تَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ الْخَارِجِيَّةَ ـ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ لَهَا آذَانٌ خَارِجِيَّةٌ ـ فَبِمَاذَا تُفَسِّرُ هَذَا الْمَشْهَدَ الَّذِي رَأَيْنَاهُ فِي التِّلِيفِزْيُونِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ؛ حَيْثُ يَكُونُ هُنَاكَ رَجُلٌ هِنْدِيٌّ يَنْفُخُ فِي مِزْمَارِهِ، فَإِذَا بِثُعْبَانِ الْكُوبْرَا الْمُخِيفِ يَخْرُجُ مِنَ الْجِرَابِ وَيَتَرَاقَصُ عَلَى الْأَصْوَاتِ الصَّادِرَةِ مِنْ هَذَا الْمِزْمَارِ.

ابْتَسَمَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» وَقَالَ:

- مُلَاحَظَتُكَ فِي مَحَلِّهَا يَا «بَاسِلُ»، فَالْأَفَاعِي صَمَّاءُ لَا تَسْمَعُ، وَلَكِنَّ حَرَكَةَ الْمِزْمَارِ فِي يَدِ الرَّجُلِ الْهِنْدِيِّ هِيَ الَّتِي تُثِيرُ أَفْعَى الْكُوبْرَا وَتَجْعَلُهَا تَتَحَرَّكُ، وَكَأَنَّهَا تَتَرَاقَصُ عَلَى مُوسِيقَى الْمِزْمَارِ، وَقَدْ يَلْجَأُ هَذَا الْهِنْدِيُّ إِلَى سَحْبِ سُمِّ مُعْظَمِ تِلْكَ الْأَفَاعِي.

سَأَلَ «مُرَادٌ»:

- مَاذَا أَفْعَلُ إِذَا لَدَغَنِي ثُعْبَانٌ؟

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ»:

- مُعْظَمُ الثَّعَابِينِ غَيْرُ سَامَّةٍ، أَمَّا إِذَا لَدَغَ ثُعْبَانٌ إِنْسَانًا، وَكَانَ هَذَا الثُّعْبَانُ سَامًّا، فَإِنَّ هُنَاكَ أَعْرَاضًا مَوْضِعِيَّةً تَحْدُثُ فِي مَكَانِ اللَّدْغَةِ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الْتِهَابَاتٍ وَتَهَتُّكَاتٍ، وَأَهَمُّ مُؤَشِّرَاتِهَا احْمِرَارٌ وَتَوَرُّمٌ وَنَزِيفٌ تَحْتَ الْجِلْدِ، كَمَا تَحْدُثُ أَعْرَاضٌ أُخْرَى بَعِيدَةٌ عَنْ مَكَانِ اللَّدْغَةِ أَهَمُّهَا: غَثَيَانٌ وَقَيْءٌ وَضَعْفٌ عَامٌّ، مَعَ انْقِبَاضٍ مُفَاجِئٍ وَسَرِيعٍ لِبَعْضِ الْعَضَلَاتِ، وَخُمُولٍ وَازْدِوَاجِيَّةٍ فِي الرُّؤْيَةِ، وَهُبُوطٍ فِي ضَغْطِ الدَّمِ، مَعَ تَوَقُّفٍ مُفَاجِئٍ لِلْقَلْبِ، ثُمَّ يَأْتِي الْمَوْتُ بَعْدَ ذَلِكَ. وَلَكِنْ إِذَا تَمَّ تَشْرِيطُ مَكَانِ اللَّدْغَةِ مَعَ سَحْبِ الدِّمَاءِ الْمُلَوَّثَةِ بِطَرِيقَةٍ أَوْ بِأُخْرَى، ثُمَّ الذَّهَابُ السَّرِيعُ إِلَى أَقْرَبِ مُسْتَشْفَى لِأَخْذِ الدَّوَاءِ الْمُضَادِّ لِلسُّمِّ، فَإِنَّ ذَلِكَ قَدْ يُنَجِّي هَذَا الْإِنْسَانَ الْمَلْدُوغَ مِنْ مَوْتٍ مُحَقَّقٍ.

تَسَاءَلَتْ «شَهْدٌ» قَائِلَةً:

- أُلَاحِظُ أَنَّ شِعَارَ الصَّيْدَلِيَّاتِ دَائِمًا هُوَ ثُعْبَانٌ يَلْتَفُّ حَوْلَ سَيْفٍ، فَلِمَاذَا اتُّخِذَ الثُّعْبَانُ رَمْزًا لِلدَّوَاءِ؟

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» قَائِلًا:

- ظَنَّ النَّاسُ فِي قَدِيمِ الزَّمَنِ أَنَّ الثَّعَابِينَ تَعِيشُ إِلَى الْأَبَدِ، وَأَنَّهَا تُجَدِّدُ شَبَابَهَا كُلَّمَا سَلَخَتْ جِلْدَهَا، وَعِنْدَمَا تَسْقُطُ أَنْيَابُهَا تَنْمُو لَهَا أَنْيَابٌ جَدِيدَةٌ بَدَلًا مِنْهَا، وَبِالتَّالِي اتَّخَذَ هَؤُلَاءِ النَّاسُ مِنَ الثُّعْبَانِ رَمْزًا لِلدَّوَاءِ وَالشِّفَاءِ مِنَ الْأَمْرَاضِ.

قَالَ «نَدِيمٌ»:

- أَتَذَكَّرُ أَنَّ اسْمَ «الْحَيَّةِ» وَاسْمَ «الثُّعْبَانِ» قَدْ ذُكِرَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» قَائِلًا:

- بَلَى.. فَكُلٌّ مِنَ الِاسْمَيْنِ قَدْ ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِنْدَ سَرْدِ قِصَّةِ النَّبِيِّ «مُوسَى» ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ عِنْدَ مُقَابَلَتِهِ رَبَّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي طُورِ سَيْنَاءَ، وَمَرَّةً أُخْرَى عِنْدَمَا ذَهَبَ النَّبِيُّ «مُوسَى» ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ مَعَ أَخِيهِ النَّبِيِّ «هَارُونَ» ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ إِلَى فِرْعَوْنَ لِيُرِيَاهُ مُعْجِزَةَ تَحَوُّلِ الْعَصَا إِلَى ثُعْبَانٍ ضَخْمٍ، وَالْمَرَّةُ الثَّالِثَةُ فِي مَشْهَدٍ هَائِلٍ بَيْنَ السَّحَرَةِ وَالنَّبِيِّ «مُوسَى» ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فِي مَشْهَدِ التَّحَدِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ.

ابْتَسَمَ «مُعَاذٌ» وَقَالَ:

- تَذَكَّرْتُ الْآنَ قِصَّةً تَحْتَ عُنْوَانِ «تَامِرٌ وَالثُّعْبَانُ»، وَالَّتِي قَرَأْتُهَا فِي مَكْتَبَةِ الْمَدْرَسَةِ.

فَأَبْدَى الْجَمِيعُ رَغْبَتَهُمْ فِي سَمَاعِهَا، وَبِالْفِعْلِ أَخَذَ «مُعَاذٌ» يَحْكِي، فَقَالَ:

- كَانَ الْفَتَى «تَامِرٌ» يَتَحَدَّثُ مَعَ أَصْدِقَائِهِ فِي الطَّرِيقِ، فَإِذَا بِهِ يَرَى صَبِيًّا يُمْسِكُ بِقِطَّةٍ مِنْ رَقَبَتِهَا وَيَكَادُ يَخْنُقُهَا، وَالْقِطَّةُ تَمُوءُ وَتَصِيحُ، وَلَكِنَّ الصَّبِيَّ ظَلَّ يُحْكِمُ قَبْضَتَهُ حَوْلَ رَقَبَتِهَا وَيَزِيدُ ضَغْطَهُ بِيَدِهِ عَلَيْهَا، بَيْنَمَا يُقَهْقِهُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ مَسْرُورًا بِمَا يَفْعَلُهُ.

تَقَدَّمَ «تَامِرٌ» مِنَ الصَّبِيِّ وَأَفْهَمَهُ أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ يُسَبِّبُ الْأَذَى لِهَذِهِ الْقِطَّةِ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَكُفَّ عَنْ ذَلِكَ، وَأَوْضَحَ لَهُ أَنَّ هَذِهِ الْقِطَّةَ وَأَمْثَالَهَا تُخَلِّصُ الْبُيُوتَ مِنَ الْفِئْرَانِ وَمِنَ الْحَشَرَاتِ الضَّارَّةِ.

كَانَتِ الْقِطَّةُ تَنْظُرُ إِلَى «تَامِرٍ» وَكَأَنَّهَا تَفْهَمُ مَا يَقُولُ لِلصَّبِيِّ. وَبَعْدَ أَنْ أَسْدَى «تَامِرٌ» نَصِيحَتَهُ، اسْتَجَابَ الصَّبِيُّ لَهُ، وَتَرَكَ الْقِطَّةَ الَّتِي قَفَزَتْ إِلَى الْأَرْضِ بِسُرْعَةٍ وَكَأَنَّهَا لَمْ تُصَدِّقْ أَنَّهَا أُنْقِذَتْ مِنْ هَذَا الْعَذَابِ.

وَتَمْضِي الْأَيَّامُ، وَيُشَاهِدُ «تَامِرٌ» هَذِهِ الْقِطَّةَ عَلَى سَلَالِمِ بَيْتِهِ تَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي وُدٍّ، وَكَأَنَّهَا تَقُولُ لَهُ: أَنَا لَا أَنْسَى الْمَعْرُوفَ الَّذِي قُمْتَ بِهِ مِنْ أَجْلِي.

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، وَعِنْدَمَا كَانَ «تَامِرٌ» يَنْزِلُ عَلَى سَلَالِمِ بَيْتِهِ، إِذَا بِهِ يَصْرُخُ صَرْخَةً مُدَوِّيَةً؛ حَيْثُ رَأَى ثُعْبَانًا كَبِيرًا عَلَى إِحْدَى دَرَجَاتِ السَّلَالِمِ، فَتَسَمَّرَ مَكَانَهُ لَا يَعْرِفُ مَاذَا يَصْنَعُ. وَمَا هِيَ سِوَى لَحَظَاتٍ حَتَّى شَاهَدَ الْقِطَّةَ الَّتِي أَنْقَذَهَا مُنْذُ أَيَّامٍ مِنْ يَدَيِ الصَّبِيِّ، وَقَدْ أَتَتْ مُسْرِعَةً وَهَجَمَتْ عَلَى الثُّعْبَانِ، وَدَارَتْ بَيْنَهُمَا مَعْرَكَةٌ رَهِيبَةٌ وَ«تَامِرٌ» لَا يُصَدِّقُ مَا يُشَاهِدُهُ بِعَيْنَيْهِ، حَتَّى انْتَهَتِ الْمَعْرَكَةُ بِفَوْزِ الْقِطَّةِ الَّتِي قَتَلَتِ الثُّعْبَانَ، ثُمَّ أَخَذَتْهُ فِي فَمِهَا خَارِجَ الْبَيْتِ، وَنَظَرَتْ إِلَى «تَامِرٍ» بِعَيْنَيْهَا وَكَأَنَّهَا تَقُولُ لَهُ:

- لَا تَخَفْ.. لَقَدْ قَدَّمْتَ لِي مَعْرُوفًا، وَهَأَنَذَا أَرُدُّهُ إِلَيْكَ.

شَكَرَ الْجَمِيعُ «مُعَاذًا» عَلَى قِصَّتِهِ، وَالْتَفَتَتْ «فَرِيدَةُ» إِلَى الدُّكْتُورِ «مَنْدُورٍ» قَائِلَةً:

- مَاذَا بَعْدَ الثُّعْبَانِ؟

رَدَّ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» قَائِلًا:

- سَنَزُورُ «السُّلَحْفَاةَ» إِنْ شَاءَ اللهُ.

سَادِسًا : السُّلَحْفَاةُ

أَمَامَ بَيْتِ «السُّلَحْفَاةِ» وَحَدِيقَتِهِ الوَاسِعَةِ، وَقَفَ الْأَصْدِقَاءُ مَعَ الدُّكْتُورِ «مَنْدُورِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ» وَالدُّكْتُورَةِ «هِنْدِ يُوسُفَ». فَشَاهَدُوا سُلَحْفَاةً ضَخْمَةً وَلَهَا عَلَى ظَهْرِهَا دِرْعٌ قَوِيٌّ «دَرَقَةٌ». وَهِيَ تَقِفُ فِي هُدُوءٍ وَسَكِينَةٍ، وَلَا تُحَرِّكُ رَأْسَهَا إِلَّا بَعْدَ فَتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ طَوِيلَةٍ، كَمَا شَاهَدُوا بَعْضَ السَّلَاحِفِ الْبَرِّيَّةِ مُخْتَلِفَةِ الْأَحْجَامِ وَالْأَعْمَارِ.

قَالَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ»:

- السُّلَحْفَاةُ إِحْدَى الزَّوَاحِفِ الْأَلِيفَةِ الْجَذَّابَةِ، وَالَّتِي يُمْكِنُ تَرْبِيَتُهَا وَالِاسْتِمْتَاعِ بِمُرَاقَبَتِهَا وَإِقَامَةِ عَلَاقَةِ وُدٍّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا. وَهِيَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْمُعَمَّرَةِ، حَيْثُ يَصِلُ عُمْرُهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ إِلَى مِائَتَيْ سَنَةٍ!

وَأَكْمَلَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» الْحَدِيثَ فَقَالَتْ:

- وَهِيَ مِنْ فَصِيلَةِ الزَّوَاحِفِ الَّتِي يَنْتَمِي إِلَيْهَا كُلٌّ مِنَ التَّمَاسِيحِ وَالثَّعَابِينِ، وَهِيَ تَمْتَلِكُ عَلَى ظَهْرِهَا «دَرَقَةً» قَوِيَّةً تَحْمِيهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَتَخْتَبِئُ بِدَاخِلِهَا كُلَّمَا وَاجَهَتْ خَطَرًا.

وَالسَّلَاحِفُ نَوْعَانِ: السَّلَاحِفُ الْبَرِّيَّةُ الَّتِي تَرَوْنَهَا، وَالسَّلَاحِفُ

التَّصْنِيفُ الْعِلْمِيُّ:

المَمْلَكَةُ : الحَيَوَانِيَّةُ.

الشُّعْبَةُ : الحَبْلِيَّاتُ.

الطَّائِفَةُ : الزَّوَاحِفُ.

الرُّتْبَةُ : السَّلَاحِفُ.

الأَنْوَاعُ : سُلَحْفَاةٌ بَرِّيَّةٌ تَعِيشُ فِي البَرِّ، وَسُلَحْفَاةٌ بَحْرِيَّةٌ تَعِيشُ فِي البِحَارِ (تُسَمَّى التِّرْسَةَ البَحْرِيَّةَ).

معلومة تهمك

- السُّلَحْفَاةُ لَيْسَتْ حَيَوَانًا أَبْلَهَ غَيْرَ ذَكِيٍّ، فَقَدْ يُسْهِمُ فِي هَذَا الِاعْتِقَادِ بُطْؤُهَا الشَّدِيدُ فِي حَرَكَتِهَا، وَلَكِنَّهَا حَيَوَانٌ جَيِّدُ التَّفْكِيرِ، فَهِيَ تَسْتَطِيعُ تَمْيِيزَ صَاحِبِهَا الَّذِي يَقُومُ بِتَرْبِيَتِهَا عَنِ الْآخَرِينَ، وَقَدْ تَسْتَجِيبُ لِلتَّدْرِيبِ إِذَا اسْتَطَاعَ تَدْرِيبَهَا بِشَكْلٍ جَيِّدٍ.
- تَنْتَشِرُ السَّلَاحِفُ فِي جَمِيعِ الْقَارَّاتِ مَا عَدَا قَارَّةَ أُسْتُرَالْيَا، وَحَجْمُ انْتِشَارِهَا يَقِلُّ كُلَّمَا اقْتَرَبْنَا مِنَ

الْمَائِيَّةُ الَّتِي سَتُشَاهِدُونَهَا دَاخِلَ أَحْوَاضٍ زُجَاجِيَّةٍ بِدَاخِلِ هَذَا الْمَبْنَى الَّذِي يَتَوَسَّطُ الْحَدِيقَةَ.

تَسَاءَلَتْ «فَرِيدَةُ» وَهِيَ مُنْبَهِرَةٌ بِمَنْظَرِ السُّلَحْفَاةِ الضَّخْمَةِ، فَقَالَتْ:

- هَلْ يُمْكِنُ التَّعَرُّفُ عَلَى خَصَائِصِ السَّلَاحِفِ؟

ابْتَسَمَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ»، وَقَالَ:

- بِكُلِّ سُرُورٍ يَا «فَرِيدَةُ».. أَهَمُّ تِلْكَ الْخَصَائِصِ:

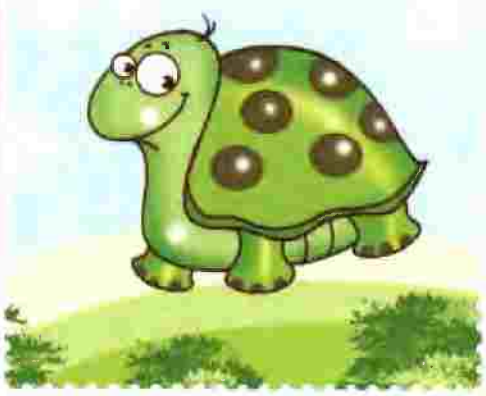

1- السَّلَاحِفُ مِنْ ذَوَاتِ الدَّمِ الْبَارِدِ، أَيْ أَنَّ جِسْمَهَا يَأْخُذُ دَرَجَةَ حَرَارَةِ الْبِيئَةِ مِنْ حَوْلِهَا، فَجِسْمُهَا بَارِدٌ مَعَ الْبِيئَةِ الْبَارِدَةِ، وَسَاخِنٌ مَعَ الْبِيئَةِ السَّاخِنَةِ.

2- لَهَا رِئَتَانِ تَتَنَفَّسُ بِهِمَا، سَوَاءٌ كَانَتْ سَلَاحِفَ بَرِّيَّةً أَوْ سَلَاحِفَ مَائِيَّةً.

3- لَهَا قَلْبٌ مُؤَلَّفٌ مِنْ ثَلَاثِ حُجُرَاتٍ: أُذَيْنَيْنِ وَبُطَيْنٍ وَاحِدٍ. وَهِيَ عَدِيمَةُ الْأَسْنَانِ.

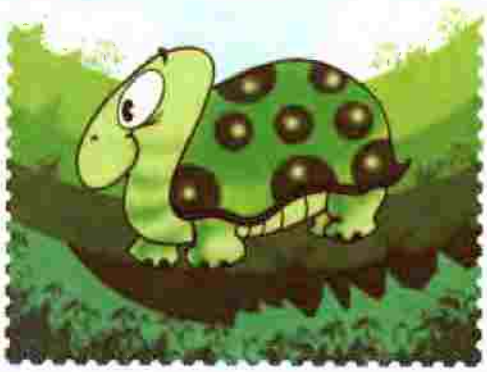

4- لَهَا جِلْدٌ مُقَوًّى بِحَرَاشِيفَ قَرْنِيَّةٍ، وَيَعْلُو ظَهْرَهَا «دَرَقَةٌ» تَتَكَوَّنُ مِنْ صَفَائِحَ قَرْنِيَّةٍ صُلْبَةٍ، وَهِيَ تُغَطِّي جِسْمَ السُّلَحْفَاةِ لِحِمَايَتِهِ. وَيُمْكِنُ مَعْرِفَةُ عُمْرِ السُّلَحْفَاةِ مِنْ خِلَالِ الْأَشْكَالِ الْهَنْدَسِيَّةِ الَّتِي عَلَى هَذِهِ «الدَّرَقَةِ».

الْمَنَاطِقِ الْقُطْبِيَّةِ شَدِيدَةِ الْبُرُودَةِ؛ لِأَنَّهَا تُفَضِّلُ التَّوَاجُدَ فِي الْمَنَاطِقِ الِاسْتِوَائِيَّةِ عَالِيَةِ الْحَرَارَةِ. وَعَدَدُ السَّلَاحِفِ يَتَنَاقَصُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ بِسَبَبِ الصَّيْدِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى بَيْضِهَا عَالِي الْقِيمَةِ الْغِذَائِيَّةِ.

- تَعْتَادُ بَعْضُ الشُّعُوبِ أَكْلَ بَيْضِ السَّلَاحِفِ، وَتَتَنَاوَلُ هَذِهِ الشُّعُوبُ أَيْضًا بَعْضَ الْأَجْزَاءِ الطَّرِيَّةِ مِنْ لُحُومِ السَّلَاحِفِ، وَغَالِبًا مَا يُصْنَعُ مِنْ ذَلِكَ اللَّحْمِ حَسَاءٌ مَشْهُورٌ فِي الدُّوَلِ الْأُورُبِّيَّةِ وَيُسَمَّى «حَسَاءَ السَّلَاحِفِ»؛ لِأَنَّهُمْ

قَالَ «بَاسِلٌ»:

- قَرَأْتُ فِي إِحْدَى الْمَجَلَّاتِ الثَّقَافِيَّةِ أَنَّ السَّلَاحِفَ لَهَا بَيَاتٌ شِتَوِيٌّ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

أَجَابَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ»:

- بَلَى.. فَالسُّلَحْفَاةُ الْبَرِّيَّةُ تَدْخُلُ فِي الْبَيَاتِ الشِّتَوِيِّ خِلَالَ شُهُورِ الشِّتَاءِ، وَنَادِرًا مَا تُشَاهَدُ خِلَالَ هَذِهِ الشُّهُورِ.

وَفِي حُبِّ اسْتِطْلَاعٍ قَالَتْ «رَنَا»:

- وَمَاذَا عَنْ غِذَاءِ السَّلَاحِفِ؟

رَدَّ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» قَائِلًا:

- بِالنِّسْبَةِ لِلسَّلَاحِفِ الْبَرِّيَّةِ فَإِنَّهَا تَتَغَذَّى عَلَى الْحَشَائِشِ وَالنَّبَاتَاتِ وَالْخَضْرَاوَاتِ، وَلِذَلِكَ يَسْهُلُ تَرْبِيَتُهَا كَحَيَوَانٍ أَلِيفٍ فِي الْبُيُوتِ وَالْحَدَائِقِ الْخَاصَّةِ، أَمَّا السُّلَحْفَاةُ الْمَائِيَّةُ فَهِيَ تَتَغَذَّى عَلَى الْأَحْيَاءِ الْمَائِيَّةِ الصَّغِيرَةِ، وَالْكَبِيرُ مِنْهَا يَتَغَذَّى عَلَى الْفَقَارِيَّاتِ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْقَاعِ مِثْلَ: قُنْفُذِ الْبَحْرِ، وَالرَّخْوِيَّاتِ، وَالْأَسْمَاكِ الصَّغِيرَةِ.

تَسَاءَلَ «مُرَادٌ» قَائِلًا:

- مَا مُوَاصَفَاتُ هَذِهِ السُّلَحْفَاةِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي نَرَاهَا أَمَامَنَا؟

معلومة نهتم بها

يَعْتَقِدُونَ فِي فَائِدَتِهِ الْكَبِيرَةِ لِجِسْمِ الْإِنْسَانِ.

- بِخِلَافِ السَّلَاحِفِ الْبَرِّيَّةِ عَلَى الْيَابِسَةِ فَقَطْ، فَإِنَّ السَّلَاحِفَ الْمَائِيَّةَ تَقْضِي كُلَّ حَيَاتِهَا تَقْرِيبًا فِي الْمَاءِ، وَلَا تَتْرُكُ مِيَاهَ الْبَحْرِ وَتَتَّجِهُ إِلَى رِمَالِ الشَّاطِئِ إِلَّا عِنْدَمَا يَحِينُ وَقْتُ وَضْعِ الْبَيْضِ.
- تَسْتَطِيعُ السَّلَاحِفُ الْبَحْرِيَّةُ الْإِبْحَارَ حَوْلَ الْعَالَمِ مُسْتَخْدِمَةً فِي ذَلِكَ نِظَامَهَا الْمِلَاحِيَّ الْمُشَابِهَ

أَجَابَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ»:

- طُولُ دِرْعِ السُّلَحْفَاةِ حَوَالَيْ مِتْرٍ وَنِصْفِ الْمِتْرِ، وَيَبْلُغُ وَزْنُهَا حَوَالَيْ ٣٠ كِيلُو جِرَامًا، وَالْإِنَاثُ أَكْبَرُ مِنَ الذُّكُورِ، وَنُمُوُّهَا مُتَوَاصِلٌ لَكِنَّهُ يُصْبِحُ بَطِيئًا مَعَ التَّقَدُّمِ فِي السِّنِّ، لَكِنَّ هَذَا النُّمُوَّ لَا يَتَوَقَّفُ.

وَمِنْ حَيْثُ اللَّوْنُ فَإِنَّ عَلَيْهَا بُقَعًا خَضْرَاءَ تُوجَدُ فِي دِرْعِهَا، وَلِذَا تُسَمَّى «السُّلَحْفَاةَ الْخَضْرَاءَ»، وَلَوْنُهَا أَحْيَانًا يَمْتَزِجُ مَعَ اللَّوْنَيْنِ الرَّمَادِيِّ أَوِ الْبُنِّيِّ، وَالْبَطْنُ تَمِيلُ لِلَّوْنِ الْأَصْفَرِ. وَرَأْسُ السُّلَحْفَاةِ أَشْبَهُ مَا يَكُونُ بِرَأْسِ الثُّعْبَانِ، وَفِيهِ عَيْنَانِ لَا جَفْنَ لَهُمَا، بَلْ يَنْسَدِلُ عَلَيْهِما غِشَاءٌ جِلْدِيٌّ.

قَالَتْ «شَهْدٌ»:

- مَاذَا عَنْ حَوَاسِّ السَّلَاحِفِ؟

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ»:

- تُعْتَبَرُ حَاسَّةُ الْبَصَرِ لَدَى السَّلَاحِفِ جَيِّدَةً، بَلْ إِنَّهَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُمَيِّزَ بَيْنَ الْأَلْوَانِ: الْأَزْرَقِ، وَالْأَخْضَرِ، وَالْأَصْفَرِ، وَالْأَحْمَرِ. وَإِذَا كَانَتْ حَاسَّةُ الشَّمِّ هِيَ الْأُخْرَى جَيِّدَةً لَدَى السَّلَاحِفِ، فَإِنَّ حَاسَّةَ السَّمْعِ حَادَّةٌ وَمُمْتَازَةٌ، فَالسَّلَاحِفُ حَسَّاسَةٌ جِدًّا

لِلنِّظَامِ الْمِلَاحِيِّ الْعَالَمِيِّ، وَالَّتِي تَسْتَخْدِمُهُ السُّفُنُ وَالْبَوَاخِرُ لِتَحْدِيدِ الْمَوَاقِعِ وَالْأَمَاكِنِ الْمُخْتَلِفَةِ. وَتُخْرِجُ السُّلَحْفَاةُ الْبَحْرِيَّةُ الْمِلْحَ الَّذِي تَمْتَصُّهُ مِنْ مِيَاهِ الْبَحْرِ مِنْ عَيْنَيْهَا، وَلِذَا تُرَى وَكَأَنَّهَا تَبْكِي.

- تَتَكَيَّفُ السَّلَاحِفُ الْبَحْرِيَّةُ مَعَ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الْمَائِيَّةِ، حَيْثُ اخْتَفَتِ الْمَخَالِبُ مِنَ الْأَقْدَامِ، وَأَصْبَحَتْ أَصَابِعُ يَمْتَدُّ فِيمَا بَيْنَهَا غِشَاءٌ جِلْدِيٌّ يُسَاعِدُ السُّلَحْفَاةَ عَلَى السِّبَاحَةِ، كَمَا أَنَّ الدَّرَقَةَ (وَهِيَ الْعُلْبَةُ الْعَظْمِيَّةُ الَّتِي تَقَعُ فَوْقَ ظَهْرِهَا) قَدْ

لِلذَّبْذَبَاتِ الَّتِي تَنْتَقِلُ فِي الْوَسَطِ الَّذِي تَعِيشُ فِيهِ. وَإِذَا كَانَ صَوْتُ السَّلَاحِفِ ضَعِيفًا فَإِنَّهُ يُصْبِحُ وَاضِحًا عَالِيًا فِي أَثْنَاءِ عَمَلِيَّةِ التَّزَاوُجِ.

وَبَعْدَ فَتْرَةِ تَفْكِيرٍ قَالَ «نَدِيمٌ»:

- إِذَا كَانَتْ حَرَكَةُ السَّلَاحِفِ بَطِيئَةً فَإِنَّ حَاجَتَهَا لِلْمِيَاهِ وَالطَّعَامِ مَحْدُودَةٌ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

ابْتَسَمَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» وَقَالَتْ:

- اسْتِنْتَاجٌ فِي مَحَلِّهِ يَا «نَدِيمُ»، بِالْفِعْلِ لَا تَحْتَاجُ السَّلَاحِفُ إِلَى اسْتِهْلَاكِ كَمِّيَّاتٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الطَّعَامِ أَوِ الْأُكْسُجِينَ، فَهُنَاكَ مَثَلًا نَوْعٌ مِنَ السَّلَاحِفِ الْبَرِّيَّةِ قَدْ يَكْفِيهِ 180 جِرَامَ مَوْزٍ كَطَعَامٍ لِمُدَّةِ أُسْبُوعَيْنِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَسَابِيعَ، بَيْنَمَا تُمَثِّلُ هَذِهِ الْكَمِّيَّةُ وَجْبَةً صَغِيرَةً جِدًّا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ لِأَحَدِ الْحَيَوَانَاتِ الثَّدْيِيَّةِ.

وَتَهْضِمُ السَّلَاحِفُ غِذَاءَهَا، وَتَسْتَهْلِكُ مِنْهُ نِسْبَةً صَغِيرَةً فِي إِنْتَاجِ الطَّاقَةِ اللَّازِمَةِ لِحَيَاتِهَا، وَتُخَزِّنُ الْبَاقِيَ، وَهِيَ - كَمَا قُلْتَ - قَادِرَةٌ عَلَى تَحَمُّلِ الْجُوعِ وَالصَّوْمِ لِعِدَّةِ أَسَابِيعَ أَوْ حَتَّى عِدَّةِ شُهُورٍ، وَلَكِنَّهَا إِذَا عَثَرَتْ عَلَى طَعَامٍ بَعْدَ هَذَا الصِّيَامِ الْتَهَمَتْهُ بِشَرَاهَةٍ، فَيَزْدَادُ وَزْنُهَا بِشَكْلٍ مَلْحُوظٍ، أَمَّا الصَّبْرُ عَلَى الْعَطَشِ فَوَاضِحٌ، فَإِنَّ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً مِنَ السَّلَاحِفِ يُمْكِنُهَا اخْتِزَانُ كَمِّيَّاتٍ مِنَ الْمَاءِ دَاخِلَ جِسْمِهَا.

قَالَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ»:

- كَمَا تَرَوْنَ أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ، فَإِنَّ السَّلَاحِفَ الْمَائِيَّةَ تُشْبِهُ السَّلَاحِفَ الْبَرِّيَّةَ، إِلَّا أَنَّ لَهَا أَذْرُعًا وَأَقْدَامًا تُشْبِهُ الْمَجَادِيفَ؛ لِتُسَاعِدَهَا عَلَى السِّبَاحَةِ فِي الْمَاءِ فِي سُهُولَةٍ وَيُسْرٍ، وَتَبْلُغُ سُرْعَتُهَا فِي الْمَاءِ حَوَالَيْ 30 كِيلُو مِتْرًا فِي السَّاعَةِ، وَلَكِنَّهَا إِذَا صَعِدَتْ عَلَى الشَّاطِئِ فَإِنَّهَا تَسِيرُ بِبُطْءٍ شَدِيدٍ.

وَفِي حُبِّ اسْتِطْلَاعٍ تَسَاءَلَتْ «نَدَى» قَائِلَةً:

معلومة نهمك

خَفَّ وَزْنُهَا كَثِيرًا؛ لِتَسْهُلَ عَلَيْهَا الْحَرَكَةُ دَاخِلَ الْمِيَاهِ.

إِذَا لَاحَظْتَ أَنَّ سُلَحْفَاتَكَ مُصَابَةٌ بِالْقُرَادِ، فَلَا تُحَاوِلْ شَدَّ الْحَشَرَةِ مِنْ فَوْقِ السُّلَحْفَاةِ بِالْقُوَّةِ، بَلِ اسْكُبْ عَلَى هَذِهِ الْحَشَرَةِ نُقْطَةً مِنَ الْكِيرُوسِينِ، وَبِذَلِكَ يُمْكِنُ إِزَالَتُهَا بِسُهُولَةٍ بِوَاسِطَةِ مِلْقَاطٍ. وَلَا تُحَاوِلْ تَلْمِيعَ صَدَفَةِ السُّلَحْفَاةِ؛ لِأَنَّهَا غَيْرُ مُصْمَتَةٍ كَمَا تَبْدُو، بَلْ إِنَّ بِهَا ثُقُوبًا دَقِيقَةً يَضُرُّهَا الزَّيْتُ.

- وَمَاذَا عَنْ تَكَاثُرِ السَّلَاحِفِ الْمَائِيَّةِ؟

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» قَائِلًا:

- السَّلَاحِفُ الْبَرِّيَّةُ تَتَزَاوَجُ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ، سَوَاءٌ فِي الْخَلَاءِ وَالْعَرَاءِ أَوْ دَاخِلَ جُحُورِهَا وَأَنْفَاقِهَا، وَذَلِكَ عِنْدَمَا تَبْلُغُ عَشْرَ سَنَوَاتٍ مِنْ عُمْرِهَا تَقْرِيبًا، أَمَّا السَّلَاحِفُ الْبَحْرِيَّةُ فَتَتَزَاوَجُ تَحْتَ سَطْحِ الْمَاءِ، وَعِنْدَمَا يَتَكَوَّنُ الْبَيْضُ دَاخِلَ أُنْثَى السُّلَحْفَاةِ، فَإِنَّهَا تَخْرُجُ إِلَى الشَّاطِئِ الرَّمْلِيِّ، وَبَعْدَ مَسِيرَةِ عِدَّةِ أَمْتَارٍ تَبْدَأُ فِي حَفْرِ حُفْرَةٍ عَمِيقَةٍ بِاسْتِخْدَامِ رَأْسِهَا وَأَطْرَافِهَا، ثُمَّ تَبْدَأُ فِي وَضْعِ بَيْضِهَا فِي الْحُفْرَةِ بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ تَصِلُ إِلَى 200 بَيْضَةٍ، ثُمَّ تُهِيلُ الرِّمَالَ عَلَى هَذَا الْبَيْضِ، مُسْتَخْدِمَةً أَطْرَافَهَا الْخَلْفِيَّةَ، وَتَقُومُ بِتَسْوِيَةِ الرَّمْلِ؛ حَتَّى لَا يُمَيِّزَ لُصُوصُ الْبَيْضِ مَكَانَهُ، ثُمَّ تَتْرُكُ الْأُنْثَى الْمَكَانَ وَتَتَّجِهُ إِلَى الْبَحْرِ مُبَاشَرَةً، وَلَا تَعُودُ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى.

سَأَلَ «مُعَاذٌ»:

- مَاذَا بَعْدَ فَقْسِ الْبَيْضِ فِي الْحُفْرَةِ الرَّمْلِيَّةِ؟

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» قَائِلًا:

- بَعْدَ الْفَقْسِ تَخْرُجُ السَّلَاحِفُ الصَّغِيرَةُ، وَالَّتِي لَا يَزِيدُ وَزْنُ الْوَاحِدَةِ مِنْهَا عَلَى 100 جِرَامٍ، وَتَشُقُّ طَرِيقَهَا خَارِجَ رَمْلِ الْحُفْرَةِ، وَبِالْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَهَا اللهُ ـ تَعَالَى ـ عَلَيْهَا تَبْدَأُ فِي الزَّحْفِ بِاتِّجَاهِ الْبَحْرِ أَوِ الْمُحِيطِ الَّذِي تُوجَدُ فِيهِ الْأُمَّهَاتُ، وَلَدَى هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ قُدْرَةٌ فَائِقَةٌ عَلَى تَمْيِيزِ اتِّجَاهِ الْبَحْرِ، حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ هُنَاكَ تِلَالٌ أَوْ عَوَائِقُ تُخْفِي الْمِيَاهَ عَنْ أَنْظَارِهَا، وَتَتِمُّ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةُ مِنَ الصِّغَارِ فُرَادَى أَوْ جَمَاعَاتٍ، وَتَكُونُ لَيْلًا، وَهِيَ تُسْرِعُ نَاحِيَةَ الْمِيَاهِ قَبْلَ ظُهُورِ النَّهَارِ حَتَّى لَا يَرَاهَا أَعْدَاؤُهَا مِنَ النُّسُورِ وَالصُّقُورِ وَالطُّيُورِ الْجَارِحَةِ، فَتَفْتَرِسَهَا.

وَأَكْمَلَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ:

- وَبِمُجَرَّدِ وُصُولِ الصِّغَارِ إِلَى مِيَاهِ الْبِحَارِ أَوِ الْمُحِيطَاتِ، فَإِنَّهَا تَتَغَذَّى عَلَى صِغَارِ الْكَائِنَاتِ الْبَحْرِيَّةِ الصَّغِيرَةِ، وَشَيْئًا فَشَيْئًا تَنْمُو هَذِهِ السَّلَاحِفُ الصَّغِيرَةُ وَتَكْبُرُ وَتَنْضُجُ وَتَتَزَاوَجُ؛ لِتُعِيدَ دَوْرَةَ حَيَاتِهَا مِنْ جَدِيدٍ.

وَفِي حُبِّ اسْتِطْلَاعٍ قَالَتْ «فَرِيدَةُ»:

- وَالْآنَ.. مَا عَلَاقَةُ السَّلَاحِفِ الْبَحْرِيَّةِ بِالْإِنْسَانِ؟

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ»:

- مُنْذُ قَدِيمِ الزَّمَانِ اسْتَخْدَمَ الْإِنْسَانُ لَحْمَ السَّلَاحِفِ الْبَحْرِيَّةِ وَبَيْضَهَا فِي الْغِذَاءِ؛ لِارْتِفَاعِ الْقِيمَةِ الْغِذَائِيَّةِ لِهَذَا اللَّحْمِ وَذَاكَ الْبَيْضِ، وَعِلَاوَةً عَلَى الِاسْتِعْمَالِ الْغِذَائِيِّ، اسْتَخْدَمَ الْإِنْسَانُ صَدَفَ هَذِهِ السَّلَاحِفِ فِي تَصْنِيعِ تُحَفِ الزِّينَةِ. وَصَيْدُ هَذِهِ السَّلَاحِفِ بِكَثْرَةٍ يُعَرِّضُهَا لِلِانْقِرَاضِ؛ لِذَا تَمْنَعُ بَعْضُ الْحُكُومَاتِ صَيْدَ الْأَنْوَاعِ النَّادِرَةِ مِنَ السَّلَاحِفِ الْبَحْرِيَّةِ، وَتُقِيمُ مَحْمِيَّاتٍ لَهَا، وَتُعَاقِبُ مَنْ يُحَاوِلُ اصْطِيَادَهَا أَوِ السَّطْوَ عَلَى بَيْضِهَا.

ابْتَسَمَتْ «رَنَا» وَقَالَتْ:

- أَعْرِفُ حِكَايَةً عَنِ السُّلَحْفَاةِ وَالْأَرْنَبِ الْمَغْرُورِ، مُنْذُ كُنْتُ فِي سَنَوَاتِ الدِّرَاسَةِ الْأُولَى.

ضَحِكَ «مُرَادٌ» وَقَالَ:

- نَعَمْ.. نَعَمْ.. أَتَذَكَّرُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ الْمُثِيرَةَ، لَكِنَّنَا نُحِبُّ أَنْ نَسْمَعَهَا مِنْكِ يَا «رَنَا».

وَوَافَقَ الْأَصْدِقَاءُ عَلَى رَأْيِ «مُرَادٍ»، فَبَدَأَتْ «رَنَا» تَحْكِي هَذِهِ الْحِكَايَةَ، فَقَالَتْ:

- فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ كَانَ هُنَاكَ أَرْنَبٌ مَغْرُورٌ يَعِيشُ فِي الْغَابَةِ، وَكَانَ يَفْتَخِرُ دَائِمًا بِأَنَّهُ الْأَسْرَعُ فِي الْجَرْيِ وَالْقَفْزِ، وَلَا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ.

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ شَاهَدَ السُّلَحْفَاةَ الْمِسْكِينَةَ تَمْشِي

بِبُطْءٍ شَدِيدٍ، فَرَاحَ يَسْتَهْزِئُ بِهَا وَيَقُولُ لَهَا إِنَّهَا مِسْكِينَةٌ وَبَطِيئَةٌ جِدًّا.

نَظَرَتْ إِلَيْهِ السُّلَحْفَاةُ فِي تَحَدٍّ، وَقَالَتْ:

- أَيُّهَا الْأَرْنَبُ الْمَغْرُورُ، مَا رَأْيُكَ فِي أَنْ نَتَسَابَقَ أَنَا وَأَنْتَ؟ وَسَوْفَ نَرَى مَنْ سَيَفُوزُ.

وَافَقَ الْأَرْنَبُ عَلَى هَذَا التَّحَدِّي، وَذَهَبَ هُوَ وَالسُّلَحْفَاةُ، وَاتَّفَقَا عَلَى بِدَايَةِ السِّبَاقِ وَنِهَايَتِهِ. وَبِالْفِعْلِ بَدَأَ السِّبَاقُ عِنْدَ نُقْطَةِ الْبِدَايَةِ، وَالْأَرْنَبُ الْمَغْرُورُ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ:

- لَنْ تَغْلِبَنِي هَذِهِ الْبَطِيئَةُ أَبَدًا.

جَرَى الْأَرْنَبُ سَرِيعًا فِي بِدَايَةِ السِّبَاقِ، وَبَعْدَ فَتْرَةٍ نَظَرَ خَلْفَهُ فَوَجَدَ السُّلَحْفَاةَ بَعِيدَةً عَنْهُ كَثِيرًا، فَضَحِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ:

- سَأَنَامُ قَلِيلًا تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، وَسَأَغْلِبُ السُّلَحْفَاةَ الْبَطِيئَةَ بَعْدَ أَنْ أَرْتَاحَ؛ فَالْفَوْزُ مَضْمُونٌ مِائَةً فِي الْمِائَةِ.

وَلَكِنَّ السُّلَحْفَاةَ رَغْمَ حَرَكَتِهَا الْبَطِيئَةِ تَابَعَتِ الْمَشْيَ لِتَكْمِلَةِ السِّبَاقِ، وَلَمْ تَتَوَقَّفْ أَبَدًا.

وَمَرَّتِ السُّلَحْفَاةُ عَلَى الْأَرْنَبِ الْمَغْرُورِ وَهُوَ يَغُطُّ فِي نَوْمِهِ، فَوَاصَلَتِ الْمَشْيَ فِي ثِقَةٍ وَاجْتِهَادٍ. وَاقْتَرَبَتِ السُّلَحْفَاةُ مِنْ خَطِّ نِهَايَةِ السِّبَاقِ، وَهُنَا اسْتَيْقَظَ الْأَرْنَبُ مِنْ نَوْمِهِ، وَأَخَذَ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَيَسَارًا لِيَعْرِفَ أَيْنَ وَصَلَتِ السُّلَحْفَاةُ، وَكَانَتِ الْمُفَاجَأَةُ الْمُذْهِلَةُ عِنْدَمَا لَمَحَ السُّلَحْفَاةَ قُرْبَ خَطِّ نِهَايَةِ السِّبَاقِ، فَقَامَ يَجْرِي وَيَقْفِزُ لَعَلَّهُ يَسْبِقُهَا، وَلَكِنْ كَانَتِ السُّلَحْفَاةُ قَدْ تَعَدَّتْ خَطَّ نِهَايَةِ السِّبَاقِ.

وَفَازَتِ السُّلَحْفَاةُ لِأَنَّهَا رَغْمَ بُطْئِهَا لَمْ تَتَوَقَّفْ عَنِ الْمَسِيرِ، وَتَسَلَّحَتْ بِالْعَزْمِ وَالإِصْرَارِ وَالاعْتِمَادِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

صَفَّقَ الْأَصْدِقَاءُ لِصَدِيقَتِهِمْ «رَنَا» عَلَى هَذِهِ الْحِكَايَةِ، الَّتِي أَخَذُوا مِنْهَا الْعِبْرَةَ وَالْعِظَةَ. وَسَأَلَ «مُرَادٌ» قَائِلًا:

- دُكْتُور «مَنْدُور».. مَاذَا بَعْدَ السُّلَحْفَاةِ؟

- سَنَذْهَبُ إِلَى «فَرَسِ النَّهْرِ» - إِنْ شَاءَ اللهُ -.

سَابِعًا: فَرَسُ النَّهْرِ

وَصَلَ الْأَصْدِقَاءُ مَعَ الدُّكْتُورِ «مَنْدُورٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ» وَالدُّكْتُورَةِ «هِنْدِ يُوسُفَ» إِلَى بُحَيْرَةِ فَرَسِ النَّهْرِ، فَوَجَدُوا عَدَدًا مِنْ أَفْرَاسِ النَّهْرِ، بَعْضُهَا يَسْبَحُ فِي مِيَاهِ الْبُحَيْرَةِ، وَالْبَعْضُ الآخَرُ يَقِفُ عَلَى شَاطِئِ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ.

تَعَجَّبَ الْأَصْدِقَاءُ مِنَ الْحَجْمِ الضَّخْمِ لِجِسْمِ فَرَسِ النَّهْرِ.

وَبَدَأَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» بِالْحَدِيثِ، وَهُوَ يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فَرَسِ النَّهْرِ، فَقَالَ:

- يَمْتَازُ فَرَسُ النَّهْرِ كَمَا تَرَوْنَ بِجِسْمِهِ الضَّخْمِ، وَهُوَ يَقْضِي نَهَارَهُ عَلَى ضِفَافِ الْأَنْهَارِ وَالْبُحَيْرَاتِ الْأَفْرِيقِيَّةِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْمِيَاهِ إِلَّا فِي اللَّيْلِ لِرَعْيِ الْأَعْشَابِ. وَشَكْلُ جِسْمِهِ مَخْرُوطِيٌّ تَحْمِلُهُ أَرْبَعُ أَرْجُلٍ قَصِيرَةٍ مُلْتَفَّةِ الْعَضَلَاتِ، وَقَدْ يَصِلُ وَزْنُ الذَّكَرِ مِنْهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَطْنَانٍ، وَطُولُهُ إِلَى حَوَالَيْ خَمْسَةِ أَمْتَارٍ، وَفَتْحَةُ فَمِهِ ضَخْمَةٌ لِلْغَايَةِ، وَأَسْنَانُهُ بَالِغَةُ الْقُوَّةِ، وَعَضَلَاتُ رَقَبَتِهِ تَسْمَحُ بِإِبْقَاءِ فَكِّهِ الْأَسْفَلِ الثَّقِيلِ خَارِجَ الْمِيَاهِ، وَعِنْدَمَا يَتَثَاءَبُ تَظْهَرُ أَنْيَابُهُ بِشَكْلٍ مُخِيفٍ.

تَسَاءَلَ «مُرَادٌ» قَائِلًا:

التَّصْنِيفُ الْعِلْمِيُّ:

الْمَمْلَكَةُ : الْحَيَوَانِيَّةُ

الشُّعْبَةُ : الْحَبْلِيَّاتُ.

الرُّتْبَةُ : الْحَافِرِيَّاتُ مُزْدَوِجَةُ الْأَصَابِعِ.

أَلْوَانُهُ : رَمَادِيٌّ مَائِلٌ إِلَى الْبَنَفْسَجِيِّ، وَالْأَزْرَقِ الْغَامِقِ عِنْدَ الظَّهْرِ، وَزَهْرِيٌّ مَائِلٌ لِلْبُنِّيِّ تَحْتَ الْجِسْمِ، وَحَوْلَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأُذُنَيْنِ.

معلومة تهمك

- فَرَسُ النَّهْرِ حَيَوَانٌ اجْتِمَاعِيٌّ؛ فَهُوَ يَعِيشُ فِي قُطْعَانٍ قَدْ يَبْلُغُ عَدَدُ أَفْرَادِهَا ٤٠ حَيَوَانًا، وَيُسَمَّى فَرَسُ النَّهْرِ الذَّكَرُ «ثَوْرًا»، وَتُسَمَّى الْأُنْثَى «بَقَرَةً»، وَالصَّغِيرُ يُسَمَّى «عِجْلًا»، وَيُعْرَفُ هَذَا النَّوْعُ بِاسْمِ «فَرَسِ النَّهْرِ الْمَأْلُوفِ»، وَذَلِكَ لِتَمْيِيزِهِ عَنْ فَرَسِ النَّهْرِ الْقَزَمِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْمُنْقَرِضَةِ.
- مِنْ أَدَوَاتِ الْوِقَايَةِ وَالْحِمَايَةِ لِفَرَسِ النَّهْرِ أَنَّ عَيْنَيْهِ وَفَتْحَتَيْ أَنْفِهِ وَأُذُنَيْهِ تَقَعُ جَمِيعًا أَعْلَى رَأْسِهِ،

- لِمَاذَا سُمِّيَ بِهَذَا الِاسْمِ؟

أَجَابَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ»:

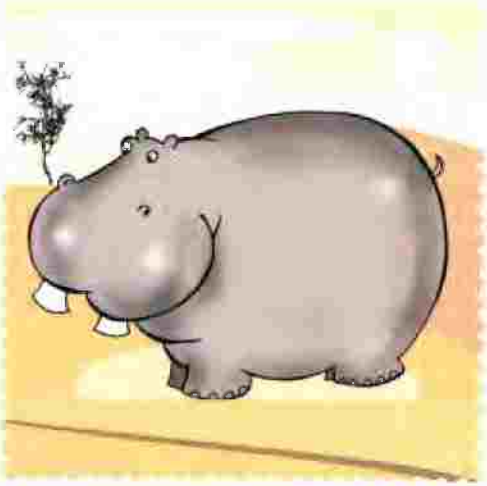

- جَاءَ هَذَا الِاسْمُ مِنَ الِاسْمِ اللَّاتِينِيِّ لَهُ، وَهُوَ «هيبوبوتاموس»: وَ «هِيبُو» تَعْنِي فَرَسًا، وَ«بُوتَامُوس» تَعْنِي نَهْرًا، أَيْ فَرَسَ النَّهْرِ، أَمَّا فِي مِصْرَ فَيُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ «سَيِّدْ قِشْطَة».

قَالَتْ «شَهْدٌ»:

- أَرَى أَنَّ فَرَسَ النَّهْرِ حَيَوَانٌ لَطِيفٌ وَوَدِيعٌ، وَلَيْسَ حَيَوَانًا مُفْتَرِسًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

ابْتَسَمَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» وَقَالَ:

- هُوَ كَذَلِكَ أَحْيَانًا.. وَأَحْيَانًا أُخْرَى هُوَ حَيَوَانٌ عَنِيفٌ، فَهُوَ حَيَوَانٌ لَطِيفٌ وَعَنِيفٌ فِي آنٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ مُحِبٌّ لِلْحَيَاةِ الْعَائِلِيَّةِ وَالْأُسَرِيَّةِ، وَيَعِيشُهَا وَلَوْ بِالْقُوَّةِ. فَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُقِيمَ أُسْرَةً فَإِنَّهُ يَسْطُو عَلَى أُسْرَةِ الْجِيرَانِ! وَعِنْدَمَا يَسْتَقِرُّ فِي عَائِلَةٍ يَكُونُ لَطِيفًا مَعَ أَفْرَادِهَا، وَيَعُولُ الْإِنَاثَ وَالصِّغَارَ، وَيَفْرِضُ سَيْطَرَتَهُ وَحُكْمَهُ عَلَى الذُّكُورِ، وَالطَّرِيفُ أَنَّ الْجَمِيعَ يَحْتَرِمُ قَانُونَ الْعَائِلَةِ بِشَكْلٍ رُبَّمَا يَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ الْبَشَرِ، وَلِلْعِلْمِ فَإِنَّ فَرَسَ النَّهْرِ لَا يُوجَدُ إِلَّا فِي قَارَّةِ أَفْرِيقْيَا فَقَطْ.

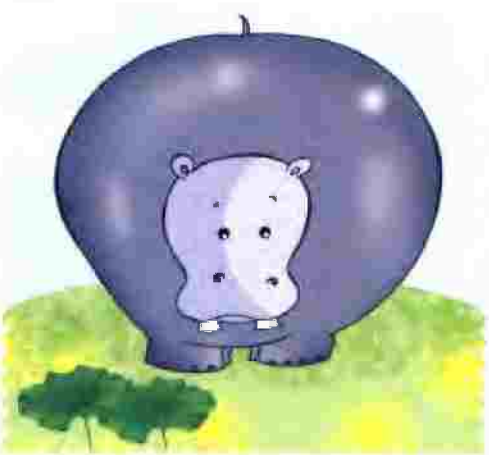

وَذَلِكَ يُمَكِّنُهُ مِنْ رُؤْيَةٍ وَسَمَاعِ صَوْتِ أَعْدَائِهِ عِنْدَمَا يَكُونُ قَابِعًا تَحْتَ سَطْحِ الْمَاءِ؛ حَيْثُ يَقْضِي مُعْظَمَ أَوْقَاتِ يَوْمِهِ، كَمَا أَنَّ فَتْحَةَ فَمِهِ الضَّخْمِ وَأَنْيَابَهُ الْمُخِيفَةَ تَعْمَلُ عَلَى بَثِّ الرُّعْبِ فِي نُفُوسِ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ.

يَقُومُ الشَّعْرُ الْكَثِيفُ فِي أَنْفِ فَرَسِ النَّهْرِ بِعَمَلِ الصِّمَامِ الَّذِي يُغْلَقُ عِنْدَمَا يَغُوصُ تَحْتَ سَطْحِ الْمَاءِ، كَمَا أَنَّ جِلْدَهُ السَّمِيكَ مُزَوَّدٌ بِسَائِلٍ زَيْتِيٍّ أَحْمَرِ اللَّوْنِ يَحْمِيهِ مِنْ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ. وَرَغْمَ أَنَّهُ يُحِبُّ الْعَيْشَ فِي الْمِيَاهِ الْعَذْبَةِ، إِلَّا أَنَّهُ

وَأَكْمَلَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» الْحَدِيثَ عَنْ «فَرَسِ النَّهْرِ»، فَقَالَتْ:

- يَعِيشُ فَرَسُ النَّهْرِ فِي الْمِيَاهِ الْعَذْبَةِ فِي غَرْبِيِّ وَجَنُوبِيِّ أَفْرِيقْيَا، وَخَاصَّةً فِي أَنْهَارِ الصَّحْرَاءِ الْأَفْرِيقِيَّةِ الْكُبْرَى، كَمَا أَنَّهُ يَتَوَاجَدُ عَلَى ضِفَافِ نَهْرِ النِّيلِ، وَكَذَلِكَ فِي الْبُحَيْرَاتِ الْعَذْبَةِ حَيْثُ يَتَوَافَرُ الْمَاءُ وَالْعُشْبُ؛ فَهُوَ حَيَوَانٌ عُشْبِيٌّ مُحِبٌّ لِلْمَاءِ طَوَالَ حَيَاتِهِ، وَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى تَوَاجُدِ مِيَاهٍ عَذْبَةٍ مَفْتُوحَةٍ ذَاتِ عُمْقٍ كَافٍ؛ كَيْ تَغْمُرَ كَامِلَ جِسْمِهِ الضَّخْمِ.

وَتَحَدَّثَتْ «نَدَى» قَائِلَةً:

- وَمَاذَا يَأْكُلُ هَذَا الْحَيَوَانُ الضَّخْمُ؟

أَجَابَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» قَائِلَةً:

- فَرَسُ النَّهْرِ حَيَوَانٌ عُشْبِيٌّ، يُمْكِنُ أَنْ يَلْتَهِمَ فِي الْوَجْبَةِ الْوَاحِدَةِ كُلَّ لَيْلَةٍ كَمِّيَّةً هَائِلَةً مِنَ الْأَعْشَابِ الْقَصِيرَةِ وَالطَّرِيَّةِ، فَضْلًا عَنِ الثِّمَارِ الْمُتَسَاقِطَةِ مِنَ الْأَشْجَارِ الْوَاقِعَةِ عَلَى ضِفَافِ النَّهْرِ، كَمَا أَنَّهُ يَتَنَاوَلُ الْأَعْشَابَ الْمَائِيَّةَ، وَقَدْ يَسْبَحُ لِمَسَافَةٍ طَوِيلَةٍ فِي نَهَارِ الْيَوْمِ بَحْثًا عَنِ الطَّعَامِ، أَمَّا إِذَا اشْتَدَّ جُوعُهُ لَيْلًا فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ الْمَاءِ، وَيَقُومُ بِجَوْلَةٍ لَيْلِيَّةٍ وَاسِعَةٍ مِنْ أَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى وَجْبَةٍ شَهِيَّةٍ مِنَ الْعُشْبِ الطَّرِيِّ، وَهُوَ يَتَنَاوَلُ فِي الْمُتَوَسِّطِ مِنْ 35 ـ 45 كِيلُو جِرَامًا مِنَ الْعُشْبِ فِي الْوَجْبَةِ الْوَاحِدَةِ.

معلومة تهمك

يَسْتَطِيعُ السِّبَاحَةَ فِي الْمِيَاهِ الْمَالِحَةِ عَلَى سَوَاحِلِ الْبَحْرِ فِي تَنْزَانْيَا وَجَنُوبِيِّ أَفْرِيقْيَا.

فِي الْعَادَةِ تَعِيشُ جَمَاعَاتُ فَرَسِ النَّهْرِ مَعًا، وَيَتَرَاوَحُ عَدَدُ الْجَمَاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ ١٥ ـ ٢٠ فَرْدًا، وَهِيَ تَتَغَذَّى عَلَى الْأَعْشَابِ وَالنَّبَاتَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ. وَتُعَدُّ مَعِدَةُ فَرَسِ النَّهْرِ غَيْرَ مُلَائِمَةٍ لِهَضْمِ اللَّحْمِ، لِذَلِكَ فَهُوَ لَا يُقْدِمُ عَلَى أَكْلِهِ أَبَدًا إِلَّا فِي حَالَاتٍ نَادِرَةٍ قَدْ يَتَعَرَّضُ الْحَيَوَانُ فِيهَا لِنَقْصٍ فِي مَخْزُونِهِ الْغِذَائِيِّ.

قَالَ «مُعَاذٌ»:

- هَلْ مِنْ سَبَبٍ مَنْطِقِيٍّ لِوُجُودِ فَرَسِ النَّهْرِ مُعْظَمَ أَوْقَاتِ يَوْمِهِ وَهُوَ مَغْمُورٌ فِي المِيَاهِ؟

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ»:

- السَّبَبُ فِي ذَلِكَ هُوَ جِلْدُهُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَظَلَّ رَطْبًا بِسَبَبِ سُمْكِهِ وَتَرْكِيبِهِ الْمُعَقَّدِ، وَهَذَا مَا يَحْمِيهِ مِنَ التَّشَقُّقِ عِنْدَمَا يُصْبِحُ جَافًّا، أَوْ عِنْدَ تَعَرُّضِهِ لِلْهَوَاءِ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ النَّهَارِ.

تَسَاءَلَتْ «فَرِيدَةُ» قَائِلَةً:

- وَمَاذَا عَنِ التَّكَاثُرِ عِنْدَ فَرَسِ النَّهْرِ؟

رَدَّتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدُ» قَائِلَةً:

- يَصِلُ ذَكَرُ فَرَسِ النَّهْرِ إِلَى سِنِّ الْبُلُوغِ عِنْدَ السَّابِعَةِ مِنْ عُمْرِهِ، أَمَّا الْأُنْثَى فَتَصِلُ إِلَى سِنِّ الْبُلُوغِ عِنْدَ التَّاسِعَةِ مِنْ عُمْرِهَا، وَيَحْدُثُ التَّزَاوُجُ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى تَحْتَ الْمَاءِ بِسَبَبِ أَوْزَانِهِمَا الضَّخْمَةِ، وَنَادِرًا مَا يَتِمُّ التَّزَاوُجُ عَلَى اليَابِسَةِ. وَبَعْدَ فَتْرَةِ حَمْلٍ تَصِلُ إِلَى ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ تَقْرِيبًا، يَأْتِي الْمَوْلُودُ فِي الْفُصُولِ الَّتِي يَكُونُ الْغِذَاءُ فِيهَا مُتَوَافِرًا، وَتَلِدُ الْأُنْثَى مَوْلُودًا وَاحِدًا فَقَطْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ، وَيَزِنُ هَذَا الْمَوْلُودُ مِنْ 35 ـ 45 كِيلُو جِرَامًا. وَعِنْدَ الوِلَادَةِ تَتْرُكُ الْأُنْثَى الْقَطِيعَ جَانِبًا وَتَبْعُدُ لِمَسَافَةٍ مُنَاسِبَةٍ، وَتَبْقَى هَادِئَةً عِنْدَ حَوَافِّ الْمِيَاهِ، حَيْثُ

إِذَا كَانَ مَوْطِنُ فَرَسِ النَّهْرِ حَالِيًّا هُوَ قَارَّةُ أَفْرِيقْيَا فَإِنَّهُ فِي قَدِيمِ الزَّمَنِ كَانَ يَعِيشُ فِي الدُّوَلِ ذَاتِ الْمُنَاخِ البَارِدِ، شَرِيطَةَ أَلَّا يَتَجَمَّدَ الْمَاءُ الَّذِي يَنْغَمِرُ فِيهِ خِلَالَ فَصْلِ الشِّتَاءِ. وَقَدْ كَتَبَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ أَنَّ نَهْرَ النِّيلِ فِي مِصْرَ كَانَ يَحْتَوِي عَلَى هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ، لَكِنَّهَا انْقَرَضَتْ. وَهِيَ تَتَوَاجَدُ الْيَوْمَ فِي بُحَيْرَاتِ وَأَنْهَارِ كُلٍّ مِنْ: أُوغَنْدَا، وَالسُّودَانِ، وَالصُّومَالِ، وَكِينْيَا، وَالكُونْغُو، وَغَانَا، وَجَنُوبِ أَفْرِيقْيَا.

يَخْرُجُ الْمَوْلُودُ الَّذِي يَكُونُ وَرْدِيًّا وَلَامِعَ اللَّوْنِ، وَيَرْضَعُ عَلَى الْيَابِسَةِ أَوْ تَحْتَ الْمَاءِ، وَفِي الْحَالَتَيْنِ يَرْضَعُ مَعَ إِغْلَاقِ أَنْفِهِ وَأُذُنَيْهِ، وَهُوَ يَنْمُو بِسُرْعَةٍ لِغَزَارَةِ لَبَنِ الْأُمِّ.

قَالَ «بَاسِلٌ»:

- وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَوْلُودُ الصَّغِيرُ أَنْ يَعُومَ فِي الْمَاءِ؟

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ»:

- مَوْلُودُ فَرَسِ النَّهْرِ يُمْكِنُهُ العَوْمُ بَعْدَ دَقَائِقَ قَلِيلَةٍ مِنْ مَوْلِدِهِ، وَلَكِنَّ هَذَا الْمَوْلُودَ يَكُونُ فَرِيسَةً سَهْلَةً وَلَذِيذَةً لِلْأُسُودِ وَالتَّمَاسِيحِ، وَلِذَا تَبْقَى هَذِهِ الْمَوَالِيدُ بِالْقُرْبِ مِنْ أُمَّهَاتِهَا لِمُدَّةِ سَنَتَيْنِ؛ حَيْثُ تَحْمِيهَا حِمَايَةً كَامِلَةً ضِدَّ أَيَّةِ أَخْطَارٍ.

تَسَاءَلَتْ «رَنَا» قَائِلَةً:

- كَمْ مِنَ الدَّقَائِقِ يَسْتَطِيعُ فَرَسُ النَّهْرِ أَنْ يَبْقَى تَحْتَ سَطْحِ الْمَاءِ دُونَ تَنَفُّسٍ؟

رَدَّتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» قَائِلَةً:

- يَسْتَطِيعُ فَرَسُ النَّهْرِ أَنْ يَبْقَى تَحْتَ سَطْحِ الْمَاءِ دُونَ تَنَفُّسٍ مِنْ 4 ـ 6 دَقَائِقَ، عَلَيْهِ بَعْدَهَا أَنْ يَصْعَدَ بِرَأْسِهِ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ لِيَتَنَفَّسَ، أَمَّا الصِّغَارُ فَهِيَ قَادِرَةٌ عَلَى أَنْ تَبْقَى تَحْتَ سَطْحِ الْمَاءِ دُونَ أَنْ تَتَنَفَّسَ فَتْرَةً مِنْ 2 ـ 3 دَقَائِقَ، وَعَلَيْهَا أَنْ تَطْفُوَ بَعْدَهَا لِتَتَنَفَّسَ.

معلومة نهمك

هُنَاكَ سُلُوكٌ غَرِيبٌ يَطْرَأُ عَلَى جَمَاعَاتِ أَفْرَاسِ النَّهْرِ فِي الْأَوْقَاتِ الْعَصِيبَةِ، حَيْثُ تَقُومُ ذُكُورُ فَرَسِ النَّهْرِ بِقَتْلِ الصِّغَارِ عِنْدَمَا يُصْبِحُ الْقَطِيعُ مُكْتَظًّا جِدًّا، أَوْ عِنْدَمَا يَتَضَاءَلُ مَسْكَنُهَا بِشَكْلٍ كَبِيرٍ فِي فَتَرَاتِ الْجَفَافِ الطَّوِيلَةِ!! وَقَدْ تَقُومُ الْإِنَاثُ بِقَتْلِ الذُّكُورِ لِتَحْمِيَ صِغَارَهَا، إِلَّا أَنَّ كِلَا التَّصَرُّفَيْنِ لَا يُعْتَبَرُ طَبِيعِيًّا فِي الظُّرُوفِ الْعَادِيَّةِ.

وَاعْلَمُوا ـ أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ ـ أَنَّ غَوْصَ فَرَسِ النَّهْرِ فِي مِيَاهِ النَّهْرِ وَطَفْوَهُ وَتَنَفُّسَهُ عَمَلِيَّةٌ آلِيَّةٌ دُونَ تَفْكِيرٍ مِنَ الْحَيَوَانِ نَفْسِهِ، مِثْلَ عَمَلِيَّتَيِ الشَّهِيقِ وَالزَّفِيرِ اللَّتَيْنِ تَحْدُثَانِ لَنَا فِي أَثْنَاءِ عَمَلِيَّةِ التَّنَفُّسِ.

قَالَ «مُرَادٌ»:

ـ وَمَاذَا إِذَا غَلَبَ النَّوْمُ فَرَسَ النَّهْرِ وَهُوَ مَغْمُورٌ تَحْتَ مِيَاهِ النَّهْرِ؟

أَجَابَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» قَائِلَةً:

ـ حَتَّى إِذَا نَامَ فَرَسُ النَّهْرِ تَحْتَ سَطْحِ الْمِيَاهِ، فَإِنَّهُ يَطْفُو مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ دُونَ أَدْنَى تَفْكِيرٍ مِنْهُ، فَكَمَا قُلْتُ هِيَ عَمَلِيَّةٌ تَحْدُثُ آلِيًّا.

قَالَتْ «شَهْدٌ»:

ـ مَا أَهَمُّ أَعْدَاءِ فَرَسِ النَّهْرِ؟

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» قَائِلًا:

ـ أَكْثَرُ الْحَيَوَانَاتِ عَدَاءً لِفَرَسِ النَّهْرِ التَّمَاسِيحُ، وَالَّتِي تُشَارِكُهَا الْعَيْشَ فِي نَفْسِ الْبِرَكِ وَالْأَنْهَارِ، وَيَبْلُغُ هَذَا الْعَدَاءُ ذِرْوَتَهُ عِنْدَمَا يَكُونُ لِفَرَسِ النَّهْرِ صِغَارٌ يَحْمِيهَا. وَهَذَا الْحَيَوَانُ خَطِرٌ جِدًّا عَلَى الْإِنْسَانِ، لِدَرَجَةِ أَنَّهُ أَخْطَرُ حَيَوَانَاتِ أَفْرِيقْيَا وَأَكْثَرُهَا تَسَبُّبًا لِلْوَفَيَاتِ مِنَ الْبَشَرِ؛ لِذَا فَإِنَّهُ فِي الْبِلَادِ الْأَفْرِيقِيَّةِ ـ وَحَوْلَ أَمَاكِنِ

مُعْظَمُ أَفْرَاسِ النَّهْرِ الْمَوْجُودَةِ الْآنَ تَعِيشُ فِي حَدَائِقِ الْحَيَوَانَاتِ فِي الْأَسْرِ، وَهُنَاكَ مَا يَكْفِي مِنْهَا فِي حَدَائِقِ الْحَيَوَانِ حَوْلَ الْعَالَمِ، لِدَرَجَةِ أَنَّ جَلْبَ أَيِّ حَيَوَانَاتٍ جَدِيدَةٍ مِنَ الْبَرِّيَّةِ يُعَدُّ أَمْرًا غَيْرَ ضَرُورِيٍّ، إِنْ تَعَاوَنَتْ هَذِهِ الْحَدَائِقُ الْعَالَمِيَّةُ مَعَ بَعْضِهَا، وَتَبَادَلَتْ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ لِلْحِفَاظِ عَلَى التَّنَوُّعِ الْجِينِيِّ لِهَذَا الْحَيَوَانِ.

وُجُودِ حَيَوَانَاتِ فَرَسِ النَّهْرِ ـ تُوجَدُ إِعْلَانَاتٌ تُحَذِّرُ مِنْ وُجُودِ فَرَسِ النَّهْرِ فِي تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ.

قَالَ «مُعَاذٌ»:

- أَوَدُّ التَّعَرُّفَ عَلَى عَلَاقَةِ فَرَسِ النَّهْرِ بِالْإِنْسَانِ؟

ابْتَسَمَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» وَقَالَ:

- سُؤَالٌ جَيِّدٌ.. فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، هَذِهِ الْعَلَاقَةُ قَدِيمَةٌ قِدَمَ التَّارِيخِ، وَقَدْ ظَهَرَتِ الدَّلَائِلُ الْأُولَى عَلَى تَفَاعُلِ الْبَشَرِ مَعَ فَرَسِ النَّهْرِ مِنَ الرُّسُومَاتِ الصَّخْرِيَّةِ وَالْمَنْحُوتَاتِ فِي جِبَالِ أَوَاسِطِ الصَّحْرَاءِ الْكُبْرَى، وَإِحْدَى هَذِهِ الرُّسُومَاتِ تُظْهِرُ عَمَلِيَّةَ صَيْدٍ لِأَفْرَاسِ النَّهْرِ.

وَتَابَعَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ:

- كَانَ حَيَوَانُ فَرَسِ النَّهْرِ مَعْرُوفًا بِشَكْلٍ جَيِّدٍ عِنْدَ الْفَرَاعِنَةِ الْمِصْرِيِّينَ؛ حَيْثُ اعْتَبَرُوهُ قَاطِنَ النِّيلِ الشَّرِسَ، وَكَانَتِ الْإِلَهَةُ الْمِصْرِيَّةُ «إِيبة» ـ رَمْزُ الْحَمْلِ وَالْوِلَادَةِ ـ ذَاتَ رَأْسٍ كَرَأْسِ فَرَسِ النَّهْرِ، وَلَعَلَّ الْمِصْرِيِّينَ الْقُدَمَاءَ قَدْ لَاحَظُوا الطَّبِيعَةَ الدِّفَاعِيَّةَ لِأُنْثَى فَرَسِ النَّهْرِ عِنْدَمَا تَقُومُ بِحِمَايَةِ صِغَارِهَا، فَجَعَلَهُمْ ذَلِكَ يُمَثِّلُونَهَا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ.

وَكَانَ فَرَسُ النَّهْرِ مَعْرُوفًا عِنْدَ الرُّومَانِ وَالْإِغْرِيقِ؛ حَيْثُ أَطْلَقُوا عَلَيْهِ اسْمَ «وَحْشِ النِّيلِ»، وَكَذَلِكَ فَإِنَّ فَرَسَ النَّهْرِ حَيَوَانٌ اشْتُهِرَ فِي الْحَضَارَةِ الْغَرْبِيَّةِ، وَظَهَرَتِ الْعَدِيدُ مِنَ الْقِصَصِ وَالرُّسُومَاتِ الْمُتَحَرِّكَةِ مِنْ إِبْدَاعَاتِ الْكَاتِبِ الشَّهِيرِ «أبسكه»، وَالَّذِي كَتَبَ قِصَّةَ «بُولْكَا فَرَسُ النَّهْرِ»؛ حَيْثُ يَظْهَرُ إِنْسَانٌ يُدْعَى «بُولْكَا» لَهُ جِسْمُ إِنْسَانٍ وَرَأْسُ فَرَسِ النَّهْرِ. وَهُوَ يُحِبُّ وَيُرَاقِصُ مَنْ يُحِبُّهَا.

وَظَهَرَتْ قِصَصٌ عَدِيدَةٌ فِي الْغَرْبِ عَنْ فَرَسِ النَّهْرِ، مِثْلَ قِصَّةِ «أُرِيدُ فَرَسَ نَهْرٍ فِي الْعِيدِ»، وَقَدْ أُنْتِجَ فِيلْمٌ مِنْ أَفْلَامِ «دِيزْنِي» ظَهَرَ فِيهِ فَرَسُ النَّهْرِ وَهُوَ يَرْقُصُ الْبَالِيهَ، كَمَا ظَهَرَتْ أَلْعَابٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ مُسَلِّيَةٌ لِلْأَطْفَالِ يُسْتَخْدَمُ فِيهَا فَرَسُ النَّهْرِ.

قَالَتْ «فَرِيدَةُ»:

- لِي عِدَّةُ اسْتِفْسَارَاتٍ وَهِيَ: مَا مُتَوَسِّطُ عُمْرِ فَرَسِ النَّهْرِ؟ وَهَلْ لَحْمُهُ يُؤْكَلُ؟ وَمَاذَا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَيَوَانِ؟

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مُنْذُورٌ» فَقَالَ:

- حَسَنًا.. مُتَوَسِّطُ عُمْرِ فَرَسِ النَّهْرِ مِنْ 40 ـ 50 عَامًا، وَلِلْعِلْمِ فَإِنَّ الذُّكُورَ يَسْتَمِرُّ حَجْمُهَا فِي النُّمُوِّ طِيلَةَ حَيَاتِهَا، بَيْنَمَا تَبْلُغُ الإِنَاثُ الْحَدَّ الْأَقْصَى فِي حَجْمِهَا عِنْدَ بُلُوغِهَا حَوَالَيْ ٢٥ عَامًا.

وَبَعْضُ سُكَّانِ دُوَلٍ أَفْرِيقِيَّةٍ يَصْطَادُونَ فَرَسَ النَّهْرِ لِيَأْكُلُوا لَحْمَهُ، وَالْبَعْضُ الْآخَرُ يَصْطَادُونَهُ لِبَيْعِهِ لِحَدَائِقِ الْحَيَوَانِ فِي الْبِلَادِ الْمُخْتَلِفَةِ.

ابْتَسَمَ «بَاسِلٌ» وَقَالَ:

- قَرَأْتُ حِكَايَةً مُسَلِّيَةً اسْمُهَا «لُعْبَةُ شَدِّ الْحَبْلِ» فِي إِحْدَى مَجَلَّاتِ الْأَطْفَالِ، وَكَانَ أَحَدَ أَبْطَالِهَا حَيَوَانُ فَرَسِ النَّهْرِ. هَلْ تَوَدُّونَ أَنْ أَحْكِيَهَا لَكُمْ؟

سَعِدَ الْجَمِيعُ بِهَذَا الِاقْتِرَاحِ، وَأَشَارُوا إِلَى «بَاسِلٍ» بِأَنَّهُمْ فِي حَالَةِ إِنْصَاتٍ شَدِيدٍ وَتَشَوُّقٍ لِسَمَاعِ هَذِهِ الْحِكَايَةِ، فَقَالَ «بَاسِلٌ»:

- بَيْنَ أَشْجَارِ الْغَابَةِ وَجَدَ الْأَرْنَبُ نَفْسَهُ مُحَاصَرًا مِنْ قِبَلِ الثَّعْلَبِ، الَّذِي اسْتَعَدَّ لِيَهْجُمَ عَلَيْهِ لِيَلْتَهِمَهُ. فَكَّرَ الْأَرْنَبُ سَرِيعًا، ثُمَّ قَالَ لِلثَّعْلَبِ:

- أَنْتَ تُظْهِرُ لِي قُوَّتَكَ رَغْمَ أَنَّ حَيَوَانَاتِ الْغَابَةِ تَقُولُ إِنَّكَ أَضْعَفُ حَيَوَانٍ فِي الْغَابَةِ.

فَانْفَعَلَ الثَّعْلَبُ وَجُنَّ جُنُونُهُ، وَقَالَ صَائِحًا:

- أَنَا لَسْتُ ضَعِيفًا أَيُّهَا الْأَرْنَبُ الْحَقِيرُ، بَلْ أَنَا أَقْوَى مِمَّا تَتَصَوَّرُ!

قَالَ «الْأَرْنَبُ»:

- إِذَنْ، سَأَعْقِدُ اتِّفَاقًا بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَجْعَلُكَ بِالْفِعْلِ مِنْ أَقْوَى الْحَيَوَانَاتِ فِي الْغَابَةِ.

رَدَّ الثَّعْلَبُ وَهُوَ لَا يَزَالُ مُنْفَعِلًا:

- اتِّفَاقٌ.. أَيُّ اتِّفَاقٍ هَذَا؟

أَجَابَ الْأَرْنَبُ:

- سَأُقَدِّمُ لَكَ خُطَّةً مُحْكَمَةً تَجْعَلُ حَيَوَانَاتِ الْغَابَةِ تَعْتَقِدُ أَنَّكَ مِنْ أَقْوَى الْحَيَوَانَاتِ، عَلَى أَنْ تَعِدَنِي بِأَلَّا تَتَعَرَّضَ لِي بِأَيِّ أَذًى مُنْذُ الْآنَ.

فَكَّرَ الثَّعْلَبُ قَلِيلًا، ثُمَّ هَزَّ رَأْسَهُ وَقَالَ:

- وَهُوَ كَذَلِكَ، أَنَا أُوَافِقُ عَلَى هَذَا الِاتِّفَاقِ! وَأَعِدُكَ إِذَا كَانَتْ خُطَّتُكَ نَاجِحَةً، وَاعْتَقَدَتْ حَيَوَانَاتُ الْغَابَةِ أَنَّنِي مِنْ أَقْوَى الْحَيَوَانَاتِ، فَإِنَّنِي لَنْ أَتَعَرَّضَ لَكَ بِأَيِّ أَذًى أَبَدًا.

وَبِالْفِعْلِ أَفْهَمَ الْأَرْنَبُ الثَّعْلَبَ خُطَّتَهُ، فَاسْتَحْسَنَهَا وَبَدَأَ فِي تَنْفِيذِهَا.

أَسْرَعَ الثَّعْلَبُ إِلَى الْفِيلِ وَأَلْقَى عَلَيْهِ التَّحِيَّةَ، فَنَظَرَ الْفِيلُ إِلَيْهِ وَقَالَ:

- مَا الَّذِي أَتَى بِكَ إِلَيَّ الْيَوْمَ أَيُّهَا الثَّعْلَبُ؟

قَالَ الثَّعْلَبُ:

- جِئْتُ لِأَقُولَ لَكَ إِنَّهُ رَغْمَ جِسْمِكَ الضَّخْمِ وَقُوَّتِكَ الْهَائِلَةِ، فَأَنَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَحَدَّاكَ وَأُبَيِّنَ لَكَ أَنَّ قُوَّتِي لَا تَقِلُّ عَنْ قُوَّتِكَ!

ضَحِكَ الْفِيلُ وَقَالَ:

- قُوَّتُكَ لَا تَقِلُّ عَنْ قُوَّتِي!! اغْرُبْ عَنْ وَجْهِي قَبْلَ أَنْ أَسْحَقَكَ

بِقَدَمٍ وَاحِدَةٍ مِنْ أَقْدَامِي.

قَالَ الثَّعْلَبُ فِي تَحَدٍّ:

- سَأُبَرْهِنُ لَكَ بِطَرِيقَةٍ عَمَلِيَّةٍ أَنَّ قُوَّتِي لَا تَقِلُّ عَنْ قُوَّتِكَ. هَذَا الْحَبْلُ الطَّوِيلُ - أَمْسِكْ بِخُرْطُومِكَ طَرَفَهُ، وَسَأَذْهَبُ أَنَا بِالطَّرَفِ الْآخَرِ نَاحِيَةَ النَّهْرِ، وَعِنْدَمَا أُعْطِي لَكَ الْإِشَارَةَ شُدَّ الْحَبْلَ نَاحِيَتَكَ وَأَنَا سَأَشُدُّهُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى، وَسَنَرَى مَنْ سَيَشُدُّ الْآخَرَ نَاحِيَتَهُ.

وَافَقَ الْفِيلُ عَلَى هَذَا التَّحَدِّي، وَأَمْسَكَ طَرَفَ الْحَبْلِ بِقُوَّةٍ، وَأَخَذَ الثَّعْلَبُ الطَّرَفَ الْآخَرَ لِلْحَبْلِ الطَّوِيلِ وَذَهَبَ إِلَى النَّهْرِ، حَيْثُ يَقِفُ فَرَسُ النَّهْرِ عِنْدَ شَاطِئِهِ. وَكَانَ الثَّعْلَبُ قَدْ قَالَ لِفَرَسِ النَّهْرِ مَا قَالَهُ لِلْفِيلِ، فَوَافَقَ فَرَسُ النَّهْرِ عَلَى هَذَا التَّحَدِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الثَّعْلَبِ. ابْتَعَدَ الثَّعْلَبُ عَنْ كُلٍّ مِنَ الْفِيلِ وَفَرَسِ النَّهْرِ، وَأَعْطَى الْإِشَارَةَ بِبَدْءِ شَدِّ الْحَبْلِ، وَكُلٌّ مِنَ الْحَيَوَانَيْنِ الضَّخْمَيْنِ يَظُنُّ أَنَّ الثَّعْلَبَ هُوَ الطَّرَفُ الْآخَرُ. وَبِذَلِكَ لَمْ يَسْتَطِعِ الْفِيلُ التَّغَلُّبَ عَلَى فَرَسِ النَّهْرِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ فَرَسُ النَّهْرِ التَّغَلُّبَ عَلَى الْفِيلِ. وَفِي النِّهَايَةِ اعْتَرَفَ كُلٌّ مِنْهُمَا لِحَيَوَانَاتِ الْغَابَةِ بِأَنَّ الثَّعْلَبَ مِنْ أَقْوَى حَيَوَانَاتِ الْغَابَةِ، فَسَعِدَ الثَّعْلَبُ بِهَذِهِ النَّتِيجَةِ، وَاطْمَأَنَّ الْأَرْنَبُ إِلَى أَنَّ الثَّعْلَبَ لَنْ يَتَعَرَّضَ لَهُ بِأَيِّ أَذًى.

سُرَّ الْجَمِيعُ بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ الْمُثِيرَةِ، وَعِنْدَمَا اسْتَفْسَرَتْ «رَنَا» عَنِ الْحَيَوَانِ التَّالِي قِيلَ لَهَا: إِنَّهُ

ثَامِنًا: الْفُقْمَةُ (كَلْبُ الْبَحْرِ)

عِنْدَ بُحَيْرَةِ «كَلْبِ الْبَحْرِ» وَقَفَ الْأَصْدِقَاءُ مَعَ الدُّكْتُورِ «مَنْدُورِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ» وَالدُّكْتُورَةِ «هِنْدِ يُوسُفَ»، وَقَدِ انْدَهَشَ الْجَمِيعُ مِنْ رَشَاقَةِ هَذَا الْحَيَوَانِ، وَخَاصَّةً عِنْدَمَا يُلْقِي بِنَفْسِهِ فِي الْمَاءِ إِلَى الْقَاعِ، ثُمَّ سُرْعَانَ مَا يَعُودُ إِلَى السَّطْحِ، وَيَسِيرُ بِرِجْلَيْهِ الزَّعْنَفَتَيْنِ عَلَى شَاطِئِ الْبُحَيْرَةِ بِشَكْلٍ مَرِحٍ يَسُرُّ النَّاظِرِينَ.

قَالَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ»:

- هَذَا هُوَ حَيَوَانُ الْفُقْمَةِ، وَالَّذِي يُسَمَّى أَحْيَانًا بِـ«كَلْبِ الْبَحْرِ»؛ لِأَنَّ رَأْسَهُ يُشْبِهُ رَأْسَ الْكَلْبِ، كَمَا أَنَّهُ يُسَمَّى أَحْيَانًا «عِجْلَ الْبَحْرِ»، وَهُوَ حَيَوَانٌ ثَدْيِيٌّ يَعِيشُ فِي الْعَدِيدِ مِنْ أَرْجَاءِ الْعَالَمِ، وَتُوجَدُ مِنْهُ عِدَّةُ أَنْوَاعٍ تُمَيِّزُهَا عَنْ بَعْضِهَا صِفَاتٌ عَدِيدَةٌ، وَمِنْ أَهَمِّ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ: خَرُوفُ الْبَحْرِ، وَبَقَرُ الْبَحْرِ.

إِنَّ الشَّكْلَ الْأُسْطُوَانِيَّ لِهَذَا الْحَيَوَانِ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَطْرَافِهِ، وَالَّتِي تَحَوَّرَتْ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ إِلَى زَعَانِفَ جَانِبِيَّةٍ وَزَعَانِفَ خَلْفِيَّةٍ فِي الْمُؤَخِّرَةِ،

التَّصْنِيفُ الْعِلْمِيُّ:

الْمَمْلَكَةُ: الْحَيَوَانِيَّةُ

الشُّعْبَةُ: الْحَبْلِيَّاتُ.

الرُّتْبَةُ: زَعْنَفِيَّاتُ الْأَقْدَامِ.

أَلْوَانُهُ: الْفُقْمَاتُ الرَّمَادِيَّةُ تُوجَدُ فِي شَمَالِ الْمُحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ وَالْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ، وَالْفُقْمَاتُ الْبَيْضَاءُ تُوجَدُ فِي الْمِنْطَقَةِ الْقُطْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ.

معلومة تهمك

- رَغْمَ أَنَّ الْفُقْمَةَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الثَّدْيِيَّةِ، فَإِنَّهَا تَتَمَيَّزُ بِالْقُدْرَةِ عَلَى حَبْسِ هَوَاءِ التَّنَفُّسِ وَهِيَ تَحْتَ الْمَاءِ، وَبِذَلِكَ يُمْكِنُهَا أَنْ تَغُوصَ فِي الْمَاءِ مُدَّةً طَوِيلَةً تَتَرَاوَحُ بَيْنَ 20 ـ 30 دَقِيقَةً، وَلَا يَفُوقُهَا فِي هَذَا التَّمَيُّزِ سِوَى الْحُوتِ، وَهَذَا أَحَدُ الْأَسْبَابِ الرَّئِيسِيَّةِ الَّتِي تُبَرِّرُ قَضَاءَهَا مُعْظَمَ وَقْتِهَا تَحْتَ الْمَاءِ.
- مُتَوَسِّطُ وَزْنِ الذَّكَرِ الْبَالِغِ مِنْ 110 ـ 120 كِيلُو جِرَامًا، وَمُتَوَسِّطُ وَزْنِ الْأُنْثَى حَوَالَيْ 80 كِيلُو جِرَامًا.

جَعَلَتْ مِنْهُ أَحَدَ أَفْضَلِ وَأَمْهَرِ حَيَوَانَاتِ الْغَطْسِ فِي الْعَالَمِ؛ حَيْثُ يُؤَدِّي كُلُّ عُضْوٍ لَدَيْهِ عَمَلًا مُعَيَّنًا يُسَهِّلُ عَلَيْهِ التَّجَوُّلَ تَحْتَ الْمَاءِ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يَجِدُ الْمُرُونَةَ التَّامَّةَ فِي حَرَكَتِهِ بِحَيْثُ لَا يُعِيقُهُ شَيْءٌ، وَهُوَ حَيَوَانٌ دَائِمُ الْحَرَكَةِ وَالْغَطْسِ فِي الْمَاءِ وَالْخُرُوجِ إِلَى الشَّاطِئِ.

تَسَاءَلَتْ «رَنَا» قَائِلَةً:

- عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَتَغَذَّى حَيَوَانُ الْفُقْمَةِ؟

أَجَابَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» قَائِلَةً:

- تَنْطَلِقُ الْفُقْمَةُ لِلْبَحْثِ عَنْ غِذَائِهَا فِي أَعْمَاقِ الْمِيَاهِ الْغَارِقَةِ فِي الظَّلَامِ، وَهِيَ تَتَمَتَّعُ بِجِهَازٍ يُشْبِهُ الرَّادَارَ مِثْلَ الْوَطْوَاطِ، يُتِيحُ لَهَا مَعْرِفَةَ طَرِيقِهَا مِنْ خِلَالِ ارْتِدَادِ صَدَى الْمَوْجَاتِ الَّتِي تُرْسِلُهَا. وَهِيَ تَتَغَذَّى عَلَى الْأَسْمَاكِ، وَعَلَى الرِّخْوِيَّاتِ، وَعَلَى الْحَيَوَانَاتِ الْمَائِيَّةِ الصَّغِيرَةِ.

قَالَ «مُرَادٌ»:

- أُرِيدُ التَّعَرُّفَ عَلَى طَرِيقَةِ عَيْشِ الْفُقْمَةِ وَسُلُوكِيَّاتِهَا؟

رَدَّ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» قَائِلًا:

- يَتَرَاوَحُ طُولُ الْفُقْمَةِ مِنْ 1,20 مِتْرًا وَحَتَّى 1,85 مِتْرًا، وَمُتَوَسِّطُ عُمْرِ الْفُقْمَةِ حَوَالَيْ 35 سَنَةً.
- لَا يَعِيشُ حَيَوَانُ الْفُقْمَةِ فِي مِنْطَقَةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَلَكِنَّ الْعَامِلَ الْمُشْتَرَكَ بَيْنَ أَمَاكِنِ تَوَاجُدِهِ هُوَ الشَّاطِئُ؛ فَهُوَ يَعِيشُ فِي الْبِحَارِ بِالْقُرْبِ مِنَ الشَّاطِئِ، وَيَدْخُلُ دَاخِلَ الْبَحْرِ بِحَسَبِ حَاجَتِهِ لِلْغِذَاءِ مِنَ الثَّرْوَةِ السَّمَكِيَّةِ الْبَحْرِيَّةِ، وَبِحَسَبِ حَاجَتِهِ لِمُمَارَسَةِ رِيَاضَتِهِ الْمُفَضَّلَةِ وَالْمُتَمَثِّلَةِ فِي الْغَوْصِ.

- إِنَّ الْفُقْمَةَ رَغْمَ امْتِلَاكِهَا قُدْرَةَ ذَكَاءٍ عَالِيَةٍ، فَإِنَّ سُلُوكَهَا يَتَّصِفُ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ بِالرُّعُونَةِ؛ فَهِيَ لَا تُحْسِنُ الدِّفَاعَ عَنْ نَفْسِهَا، لِذَا يُمْكِنُ النَّيْلُ مِنْهَا بِسُهُولَةٍ عَلَى الْيَابِسَةِ وَاصْطِيَادُهَا. وَهِيَ تَقْضِي مُعْظَمَ أَوْقَاتِهَا فِي الْمَاءِ، وَلَكِنَّهَا تُضْطَرُّ إِلَى تَرْكِ الْمَاءِ وَالصُّعُودِ إِلَى الْبَرِّ لِكَيْ تَتَزَاوَجَ. وَيَنْسَلِخُ جِلْدُهَا فِي أَوْقَاتٍ مُعَيَّنَةٍ مِنَ السَّنَةِ.

وَكَمَا تَرَوْنَ فَإِنَّ طَرِيقَتَهَا مُدْهِشَةٌ فِي السِّبَاحَةِ، وَكَذَلِكَ الْقَفَزَاتُ الَّتِي تَقُومُ بِهَا بِهَدَفِ الْغَوْصِ؛ فَهِيَ تَغْطِسُ إِلَى حَوَالَيْ عَشْرَةِ أَمْتَارٍ، وَتَسْتَطِيعُ الْبَقَاءَ تَحْتَ الْمَاءِ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ؛ لِأَنَّهَا تُخَزِّنُ الْأُكْسُجِينَ فِي خِضَابِ دَمِهَا بَدَلًا مِنْ رِئَتَيْهَا، وَهِيَ تَعِيشُ مُرْتَحِلَةً فِي الْمُحِيطَاتِ وَالْبِحَارِ، إِمَّا بِمُفْرَدِهَا أَوْ فِي مَجْمُوعَاتٍ، وَقَدْ يَصِلُ طُولُ الطُّرُقِ الْبَحْرِيَّةِ الَّتِي تَسْلُكُهَا إِلَى أَكْثَرَ مِنْ 6000 كِيلُو مِتْرٍ.

وَأَكْمَلَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ:

- وَهُنَاكَ أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ مِنَ الْفُقْمَاتِ، فَهُنَاكَ الْفُقْمَةُ الَّتِي تُسَمَّى «خَرُوفَ الْبَحْرِ»، وَهِيَ أَشْبَهُ فِي الْحَجْمِ بِالْخَرُوفِ، وَهِيَ تَأْكُلُ النَّبَاتَاتِ، وَتَعِيشُ فِي الْمِيَاهِ الْعَذْبَةِ فِي الْأَنْهَارِ.

وَهُنَاكَ أَيْضًا نَوْعٌ مِنَ الْفُقْمَةِ يُسَمَّى «أَسَدَ الْبَحْرِ»، وَهُوَ مِنْ عَائِلَةِ الْفُقْمَةِ، وَلَكِنَّهُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يُعْتَبَرُ «ابْنَ عَمِّ» الْفُقْمَةِ إِنْ صَحَّ التَّعْبِيرُ؛ حَيْثُ إِنَّ أَسَدَ

معلومة تهمك

في أَوَّلِ أَيَّامِ الوِلَادَةِ تَقُومُ الفُقْمَةُ الأُمُّ بِالصُّرَاخِ فِي وَجْهِ صَغِيرِهَا، فَيَرُدُّ عَلَيْهَا الصَّغِيرُ بِالصُّرَاخِ أَيْضًا، وَبِهَذِهِ العَمَلِيَّةِ يُمَيِّزُ كُلٌّ مِنْهُمَا صَوْتَ الآخَرِ. فَإِذَا مَا افْتَقَدَتِ الأُمُّ صَغِيرَهَا فِي أَوْقَاتِ الِازْدِحَامِ عَلَى الشَّاطِئِ، أَوْ فِي أَثْنَاءِ فَتْرَةِ الغَوْصِ. فَإِنَّهَا تَقُومُ بِالِاتِّصَالِ بِصَغِيرِهَا عَنْ طَرِيقِ الصَّوْتِ، وَكَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ الرَّائِحَةِ.

الْبَحْرِ يَخْتَلِفُ بَعْضَ الشَّيْءِ عَنِ الْفُقْمَةِ الْمُعْتَادَةِ. وَهُنَاكَ الْفُقْمَةُ الْبَيْضَاءُ، وَهِيَ تَعِيشُ فِي الْمِنْطَقَةِ الْقُطْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ، وَتَتَمَيَّزُ بِفَرْوٍ أَبْيَضَ يَكْسُو جِسْمَهَا وَيَحْمِيهَا مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ فِي هَذِهِ الْمِنْطَقَةِ الْقُطْبِيَّةِ.

وَتَدَخَّلَ «نَدِيمٌ» فِي الْحَدِيثِ فَقَالَ:

- وَمَاذَا عَنِ التَّكَاثُرِ لَدَى كَلْبِ الْبَحْرِ - أَقْصِدُ الْفُقْمَةَ؟

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» قَائِلًا:

- الظَّاهِرَةُ الْغَرِيبَةُ الَّتِي حَيَّرَتِ الْعُلَمَاءَ هِيَ تَجَمُّعُ حَيَوَانَاتِ الْفُقْمَةِ عَلَى الشَّوَاطِئِ بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ جِدًّا، وَالْجُلُوسُ عَلَى الشَّاطِئِ دُونَ حَرَاكٍ فِي حَالَتَيْنِ: الْحَالَةِ الْأُولَى: لِلرَّاحَةِ بَعْدَ مَجْهُودٍ كَبِيرٍ فِي الْغَوْصِ وَالسِّبَاحَةِ وَالْحُصُولِ عَلَى وَجْبَةٍ شَهِيَّةٍ مِنَ الْأَسْمَاكِ وَالْحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِيَّةِ الصَّغِيرَةِ. وَالْحَالَةِ الثَّانِيَةِ: فِي مَوْسِمِ التَّكَاثُرِ؛ حَيْثُ يَقُومُ الذُّكُورُ وَالْإِنَاثُ بِالتَّجَمُّعِ فِي مَكَانٍ مُخَصَّصٍ لِلْقِيَامِ بِعَمَلِيَّةِ التَّكَاثُرِ. وَقَدْ سَجَّلَ الْعُلَمَاءُ أَعْدَادَ هَذِهِ الْجَمَاعَاتِ مِنْ حَيَوَانِ الْفُقْمَةِ لَحْظَةَ مَوْسِمِ التَّزَاوُجِ؛ حَيْثُ وَصَلَ عَدَدُ أَحَدِ هَذِهِ التَّجَمُّعَاتِ إِلَى عَشَرَاتِ الْأُلُوفِ مِنْ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ!!

وَأَكْمَلَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ:

- إِنَّ عَمَلِيَّةَ اصْطِيَادِ الْفُقْمَةِ تُهَدِّدُ هَذَا الْحَيَوَانَ بِالِانْقِرَاضِ، لِذَا قَامَتْ بَعْضُ الْمُنَظَّمَاتِ، مِثْلُ مُنَظَّمَةِ «السَّلَامِ الْأَخْضَرِ» - وَهِيَ مُنَظَّمَةٌ عَالَمِيَّةٌ غَيْرُ مُرْتَبِطَةٍ بِأَيِّ جِهَةٍ، وَتَتَّخِذُ مِنْ «أَمْسْتِرْدَامَ» عَاصِمَةِ «هُولَنْدَا» مَقَرًّا لَهَا، وَمِنْ أَعْمَالِهَا الْحِفَاظُ عَلَى الْبِيئَةِ - بِمُوَاجَهَةِ عَمَلِيَّاتِ قَتْلِ وَنَزْعِ جِلْدِ حَيَوَانَاتِ الْفُقْمَةِ.
- تُعْتَبَرُ «بَقَرَةُ الْبَحْرِ» مِنْ عَائِلَةِ حَيَوَانِ الْفُقْمَةِ، وَإِنْ كَانَتْ مُخْتَلِفَةً بَعْضَ الشَّيْءِ عَنْهُ، فَلَا قَرْوَ لَهَا، كَمَا أَنَّ قَوَائِمَهَا

- وَالْعَجِيبُ أَنَّهُ فِي أَثْنَاءِ مَرَاسِمِ التَّزَاوُجِ تَقُومُ ذُكُورُ الْفُقْمَةِ بِالْمُبَارَزَةِ فِيمَا بَيْنَهَا لِتَحْدِيدِ الزَّعِيمِ الَّذِي سَيَحْظَى بِأَكْبَرِ عَدَدٍ مِنَ الْإِنَاثِ، وَهِيَ عَادَةٌ نَادِرَةٌ فِي عَالَمِ الْحَيَوَانِ.

وَبَعْدَ التَّزَاوُجِ تَأْتِي فَتْرَةُ الْحَمْلِ لَدَى الْأُنْثَى، وَتَصِلُ إِلَى مَا بَيْنَ شَهْرٍ وَنِصْفٍ، وَتِسْعَةِ أَشْهُرٍ، تَبَعًا لِنَوْعِ الْفُقْمَةِ.

وَسَأَلَتْ «نَدَى»:

- كَمْ مَرَّةً تَلِدُ أُنْثَى الْفُقْمَةِ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ؟

أَجَابَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» قَائِلَةً:

- تَلِدُ أُنْثَى الْفُقْمَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً كُلَّ عَامٍ، وَفَتْرَةُ الْوِلَادَةِ عَادَةً، تَكُونُ بَيْنَ بِدَايَةِ شَهْرِ فِبْرَايِرَ وَحَتَّى مُنْتَصَفِ شَهْرِ مَارِسَ، وَيَكْسُو صِغَارَ الْفُقْمَةِ لَحْظَةَ الْوِلَادَةِ الْفَرْوُ الْأَبْيَضُ، وَيَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ مَعَ نُمُوِّهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَيُلَازِمُ الصَّغِيرُ أُمَّهُ حَوَالَيْ 35 إِلَى 40 يَوْمًا، وَفِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ تُعْطِي الْأُمُّ دُرُوسًا لِصَغِيرِهَا فِي الْغَوْصِ وَالسِّبَاحَةِ، وَتَصُومُ الْأُمُّ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ لِتَغْذِيَةِ صَغِيرِهَا، وَالَّذِي يَكُونُ قَدْ تَدَرَّبَ عَلَى التَّوَاصُلِ مَعَ أُمِّهِ.

قَالَ «مُعَاذٌ»:

- مَا أَهَمُّ الْأَخْطَارِ الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا حَيَوَانُ الْفُقْمَةِ؟

معلومة تهمك

الْأَمَامِيَّةُ مُشَبَّكَةٌ، وَذَنَبُهَا مُفَلْطَحٌ، وَوَجْهُهَا كَثِيفُ الشَّعْرِ، وَهِيَ تَتَغَذَّى عَلَى الْأَسْمَاكِ وَالنَّبَاتَاتِ الْمَائِيَّةِ، وَتَضَعُ مَوْلُودًا وَاحِدًا فِي الشِّتَاءِ، وَتُسَمَّى أَحْيَانًا بِـ «الْأَطْوَامِ».

أَجَابَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ»:

- أَهَمُّ الْأَخْطَارِ الَّتِي يُوَاجِهُهَا حَيَوَانُ الفُقْمَةِ هِيَ إِمَّا سَمَكُ القِرْشِ الْمُتَوَحِّشِ الَّذِي يَجِدُ فِي الْتِهَامِ الفُقْمَةِ وَجْبَةً شَهِيَّةً لَذِيذَةً وَمُفِيدَةً، وَإِمَّا الْإِنْسَانُ؛ حَيْثُ يُعْتَبَرُ صَيْدُ الْفُقْمَةِ مِنَ الْمَكَاسِبِ التِّجَارِيَّةِ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ مِثْلَ: رُوسْيَا وَالنَّرْوِيجِ وَكَنَدَا، وَذَلِكَ بِهَدَفِ الرِّبْحِ الْمَالِيِّ مِنْ بَيْعِ الْمُنْتَجَاتِ الَّتِي يَتِمُّ تَصْنِيعُهَا مِنْ جِلْدِ الفُقْمَةِ، مِثْلَ بَعْضِ الْمَلَابِسِ النِّسَائِيَّةِ الْجِلْدِيَّةِ، وَبَعْضِ الْأَحْذِيَةِ.

حَكَى «بَاسِلٌ» فَقَالَ:

- فِي الْعَامِ الْمَاضِي ذَهَبْتُ مَعَ أُسْرَتِي فِي الْإِجَازَةِ الصَّيْفِيَّةِ إِلَى السَّيْرِكِ، وَكَانَ مِنْ أَهَمِّ الْعُرُوضِ الَّتِي أَسْعَدَتْنِي عَرْضُ حَيَوَانَاتِ الفُقْمَةِ؛ حَيْثُ جَلَسَ أَحَدُهَا عَلَى مَقْعَدٍ، وَجَلَسَ آخَرُ عَلَى مَقْعَدٍ مُقَابِلٍ لَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْمُدَرِّبُ بِكُرَةٍ مَطَّاطِيَّةٍ وَوَضَعَهَا عَلَى أَنْفِ الْأَوَّلِ، وَالَّذِي دَفَعَ الْكُرَةَ نَاحِيَةَ صَدِيقِهِ، فَتَلَقَّاهَا بِمَهَارَةٍ عَالِيَةٍ بِأَنْفِهِ، وَإِذَا بِهِ يَقْذِفُهَا تَارَةً أُخْرَى إِلَى صَدِيقِهِ. وَهَكَذَا كَانَتِ اللُّعْبَةُ الْمُثِيرَةُ

الَّتِي تُشْبِهُ لُعْبَةَ الْكُرَةِ الطَّائِرَةِ، حَيْثُ تَتَقَاذَفُ الْحَيَوَانَاتُ الْكُرَةَ بِمَهَارَةٍ غَرِيبَةٍ. وَقَدِ اسْتَمَرَّ هَذَا الْعَرْضُ مُدَّةَ دَقَائِقَ، دُونَ أَنْ تَقَعَ الْكُرَةُ عَلَى الْأَرْضِ وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَقَدْ لَقِيَ هَذَا الْعَرْضُ الْمُثِيرُ اسْتِحْسَانَ الْجُمْهُورِ، وَانْتَهَى بِعَاصِفَةٍ مِنَ التَّصْفِيقِ، وَقَدْ لَاحَظْتُ أَنَّ الْمُدَرِّبَ يَمُدُّ الْحَيَوَانَيْنِ بِبَعْضِ الْأَسْمَاكِ الصَّغِيرَةِ كَحَافِزٍ لَهُمَا.

ابْتَسَمَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ» وَقَالَتْ:

- إِنَّ حَيَوَانَ الْفُقْمَةِ يَتَمَيَّزُ بِالذَّكَاءِ الشَّدِيدِ، وَقَابِلِيَّتِهِ لِلتَّدْرِيبِ عَلَى الْحَرَكَاتِ الَّتِي تَتَّسِمُ بِالْمَهَارَةِ وَخِفَّةِ الظِّلِّ.

قَالَتْ «رَنَا» وَكَأَنَّهَا تَذَكَّرَتْ شَيْئًا:

- لَقَدْ تَذَكَّرْتُ الْآنَ لُعْبَةً إِلِكْتُرُونِيَّةً عَلَى الْكُمْبِيُوتَرِ الْخَاصِّ بِي. يَلْعَبُهَا اثْنَانِ مِنَ اللَّاعِبِينَ: حَيْثُ يَظْهَرُ عَلَى الشَّاشَةِ اثْنَانِ مِنْ حَيَوَانَاتِ الْفُقْمَةِ بَيْنَهُمَا شَبَكَةٌ فَاصِلَةٌ، وَهُنَاكَ كُرَةٌ، وَعَلَى كُلِّ لَاعِبٍ اسْتِخْدَامُ مَفَاتِيحِ الْأَسْهُمِ لِيُحَرِّكَ الْفُقْمَةَ الْخَاصَّةَ بِمِنْطَقَتِهِ لِتَدْفَعَ الْكُرَةَ عَبْرَ الشَّبَكَةِ إِلَى الْمِنْطَقَةِ الْمُقَابِلَةِ، وَبِالتَّالِي يَكُونُ عَلَى اللَّاعِبِ الثَّانِي أَنْ يُحَرِّكَ الْفُقْمَةَ الْخَاصَّةَ بِمِنْطَقَتِهِ كَيْ تَدْفَعَ الْكُرَةَ إِلَى النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى لِلشَّبَكَةِ، فَإِذَا وَقَعَتِ الْكُرَةُ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ أَحَدِ اللَّاعِبَيْنِ تُحْسَبُ نُقْطَةٌ لِلَّاعِبِ الْآخَرِ. إِنَّهَا لُعَبٌ مُحَبَّبَةٌ إِلَى نُفُوسِنَا، وَهِيَ تُشْبِهُ لُعْبَةَ الْكُرَةِ الطَّائِرَةِ كَمَا قَالَ صَدِيقِي «بَاسِلٌ».

ابْتَسَمَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ» وَقَالَ:

- إِنَّ حَيَوَانَ الْفُقْمَةِ حَيَوَانٌ ذَكِيٌّ وَمَاهِرٌ بِالْفِعْلِ، وَعِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُ مَشَاعِرَ تُشْبِهُ مَشَاعِرَ الْإِنْسَانِ؛ فَهُوَ يَفْرَحُ وَيَحْزَنُ وَيَمِيلُ إِلَى الْمَرَحِ وَاللَّعِبِ وَاللَّهْوِ.

قَالَ «مُرَادٌ»:

- أَعْطِنَا مِثَالًا عَلَى مَا تَقُولُ مِنْ فَضْلِكَ يَا دُكْتُور «مَنْدُور».

قَالَ الدُّكْتُورُ «مَنْدُورٌ»:

- حَسَنًا.. فِي حَدِيقَةِ حَيَوَانٍ بِإِحْدَى الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ كَانَ يَعِيشُ حَيَوَانُ فُقْمَةٍ مِنْ نَوْعِ «بَقَرِ الْبَحْرِ» - وَالَّذِي يَتَمَيَّزُ بِشَعْرٍ كَثِيفٍ فِي وَجْهِهِ - وَمَعَهُ أُنْثَاهُ، وَكَانَ الْمُدَرِّبُ

يَجْعَلُهُمَا يَأْتِيَانِ بِحَرَكَاتٍ بَهْلَوَانِيَّةٍ تُسْعِدُ جُمْهُورَ الْمُشَاهِدِينَ. وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ تُوُفِّيَتِ الْأُنْثَى، فَحَزِنَ الذَّكَرُ عَلَيْهَا حُزْنًا شَدِيدًا، وَرَفَضَ أَنْ يَقُومَ بِأَيَّةِ حَرَكَاتٍ بَهْلَوَانِيَّةٍ كَمَا كَانَ فِي الْمَاضِي.

وَقَدْ حَاوَلَ الْمُدَرِّبُ بِشَتَّى الطُّرُقِ أَنْ يُسَرِّيَ عَنِ الْحَيَوَانِ بِتَقْدِيمِ الْأَسْمَاكِ الَّتِي يُحِبُّ أَنْ يَأْكُلَهَا، وَلَكِنَّهُ رَفَضَ تَمَامًا كُلَّ هَذِهِ الْمُحَاوَلَاتِ!

وَمِنَ الْعَجِيبِ أَنَّهُ كَانَ يَضَعُ أَطْرَافَهُ الْأَمَامِيَّةَ عَلَى عَيْنَيْهِ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، وَكَأَنَّهُ يَبْكِي بِالْفِعْلِ بَعْدَ أَنْ فَقَدَ شَرِيكَةَ حَيَاتِهِ!!

قَالَتِ الدُّكْتُورَةُ «هِنْدٌ»:

- قَرَأْتُ مُنْذُ فَتْرَةٍ لَيْسَتْ طَوِيلَةً فِي إِحْدَى الْمَجَلَّاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ قِصَّةَ رَجُلٍ يُدْعَى «جَانُو»، كَانَ يَعِيشُ فِي بَلْدَةٍ صَغِيرَةٍ فِي شَمَالِيِّ كَنَدَا، حَيْثُ الْبَرْدُ الشَّدِيدُ وَالْجَلِيدُ الَّذِي يُغَطِّي الْأَرْضَ وَأَسْطُحَ الْمَنَازِلِ. وَلَمْ يَكُنْ «جَانُو» مَيْسُورَ الْحَالِ، بَلْ كَانَ يُعْتَبَرُ مِنْ بُسَطَاءِ الْبَلْدَةِ.

وَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي تَقَابَلَ مَعَ صَدِيقٍ قَدِيمٍ يَعْرِفُهُ مُنْذُ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ، وَقَدْ لَاحَظَ «جَانُو» أَنَّ صَدِيقَهُ مَيْسُورُ الْحَالِ، وَأَنَّ مَظَاهِرَ الثَّرَاءِ بَادِيَةٌ عَلَيْهِ. وَعِنْدَمَا عَلِمَ الصَّدِيقُ بِحَالِ «جَانُو» عَرَضَ عَلَيْهِ عَمَلًا يُحَقِّقُ لَهُ الثَّرَاءَ السَّرِيعَ، وَهُوَ صَيْدُ حَيَوَانِ الْفُقْمَةِ وَبَيْعُ جِلْدِهِ وَدُهْنِهِ وَلَحْمِهِ، وَأَخْبَرَهُ الصَّدِيقُ أَنَّ هَذَا الْعَمَلَ مَمْنُوعٌ بِحُكْمِ الْقَانُونِ، وَلَكِنْ لِلضَّرُورَةِ أَحْكَامٌ.

وَأَفْهَمَهُ الصَّدِيقُ كَيْفِيَّةَ الصَّيْدِ، وَأَعْطَاهُ آلَةَ الْقَتْلِ الْمُنَاسِبَةِ.

وَبَعْدَ تَرَدُّدٍ ذَهَبَ «جَانُو» وَمَعَهُ آلَةُ الْقَتْلِ إِلَى الْبَحْرِ الْمُتَجَمِّدِ حَيْثُ تُوجَدُ الْفُقْمَاتُ، وَبَعْدَ أَنْ سَارَ قَلِيلًا وَجَدَ عَنْ بُعْدٍ فُقْمَةً تَتَحَرَّكُ بِبُطْءٍ عَلَى الْجَلِيدِ، فَأَسْرَعَ «جَانُو» نَاحِيَتَهَا فِي مُحَاوَلَةٍ لِلظَّفَرِ بِهَا، وَقَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا إِذَا بِهِ يَسْقُطُ فِي مِنْطَقَةٍ غَيْرِ مُتَجَمِّدَةٍ، وَأَخَذَ «جَانُو» يُحَرِّكُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ لِيَصِلَ إِلَى مِنْطَقَةِ الْجَلِيدِ الصُّلْبَةِ دُونَ جَدْوَى، وَشَعَرَ أَنَّهُ سَيَغْرَقُ وَيَمُوتُ، وَإِذَا بِهِ يَشْعُرُ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَدْفَعُهُ نَاحِيَةَ الْجَلِيدِ، فَنَظَرَ فَوَجَدَ فُقْمَةً تُسَاعِدُهُ عَلَى النَّجَاةِ مِنَ الْمَوْتِ، وَبِالْفِعْلِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَاءِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَتْهُ الْفُقْمَةُ الَّتِي أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهَا.

سَعِدَ الْأَصْدِقَاءُ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ، وَوَدَّعُوا كُلًّا مِنَ الدُّكْتُورِ «مَنْدُورٍ» وَالدُّكْتُورَةِ «هِنْدٍ»، بَعْدَ أَنْ شَكَرُوهُمَا عَلَى كَرَمِ الضِّيَافَةِ، وَعَلَى كُلِّ الْمَعَارِفِ وَالْمَعْلُومَاتِ وَالْخِبْرَاتِ الَّتِي تَعَلَّمُوهَا عَنِ الزَّوَاحِفِ وَالْبَرْمَائِيَّاتِ.

تَاسِعًا: الضِّفْدَعَةُ

اتَّجَهَ الْأَصْدِقَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَزْرَعَةِ الْعَمِّ «حَمْزَةَ» وَالْخَالَةِ «نُورَ»؛ حَيْثُ تَمَّ اسْتِقْبَالُهُمْ أَحْسَنَ اسْتِقْبَالٍ، ثُمَّ بَدَأَ «نَدِيمٌ» الْحَدِيثَ، فَقَالَ:

- نُرِيدُ أَنْ نَتَعَرَّفَ عَنْ قُرْبٍ عَلَى «الضِّفْدَعَةِ»؛ فَنَحْنُ كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ نَقِيقَهَا فِي هَذِهِ الْمَزْرَعَةِ.

ابْتَسَمَ الْعَمُّ «حَمْزَةُ»، وَقَالَ:

- حَسَنًا.. سَنَذْهَبُ الْآنَ نَاحِيَةَ الْجَدْوَلِ الْمَائِيِّ الَّذِي يَقَعُ فِي مُنْتَصَفِ الْمَزْرَعَةِ، حَيْثُ تُوجَدُ بَعْضُ هَذِهِ الضَّفَادِعِ.

وَبِالْفِعْلِ ذَهَبَ الْأَصْدِقَاءُ مَعَ الْعَمِّ «حَمْزَةَ» وَالْخَالَةِ «نُورَ» إِلَى الْجَدْوَلِ الْمَائِيِّ، وَفِي لَمْحِ الْبَصَرِ مَدَّ الْعَمُّ «حَمْزَةُ» يَدَهُ بَيْنَ الْحَشَائِشِ وَأَمْسَكَ بِضِفْدَعَةٍ، وَعَرَضَهَا عَلَى الْأَصْدِقَاءِ لِرُؤْيَتِهَا عَنْ قُرْبٍ، بَلْ وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَلْمِسُ جِلْدَهَا النَّاعِمَ الْبَارِدَ، وَيَنْظُرُ إِلَى عَيْنَيْهَا الْجَاحِظَتَيْنِ.

ثُمَّ قَالَ الْعَمُّ «حَمْزَةُ» مُعَرِّفًا بِالضِّفْدَعَةِ، فَقَالَ:

التَّصْنِيفُ الْعِلْمِيُّ:

الْمَمْلَكَةُ : الْحَيَوَانِيَّةُ.

الشُّعْبَةُ : الْحَبْلِيَّاتُ.

الطَّائِفَةُ : الْبَرْمَائِيَّاتُ.

الرُّتْبَةُ : عَدِيمَةُ الذَّيْلِ.

الْأَنْوَاعُ : نَادِرٌ يَعِيشُ فِي الْمَنَاطِقِ الْمَدَارِيَّةِ، وَنَوْعٌ شَائِعٌ يُعْرَفُ بِالضَّفَادِعِ الصَّهْبَاءِ.

معلومة نهمك

- أَنْوَاعُ الضَّفَادِعِ عَدِيدَةٌ لِلْغَايَةِ، وَقَدْ تَصِلُ إِلَى 750 نَوْعًا، جَمِيعُهَا مِنْ رُتْبَةِ عَدِيمَةِ الذَّيْلِ. وَالْمُصْطَلَحُ الشَّائِعُ لِلضِّفْدَعَةِ يَعْنِي تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَعِيشُ فِي بِيئَةٍ شِبْهِ مَائِيَّةٍ، وَتَمْتَلِكُ جِلْدًا أَمْلَسَ رَطْبًا، وَأَطْرَافُهَا الْخَلْفِيَّةُ أَطْوَلُ وَأَقْوَى مِنْ أَطْرَافِهَا الْأَمَامِيَّةِ.

- هُنَاكَ حَيَوَانٌ بَرْمَائِيٌّ مِنْ رُتْبَةِ عَدِيمَةِ الذَّيْلِ يُشْبِهُ الضِّفْدَعَ وَيُسَمَّى «عُلْجُومًا»، وَهُوَ يَتَشَابَهُ عَلَى

- تَتَمَيَّزُ الضَّفَادِعُ بِأَجْسَامِهَا القَصِيرَةِ اللَّيِّنَةِ، وَسِيقَانِهَا الْخَلْفِيَّةِ الطَّوِيلَةِ، وَالَّتِي تَنْتَهِي بِأَصَابِعَ مُتَرَابِطَةٍ بِأَغْشِيَةٍ رَقِيقَةٍ، تُسَاعِدُهَا عَلَى السِّبَاحَةِ، وَلَهَا عُيُونٌ جَاحِظَةٌ، وَلَيْسَ لَهَا ذَيْلٌ، وَمُعْظَمُ الضَّفَادِعِ تَعِيشُ فِي وَسَطٍ مَائِيٍّ، وَتَتَحَرَّكُ بِالْقَفْزِ وَيُمْكِنُهَا التَّسَلُّقُ.

وَأَكْمَلَتِ الْخَالَةُ «نُورُ» الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ:

- الضَّفَادِعُ البَالِغَةُ تُعَدُّ مِنَ الْمُفْتَرِسَاتِ؛ لِأَنَّهَا تَتَغَذَّى عَلَى الْحَشَرَاتِ وَالدِّيدَانِ الْحَلْقِيَّةِ. وَهِيَ تَتَوَاجَدُ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ تَقْرِيبًا، مِنَ الْمَنَاطِقِ الِاسْتِوَائِيَّةِ وَحَتَّى الْمَنَاطِقِ شِبْهِ البَارِدَةِ، وَلَكِنَّ أَفْضَلَ مُنَاخٍ تَعِيشُ فِيهِ هُوَ الغَابَاتُ الِاسْتِوَائِيَّةُ.

تَسَاءَلَتْ «نَدَى» قَائِلَةً:

- أُلَاحِظُ أَنَّ الضِّفْدَعَةَ لَيْسَتْ لَهَا رَقَبَةٌ، فَكَيْفَ لَهَا أَنْ تَرَى مَا حَوْلَهَا فِي سُهُولَةٍ؟

ابْتَسَمَ الْعَمُّ «حَمْزَةُ» وَقَالَ:

- مُلَاحَظَةٌ ذَكِيَّةٌ يَا «نَدَى».. إِذَا كَانَتِ الضِّفْدَعَةُ لَيْسَ لَهَا رَقَبَةٌ، فَإِنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ أَعْطَى لَهَا عَيْنَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ تَتَحَرَّكَانِ فِي اتِّجَاهَاتٍ

النَّاسِ وَلَا يُمَيِّزُونَهُ عَنِ الضِّفْدَعِ. هَذَا الْحَيَوَانُ يَتَمَيَّزُ عَنِ الضِّفْدَعِ بِخَصَائِصَ سُلُوكِيَّةٍ، فَهُوَ مُهَيَّأٌ أَكْثَرَ لِلْعَيْشِ بَعِيدًا عَنِ الْمِيَاهِ، وَيَفْتَقِرُ لِمَهَارَةِ القَفْزِ، وَجِلْدُهُ أَخْشَنُ، وَأَرْجُلُهُ قَصِيرَةٌ مُقَارَنَةً بِأَرْجُلِ الضِّفْدَعِ.

تَعْتَمِدُ الضَّفَادِعُ اعْتِمَادًا كَامِلًا فِي الْحُصُولِ عَلَى الْأُكْسُجِينِ اللَّازِمِ لِحَيَاتِهَا عَلَى رِئَتَيْهَا، بَيْنَمَا تَتَخَلَّصُ مِنْ غَازِ ثَانِي أُكْسِيدِ الْكَرْبُونِ عَنْ طَرِيقِ الْجِلْدِ. وَالْجِلْدُ مُهِمٌّ جِدًّا أَيْضًا لِلضَّفَادِعِ؛ حَيْثُ تَتَنَفَّسُ عَنْ طَرِيقِهِ فِي أَثْنَاءِ فَتْرَةِ البَيَاتِ الشَّتَوِيِّ.

مُخْتَلِفَةٍ، بِحَيْثُ تَرَى بِهِمَا أَمَامَهَا وَحَوْلَهَا، بَلْ وَتَرَى بِهِمَا أَيْضًا مَا خَلْفَهَا. وَفِي الرَّأْسِ أَيْضًا فَمٌ بِهِ لِسَانٌ مُثَبَّتٌ مِنَ الْأَمَامِ وَسَائِبٌ مِنَ الْخَلْفِ؛ لِتَسْتَطِيعَ أَنْ تَمُدَّهُ أَمَامَهَا لِتَصِيدَ بِهِ الْحَشَرَاتِ مِنْ حَوْلِهَا.

قَالَ «مُعَاذٌ»:

- أَوَدُّ مَعْرِفَةَ أَسْبَابِ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي تُصْدِرُهَا الضَّفَادِعُ، وَالَّتِي تُسَمَّى «نَقِيقًا».

أَجَابَ الْعَمُّ «حَمْزَةُ» قَائِلًا:

- تُصْدِرُ الضَّفَادِعُ أَصْوَاتَهَا الْمَعْرُوفَةَ بِاسْمِ «النَّقِيقِ»، وَالَّتِي يَسْمَعُهَا كُلُّ مَنْ يَسْكُنُ أَوْ يَمُرُّ بِجِوَارِ التُّرَعِ وَالْجَدَاوِلِ الَّتِي تَعِيشُ فِيهَا هَذِهِ الضَّفَادِعُ؛ حَيْثُ تَمْتَلِكُ أَحْبَالًا صَوْتِيَّةً. وَعِنْدَمَا يَمُرُّ الْهَوَاءُ جِيئَةً وَذَهَابًا فَوْقَ تِلْكَ الْأَحْبَالِ الصَّوْتِيَّةِ ـ بَيْنَ الرِّئَةِ وَزَوْجٍ كَبِيرٍ مِنَ الْأَكْيَاسِ الْهَوَائِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ أَسْفَلَ الْفَمِ ـ فَإِنَّهُ يَتِمُّ تَضْخِيمُ الصَّوْتِ، وَخُصُوصًا فِي الضِّفْدَعِ الذَّكَرِ.

وَيُصْدِرُ الضِّفْدَعُ هَذِهِ الْأَصْوَاتَ لِأَغْرَاضٍ خَاصَّةٍ: فَقَدْ يُطْلِقُ نَغْمَةً حَنُونًا يُنَادِي بِهَا زَوْجَتَهُ، وَقَدْ يُطْلِقُ نَغَمَاتٍ لِلرُّفَقَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ، يُخْبِرُهُمْ بِمَعْلُومَاتٍ مُحَدَّدَةٍ خَاصَّةٍ بِالْبِيئَةِ الَّتِي يَعِيشُونَ فِيهَا، وَعَنِ الْأَعْدَاءِ فِي هَذِهِ الْبِيئَةِ.

معلومة تهمك

- الضِّفْدَعَةُ لَا تَمْشِي وَلَكِنَّهَا تَقْفِزُ، وَقُوَّةُ الضِّفْدَعَةِ فِي الْقَفْزِ تَكْمُنُ فِي أَرْجُلِهَا الْخَلْفِيَّةِ وَخُصُوصًا فِي الْفَخِذَيْنِ. وَفِي الْمَاءِ تَسْتَخْدِمُ الضِّفْدَعَةُ عَضَلَاتِ الْأَرْجُلِ الْخَلْفِيَّةِ فِي السِّبَاحَةِ.
- عُثِرَ فِي إِنْدُونِيسْيَا عَامَ 2007 عَلَى نَوْعٍ مِنَ الضَّفَادِعِ قَادِرٍ عَلَى التَّنَفُّسِ دُونَ رِئَتَيْنِ، وَبَعْدَ تَشْرِيحِ ضِفْدَعَةٍ مِنْ هَذَا النَّوْعِ تَأَكَّدَ الْعُلَمَاءُ أَنَّهَا قَادِرَةٌ عَلَى التَّنَفُّسِ مِنْ خِلَالِ مَسَامِّ الْجِلْدِ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ

وَفِي حُبِّ اسْتِطْلَاعٍ وَتَرْكِيزٍ قَالَتْ «فَرِيدَةُ»:

- دَوْرَةُ حَيَاةِ الضِّفْدَعَةِ تَبْدَأُ بِتَزَاوُجِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، ثُمَّ مَاذَا بَعْدُ؟

أَجَابَتِ الْخَالَةُ «نُورُ» قَائِلَةً:

- بَعْدَ التَّزَاوُجِ تَضَعُ الْأُنْثَى الْبَيْضَ عَلَى شَكْلِ عَنَاقِيدَ، بِحَيْثُ يَحْتَوِي كُلُّ عُنْقُودٍ عَلَى مِئَاتٍ، وَأَحْيَانًا عَلَى آلَافٍ مِنَ الْبَيْضِ، وَالَّذِي يَكُونُ فِي صُورَةٍ جَمَاعِيَّةٍ بِحَيْثُ يَصْعُبُ عَلَى الْمُفْتَرِسِينَ إِبَادَتُهُ كُلَّهُ، وَأَحْيَانًا تَضَعُ الْبَيْضَ عَلَى أَوْرَاقِ الشَّجَرِ الَّتِي تَطْفُو فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ، وَتُغَطِّيهِ بِغِشَاءٍ لَاصِقٍ لِحِمَايَتِهِ.

وَأَكْمَلَ الْعَمُّ «حَمْزَةُ» الْحَدِيثَ، فَقَالَ:

- يَفْقِسُ الْبَيْضُ بَعْدَ حَوَالَيْ أُسْبُوعٍ تَقْرِيبًا، حَيْثُ تَخْرُجُ الْيَرَقَاتُ الَّتِي تُسَمَّى «الشَّرَاغِفَ» أَوْ «أَبَا زُنَيْمَةَ» لِلْحَيَاةِ وَهِيَ بِدُونِ أَرْجُلٍ، وَلَهَا ذَيْلٌ طَوِيلٌ لِلْمُسَاعَدَةِ عَلَى السِّبَاحَةِ فِي الْمَاءِ. وَهِيَ كَائِنَاتٌ نَبَاتِيَّةٌ تَتَغَذَّى عَلَى الطَّحَالِبِ، وَكَثِيرٌ مِنْهَا يَتَغَذَّى عَلَى الْأَسْمَاكِ، وَبَعْضُهَا يَكُونُ سَامًّا.

وَمَرْحَلَةُ «الشَّرْغُوفِ» تَسْتَمِرُّ لِمُدَّةِ أُسْبُوعٍ أَوْ أَكْثَرَ قَلِيلًا، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ أَنْوَاعِهَا يَسْتَمِرُّ «شَرْغُوفًا» حَتَّى نِهَايَةِ الشِّتَاءِ، وَفِي نِهَايَةِ تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ تَطْرَأُ عَلَى «الشَّرْغُوفِ»

إِلَى أَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الضَّفَادِعِ قَدِ اسْتَغْنَى عَنْ رِئَتَيْهِ، وَانْتَقَلَ مِنَ الْعَيْشِ فِي الْمِيَاهِ إِلَى الْعَيْشِ فِي الْهَوَاءِ الطَّلْقِ.

مِنَ الطَّرِيفِ، بَلْ مِنَ الْمُثِيرِ مَا يَقُومُ بِهِ الْأَطِبَّاءُ فِي فِيتْنَامَ (وَهِيَ إِحْدَى دُوَلِ شَرْقِيِّ آسْيَا)، حَيْثُ يَقُومُونَ بِتَصْنِيعِ لَحْمِ الضَّفَادِعِ عَلَى شَكْلِ أَقْرَاصٍ بَعْدَ إِضَافَةِ مَوَادَّ أُخْرَى إِلَيْهَا مِثْلَ زُلَالِ الْبَيْضِ وَالْمَوْزِ، وَتُعَالِجُ هَذِهِ الْأَقْرَاصُ سُوءَ التَّغْذِيَةِ عِنْدَ الْأَطْفَالِ، كَمَا يُعَالِجُونَ بِهَا الرَّبْوَ الشُّعَبِيَّ.

تَغْيِيرَاتٌ خَارِجَ الْجِسْمِ وَدَاخِلَهُ، لِيَتَحَوَّلَ عَمَلِيًّا إِلَى ضِفْدَعٍ بَالِغٍ.

سَأَلَتْ «رَنَا» فِي حَمَاسٍ:

- هَلْ صَحِيحٌ أَنَّ الضَّفَادِعَ سَامَّةٌ؟

أَجَابَ الْعَمُّ «حَمْزَةُ» قَائِلًا:

- نَعَمْ، وَلِذَا يَجِبُ الِاحْتِرَاسُ عِنْدَ التَّعَامُلِ مَعَهَا؛ فَالضَّفَادِعُ تُنْتِجُ سُمُومَهَا أَسَاسًا لِلدِّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهَا ضِدَّ أَعْدَائِهَا كَالتَّمَاسِيحِ وَالثَّعَابِينِ، حَيْثُ تُؤَدِّي هَذِهِ السُّمُومُ إِلَى أَنْ تَلْفِظَ هَذِهِ الْأَعْدَاءُ الضِّفْدَعَةَ مِنْ فَمِهَا، وَبِذَلِكَ تَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ.

وَتَذَكَّرَ «مُرَادٌ» شَيْئًا، فَقَالَ:

- تَذَكَّرْتُ الْآنَ أَنَّنِي قَرَأْتُ فِي إِحْدَى الْمَجَلَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ أَنَّ الْهُنُودَ الْحُمْرَ - فِي غَابَاتِ كُولُومْبِيَا فِي أَمْرِيكَا الْجَنُوبِيَّةِ - يَسْتَعْمِلُونَ سُمَّ الضَّفَادِعِ فِي دَهْنِ رُءُوسِ السِّهَامِ بِغَرَضِ جَعْلِهَا أَكْثَرَ قُدْرَةً عَلَى قَتْلِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْوُحُوشِ.

وَفِي حُبِّ اسْتِطْلَاعٍ تَسَاءَلَتْ «شَهْدٌ» قَائِلَةً:

- هَلْ لِلضَّفَادِعِ فَوَائِدُ تَعُودُ عَلَى الْإِنْسَانِ؟

رَدَّ الْعَمُّ «حَمْزَةُ» قَائِلًا:

- فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ تَعُودُ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ الضَّفَادِعِ، مِنْ أَهَمِّهَا مَا يَلِي:

(أ) فِي فَرَنْسَا يَسْتَخْدِمُ النَّاسُ الضَّفَادِعَ أَطْعِمَةً يَأْكُلُونَهَا، وَيَصْنَعُونَ مِنْهَا شُورْبَةً (حَسَاءً) هِيَ الْأَلَذُّ عِنْدَهُمْ.

وَيَقُولُ آكِلُو الضَّفَادِعِ إِنَّ لَحْمَهَا أَلَذُّ مِنْ لَحْمِ الدَّجَاجِ وَالْأَغْنَامِ وَالْأَبْقَارِ، وَأَكْثَرُ قِيمَةً غِذَائِيَّةً أَيْضًا، فَبُرُوتِينُ الضَّفَادِعِ أَغْنَى مِنْ بُرُوتِينِ الْأَغْنَامِ وَالْأَبْقَارِ وَالسَّمَكِ، وَلَحْمُ الضَّفَادِعِ بِهِ «كَالْسِيُوم» أَكْثَرُ مِمَّا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الطُّيُورِ الدَّاجِنَةِ.

(ب) اسْتَطَاعَ الْعَالِمَانِ الْإِيطَالِيَّانِ «لُويجِي جَلْفَانِي» وَ«أَلِكْسَنْدْرُ فُولْتَا» الْقِيَامَ بِإِجْرَاءِ

تَجَارِبَ عَلَى الْأَعْصَابِ الْمَوْجُودَةِ فِي عَضَلَاتِ الضَّفَادِعِ، وَأَدَّتْ هَذِهِ التَّجَارِبُ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الطَّاقَةِ الْكِيمْيَائِيَّةِ وَالطَّاقَةِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى صُنْعِ الْبَطَّارِيَّاتِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ الَّتِي تَسِيرُ بِهَا الْآنَ السَّيَّارَاتُ وَالطَّائِرَاتُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

تَسَاءَلَ «مُعَاذٌ» قَائِلًا:

- مَا أَهَمُّ أَعْدَاءِ الضَّفَادِعِ؟

ابْتَسَمَتِ الْخَالَةُ «نُورُ»، وَأَجَابَتْ قَائِلَةً:

- إِذَا كَانَتِ الضِّفْدَعَةُ تَأْكُلُ الدِّيدَانَ وَالْحَشَرَاتِ وَالسَّحَالِي، فَإِنَّهَا هِيَ الْأُخْرَى تُؤْكَلُ، وَيُعَدُّ الْإِنْسَانُ هُوَ أَوَّلَ الْأَعْدَاءِ؛ حَيْثُ يَسْتَهْلِكُ مِنْهَا مِئَاتِ الْمَلَايِينِ سَنَوِيًّا. وَمِنْ أَعْدَاءِ الضَّفَادِعِ أَيْضًا: الثَّعَابِينُ؛ حَيْثُ تُهَاجِمُ الضَّفَادِعَ وَتَضْرِبُ فِيهَا أَنْيَابَ السُّمِّ لِتَشُلَّ حَرَكَتَهَا ثُمَّ تَبْتَلِعَهَا. وَهُنَاكَ أَسْمَاكٌ مُفْتَرِسَةٌ تَلْتَهِمُ الضَّفَادِعَ.

قَالَتْ «فَرِيدَةُ»:

- تَعَلَّمْتُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّ الضَّفَادِعَ كَانَتْ نَوْعًا مِنَ الِابْتِلَاءَاتِ الَّتِي ابْتَلَى اللهُ بِهَا قَوْمَ «فِرْعَوْنَ»، عِنْدَمَا رَفَضُوا دَعْوَةَ النَّبِيِّ «مُوسَى» ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ لِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ..

أَلَيْسَ كَذَلِكَ يَا عَمُّ «حَمْزَةَ»؟

ابْتَسَمَ الْعَمُّ «حَمْزَةُ»، وَقَالَ:

- بَلَى يَا بُنَيَّتِي.. فَبَيْنَمَا كَانَ النَّبِيُّ «مُوسَى» ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ جَالِسًا عِنْدَ الطَّاغِيَةِ «فِرْعَوْنَ» إِذَا بِهِ يَسْمَعُ نَقِيقَ ضِفْدَعٍ، فَقَالَ «مُوسَى» ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ:

- مَا تَلْقَى أَنْتَ وَقَوْمُكَ مِنْ هَذَا؟

فَضَحِكَ «فِرْعَونُ»، وَقَالَ:

- وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ كَيْدُ هَذَا الضِّفْدَعِ الْحَقِيرِ.

فَأَخْبَرَهُ «مُوسَى» ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ بِأَنَّ هَذَا الضِّفْدَعَ سَيَقْلِبُ حَيَاتَهُ رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ.

وَمَا إِنْ جَاءَ الْمَسَاءُ حَتَّى هَجَمَ عَلَى «فِرْعَوْنَ» وَقَوْمِهِ أُلُوفُ الْمَلَايِينِ مِنَ الضَّفَادِعِ، فَمَلَأَتِ الْبُيُوتَ، وَاجْتَمَعَتْ عَلَى الْآنِيَةِ وَالْأَطْعِمَةِ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَجْلِسُ فَتُحِيطُ الضَّفَادِعُ بِهِ وَتُغَطِّيهِ! حَتَّى إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ وَثَبَ ضِفْدَعٌ إِلَى فَمِهِ!! فَقَالَ قَوْمُ «فِرْعَوْنَ» لِـ«مُوسَى» ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ:

- ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَكْشِفْ عَنَّا هَذَا الْبَلَاءَ، وَنَبْتَعِدْ عَنَّا هَذِهِ الضَّفَادِعُ اللَّعِينَةُ، فَنُؤْمِنَ لَكَ وَنُرْسِلَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

فَدَعَا «مُوسَى» رَبَّهُ، فَكَشَفَ عَنْهُمْ مَا هُمْ فِيهِ، فَنَقَضُوا عَهْدَهُمْ، وَرَفَضُوا أَنْ يُرْسِلُوا مَعَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ ﴾. (سُورَةُ الْأَعْرَافِ/ 133)

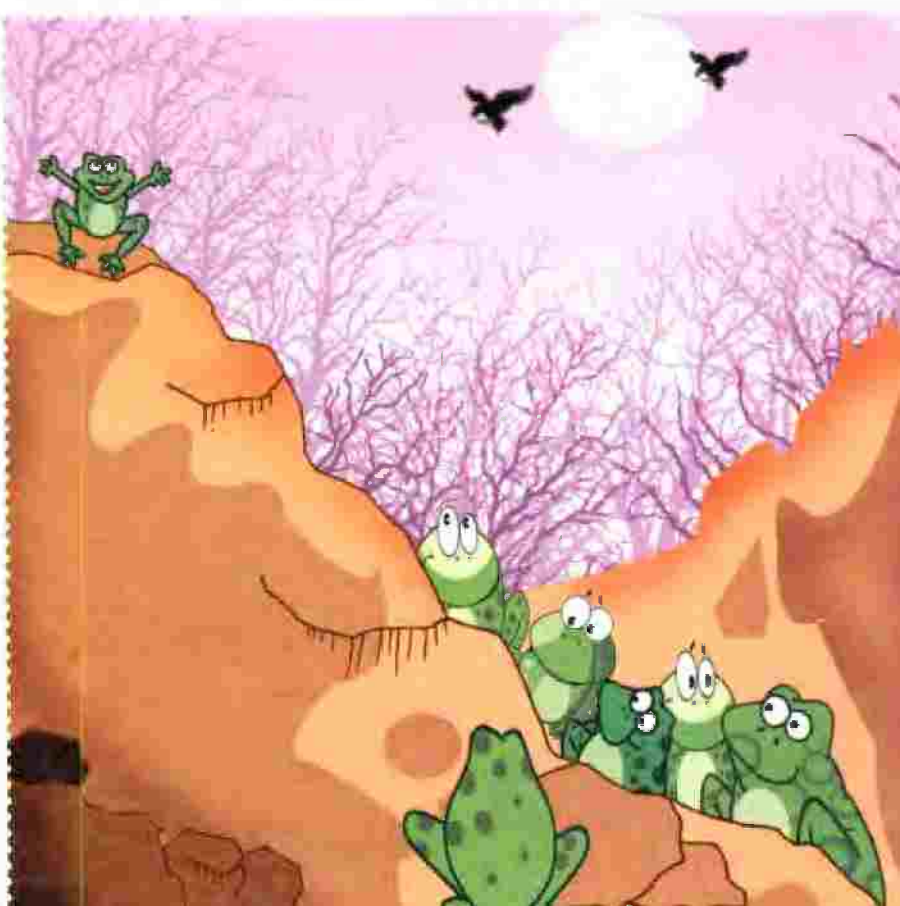

قَالَ «بَاسِلٌ»:

- قَرَأْتُ حِكَايَةً عَنْ ضِفْدَعَةٍ.

فَابْتَسَمَ الْجَمِيعُ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَحْكِيَهَا لَهُمْ.

رَدَّ «بَاسِلٌ» بِابْتِسَامَةٍ، وَقَالَ:

- عَلَى الرُّحْبِ وَالسَّعَةِ.. يُحْكَى أَنَّ طُوفَانًا حَاصَرَ ضِفْدَعَةً وَعَقْرَبًا، وَلِأَنَّ الضِّفْدَعَةَ تَسْتَطِيعُ السِّبَاحَةَ، فَقَدِ اسْتَغَاثَ بِهَا الْعَقْرَبُ لِكَيْ تُنْقِذَهُ مِنَ الْغَرَقِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ الْعَوْمَ. قَالَ الْعَقْرَبُ لِلضِّفْدَعَةِ:

- أَرْجُوكِ يَا ضِفْدَعَةُ، احْمِلِينِي عَلَى ظَهْرِكِ وَأَنْقِذِينِي مِنْ مَوتٍ مُحَقَّقٍ.

قَالَتِ الضِّفْدَعَةُ فِي حَذَرٍ:

- وَهَلْ أَنَا مَجْنُونَةٌ لِكَيْ أَحْمِلَكَ عَلَى ظَهْرِي؟! مَنِ الَّذِي سَيَضْمَنُ لِي أَنَّكَ لَنْ تَلْدَغَنِي؟

أَخَذَ الْعَقْرَبُ يَتَوَسَّلُ لِلضِّفْدَعَةِ قَائِلًا:

- كَيْفَ أَلْدَغُكِ؟ فَأَنَا إِذَا لَدَغْتُكِ سَتَمُوتِينَ وَأَغْرَقُ أَنَا مَعَكِ! أَرْجُوكِ أَنْقِذِينِي..

قَبِلَتِ الضِّفْدَعَةُ رَجَاءَ الْعَقْرَبِ، وَقَالَتْ لَهُ:

- سَوْفَ أُنْقِذُكَ.. هَيَّا اصْعَدْ عَلَى ظَهْرِي.

وَسَارَتِ الضِّفْدَعَةُ وَهِيَ تَحْمِلُ الْعَقْرَبَ حَتَّى الشَّاطِئِ، وَعِنْدَهَا لَدَغَهَا الْعَقْرَبُ!

فَقَالَتْ لَهُ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ:

- لِمَ لَدَغْتَنِي وَقَدْ أَنْقَذْتُ حَيَاتَكَ مِنَ الْغَرَقِ؟

فَابْتَسَمَ الْعَقْرَبُ وَهُوَ يَنْزِلُ عَنْ ظَهْرِهَا، وَقَالَ:

- صَاحِبُ الطَّبْعِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُغَيِّرَ طَبْعَهُ. وَصَدَقَ مَنْ قَالَ: «اتَّقِ شَرَّ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ»!

سَعِدَ الْأَصْدِقَاءُ بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ، وَأَخَذُوا مِنْهَا الْعِبْرَةَ وَالْعِظَةَ.

قَالَتْ «رَنَا»:

- وَأَنَا أَيْضًا لَدَيَّ حِكَايَةٌ عَنِ الضَّفَادِعِ.

أَبْدَى الْجَمِيعُ رَغْبَتَهُمْ فِي سَمَاعِ هَذِهِ الْحِكَايَةِ، فَقَالَتْ «رَنَا»:

- كَانَتْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الضَّفَادِعِ تَقْفِزُ مُسَافِرَةً بَيْنَ الْغَابَاتِ، وَفَجْأَةً وَقَعَتْ ضِفْدَعَتَانِ فِي بِئْرٍ عَمِيقَةٍ، فَتَجَمَّعَتْ جُمُوعُ الضَّفَادِعِ حَوْلَ الْبِئْرِ، وَلَمَّا شَاهَدُوا مَدَى عُمْقِهَا، صَاحُوا بِالضِّفْدَعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ فِي الْأَسْفَلِ أَنَّ حَالَتَهُمَا مَيْئُوسٌ مِنْهَا، وَأَنَّهُ لَا فَائِدَةَ مِنَ الْمُحَاوَلَةِ! تَجَاهَلَتِ الضِّفْدَعَتَانِ تِلْكَ الصَّيْحَاتِ، وَحَاوَلَتَا الْخُرُوجَ مِنَ الْبِئْرِ بِكُلِّ مَا أُوتِيَتَا مِنْ قُوَّةٍ وَطَاقَةٍ، وَاسْتَمَرَّتِ الضَّفَادِعُ بِالصِّيَاحِ بِهِمَا أَنْ تَتَوَقَّفَا عَنِ الْمُحَاوَلَةِ؛ لِأَنَّهُمَا سَتَمُوتَانِ فِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ لَا مَحَالَةَ.

أَصَابَ إِحْدَى الضِّفْدَعَتَيْنِ الْإِرْهَاقُ وَالْيَأْسُ، فَسَقَطَتْ إِلَى أَسْفَلِ الْبِئْرِ، أَمَّا الضِّفْدَعَةُ الْأُخْرَى فَقَدِ اسْتَمَرَّتْ بِكُلِّ قُوَّتِهَا فِي الصُّعُودِ وَالْقَفْزِ إِلَى أَعْلَى، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى الْحَافَةِ، وَمِنْهَا إِلَى خَارِجِ الْبِئْرِ وَسَطَ دَهْشَةِ الْجَمِيعِ.

سَأَلَتِ الضَّفَادِعُ هَذِهِ الضِّفْدَعَةَ الْبَطَلَةَ:

- أَلَمْ تَكُونِي تَسْمَعِينَ صِيَاحَنَا

شَرَحَتْ لَهُمُ الضِّفْدَعَةُ أَنَّهَا كَانَتْ تَظُنُّ وَهِيَ تُحَاوِلُ الْخُرُوجَ مِنَ الْبِئْرِ، أَنَّ هُتَافَاتِ الضَّفَادِعِ كَانَتْ لِتَشْجِيعِهَا عَلَى الْخُرُوجِ لَا لِتَثْبِيطِهَا. وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ التَّشْجِيعَ يَصْنَعُ الْمُعْجِزَاتِ!

ضَحِكَ الْأَصْدِقَاءُ مِنْ طَرَافَةِ هَذِهِ الْحِكَايَةِ. وَتَسَاءَلَ «مُرَادٌ»:

- مَاذَا سَنَرَى بَعْدَ الضَّفَادِعِ؟

أَجَابَتِ الْخَالَةُ «نُورٌ» قَائِلَةً:

- سَنَتَعَرَّفُ عَلَى «الْحِرْبَاءِ».

عَاشِرًا: الْحِرْبَاءُ

اجْتَمَعَ الْأَصْدِقَاءُ مَعَ الْعَمِّ «حَمْزَةَ» وَالْخَالَةِ «نُورَ» عِنْدَ بَيْتِ الْحِرْبَاءِ، فَقَالَ الْعَمُّ «حَمْزَةُ»:

- نَحْنُ نَحْتَفِظُ فِي هَذَا الْمَكَانِ بِعَدَدٍ مِنْ حَيَوَانِ الْحِرْبَاءِ، وَقَدْ تَمَّ تَوْفِيرُ كُلِّ مُسْتَلْزَمَاتِ حَيَاةِ هَذَا الْحَيَوَانِ الَّذِي بَدَأَ يَنْقَرِضُ مِنْ حَيَاتِنَا شَيْئًا فَشَيْئًا.

وَتُعَدُّ الْحِرْبَاءُ مِنَ الزَّوَاحِفِ الصَّحْرَاوِيَّةِ، وَالَّتِي يُلَائِمُهَا وُجُودُ بَعْضِ الْأَشْجَارِ، حَيْثُ تَنْتَقِلُ خِلَالَهَا بَيْنَ أَغْصَانِ تِلْكَ الْأَشْجَارِ.

وَمِنْ أَهَمِّ مَا يُمَيِّزُهَا أَنَّهَا تُحِبُّ أَنْ تُقَابِلَ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ.

وَأَكْمَلَتِ الْخَالَةُ «نُورُ» الْحَدِيثَ عَنِ الْحِرْبَاءِ، فَقَالَتْ:

- ظَهْرُ الْحِرْبَاءِ بِهِ خُطُوطٌ، وَتُغَطِّيهِ حَرَاشِفُ مُخْتَلِفَةُ الْحَجْمِ، وَرَأْسُهَا كَبِيرٌ نَسْبِيًّا، وَالْحِرْبَاءُ لَهَا أَرْبَعَةُ أَطْرَافٍ، فِي كُلِّ طَرَفٍ خَمْسَةُ أَصَابِعَ، وَتُلَاحِظُونَ أَنَّ الْأُصْبُعَ الرَّابِعَ أَكْثَرُ طُولًا، وَطَبْلَةُ الْأُذُنِ يُمْكِنُ أَنْ تُرَى بِوُضُوحٍ، وَتُغَطِّيهَا بَعْضُ الْحَرَاشِفِ.

التَّصْنِيفُ الْعِلْمِيُّ:

الْمَمْلَكَةُ: الْحَيَوَانِيَّةُ.

الشُّعْبَةُ: الْحَبْلِيَّاتُ.

الرُّتْبَةُ: الْحَرْشَفِيَّاتُ (السَّحَالِي).

أَلْوَانُهَا: تَغْيِيرُ لَوْنِ جِلْدِ الْحِرْبَاءِ لُغَةٌ يَسْتَخْدِمُهَا الْحَيَوَانُ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى التَّلَوُّنِ بِأَلْوَانٍ: الْأَخْضَرِ، الْأَصْفَرِ، الْأَزْرَقِ، الرَّمَادِيِّ، الْأَبْيَضِ.

معلومة نهمك

- الْحِرْبَاءُ حَيَوَانٌ نَهَارِيٌّ، فَهِيَ تَخْرُجُ نَهَارًا بَحْثًا عَنْ غِذَائِهَا، وَهُوَ الْحَشَرَاتُ (النَّمْلُ وَالْخَنَافِسُ وَغَيْرُهُمَا). وَتَسْتَرِيحُ عَلَى أَغْصَانِ الشَّجَيْرَاتِ الْبَرِّيَّةِ مُسْتَقْبِلَةً الشَّمْسَ، وَأَحْيَانًا تَنْزِلُ إِلَى الْأَرْضِ طَلَبًا لِغِذَائِهَا، أَوْ لِتَصْعَدَ شَجَرَةً أُخْرَى.
- تُحِبُّ الْحِرْبَاءُ الْحَيَاةَ فِي الْأَمَاكِنِ الدَّافِئَةِ، وَلِذَا تَعِيشُ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا فِي غَابَاتِ الْهِنْدِ وَأَفْرِيقْيَا.

عِنْدَئِذٍ خَرَجَ حَيَوَانُ الحِرْبَاءِ مِنْ خَلْفِ وَرَقَةِ شَجَرَةٍ، فَشَاهَدَهُ الْأَصْدِقَاءُ بِوُضُوحٍ، فَأَصْدَرَ «مُرَادٌ» صَوْتًا مَعَ حَرَكَةٍ مُفَاجِئَةٍ، فَإِذَا بِالحِرْبَاءِ تَهْرُبُ وَتَخْتَفِي خَلْفَ أَحَدِ الْأَغْصَانِ، ثُمَّ فَغَرَتْ فَاهَا بِشَكْلٍ مُفْزِعٍ، حَيْثُ ظَهَرَ لَوْنُ فَمِهَا بِاللَّوْنِ البُرْتُقَالِيِّ؛ لِتُخِيفَ كُلَّ مَنْ تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ بِالِاقْتِرَابِ مِنْهَا.

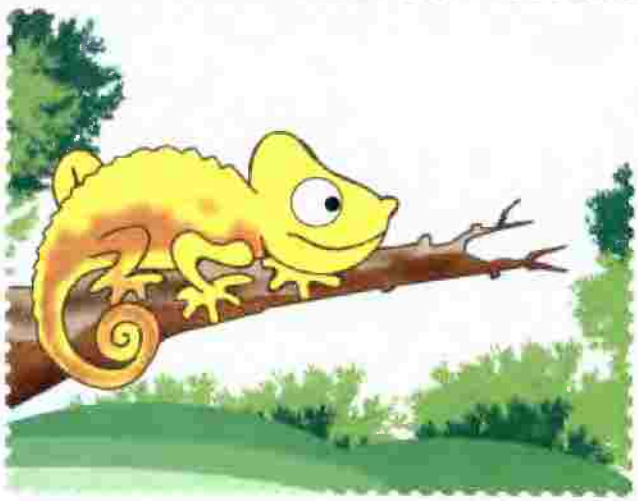

وَهُنَا ضَحِكَ الْأَصْدِقَاءُ فِي خَوْفٍ، وَتَسَاءَلَتْ «شَهْدٌ» قَائِلَةً:

- هَلْ حَيَوَانُ الحِرْبَاءِ سَامٌّ كَالثُّعْبَانِ؟

أَجَابَ الْعَمُّ «حَمْزَةُ» قَائِلًا:

- لَا.. الحِرْبَاءُ غَيْرُ سَامَّةٍ أَبَدًا، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَعَضُّ دِفَاعًا عَنْ نَفْسِهَا.

قَالَ «نَدِيمٌ» مُتَسَائِلًا:

- وَمَاذَا عَنِ التَّكَاثُرِ لَدَى الحِرْبَاءِ؟

أَجَابَتِ الْخَالَةُ «نُورُ» قَائِلَةً:

- عِنْدَمَا تَتِمُّ عَمَلِيَّةُ التَّزَاوُجِ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى تَضَعُ أُنْثَى الْحِرْبَاءِ

وَهِيَ تُجِيدُ تَسَلُّقَ الْأَشْجَارِ؛ لِأَنَّ لَهَا مَخَالِبَ خَاصَّةً تُسَاعِدُهَا عَلَى التَّعَلُّقِ بِفُرُوعِ الْأَشْجَارِ.

الْحِرْبَاءُ مِنْ ذَوَاتِ الدَّمِ الْبَارِدِ، أَيْ أَنَّ دَرَجَةَ حَرَارَةِ جِسْمِهَا تَتَغَيَّرُ بِحَسَبِ دَرَجَةِ حَرَارَةِ الْبِيئَةِ مِنْ حَوْلِهَا، لِذَلِكَ فَإِنَّهَا نَهَارًا تَسْتَقْبِلُ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ لِتَنْشِيطِ وَظَائِفِهَا الفِسْيُولُوجِيَّةِ، وَفِي اللَّيْلِ تَتَوَقَّفُ عَنْ كُلِّ نَشَاطٍ.

تُعْتَبَرُ جَزِيرَةُ «مَدْغَشْقَر» الْأَفْرِيقِيَّةُ مِنْ أَكْبَرِ الْجُزُرِ فِي الْعَالَمِ، وَتَتَمَيَّزُ بِحَيَوَانَاتٍ وَنَبَاتَاتٍ نَادِرَةٍ، وَإِذَا كَانَتْ أَنْوَاعُ

الْبَيْضَ (مِنْ 8 إِلَى 12 بَيْضَةً) فِي حُفْرَةٍ فِي الرَّمْلِ، وَيَفْقِسَ هَذَا الْبَيْضُ بَعْدَ مُرُورِ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، حَيْثُ تَخْرُجُ صِغَارُ الْحِرْبَاءِ، الَّتِي تَصْعَدُ مُبَاشَرَةً إِلَى أَعْلَى الشَّجَرَةِ؛ حَتَّى تَشْعُرَ بِالْأَمَانِ. وَهِيَ تَعْرِفُ بِالْفِطْرَةِ كَيْفَ تَجِدُ طَعَامَهَا، وَكَيْفَ تَجِدُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُهُ.

تَسَاءَلَتْ «نَدَى» قَائِلَةً:

- عَيْنَا الْحِرْبَاءِ ذَاتُ شَكْلٍ غَرِيبٍ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

رَدَّ الْعَمُّ «حَمْزَةُ» قَائِلًا:

- بَلَى.. حَيْثُ يُغَطِّي عَيْنَ الْحِرْبَاءِ جَفْنٌ سَمِيكٌ لِحِمَايَتِهَا، وَيَتَمَيَّزُ نَظَرُ الْحِرْبَاءِ بِمَيْزَةٍ عَجِيبَةٍ، وَهِيَ أَنَّهَا تَسْتَطِيعُ الرُّؤْيَةَ بِمَدَى 180 دَرَجَةً أُفُقِيَّةً، أَيْ أَنَّهَا تَسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ الْيَمِينِ وَالْيَسَارِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ، وَتَنْظُرُ لِأَعْلَى بِزَاوِيَةِ 90 دَرَجَةً، وَهَذَا يُعْطِي الْحِرْبَاءَ فُرْصَةَ النَّظَرِ لِأَعْلَى، وَأَنْ تَنْظُرَ لِلْخَلْفِ بِدُونِ أَنْ تُحَرِّكَ رَأْسَهَا.

لَاحَظَ «مُعَاذٌ» أَنَّ الْحِرْبَاءَ تُغْمِضُ عَيْنَيْهَا، فَقَالَ:

معلومة تهمك

الْحِرْبَاءِ فِي الْعَالَمِ تُقَدَّرُ بِـ 130 نَوْعًا، فَإِنَّ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ وَحْدَهَا تَضُمُّ نِصْفَ هَذَا الْعَدَدِ، أَيْ أَنَّ بِهَا 65 نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْحِرْبَاءِ.

يَبْلُغُ مُتَوَسِّطُ طُولِ الْحِرْبَاءِ حَوَالَيْ 29 سَنْتِيمِتْرًا: طُولُ الْجِسْمِ بِدُونِ الذَّيْلِ 10,5 سَنْتِيمِتْرٍ، وَطُولُ الذَّيْلِ 18,5 سَنْتِيمِتْرٍ، أَمَّا طُولُ اللِّسَانِ فَيُسَاوِي طُولَ الْجِسْمِ.

- هَلْ تَمِيلُ الْحِرْبَاءُ إِلَى أَنْ تَنَامَ وَهِيَ وَاقِفَةٌ عَلَى فَرْعِ شَجَرَةٍ؟

ابْتَسَمَتِ الخَالَةُ «نُورُ» وَقَالَتْ:

- الْحِرْبَاءُ الَّتِي تَرَاهَا يَا بُنَيَّ تَغُطُّ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ، أَوْ سُبَاتٍ يَذْهَبُ بِهَا إِلَى الِابْتِعَادِ عَنْ كُلِّ مَا يُثِيرُ الْإِحْسَاسَ وَالْمَشَاعِرَ، لِذَلِكَ نَجِدُ الْكَثِيرَ مِنْ أَنْوَاعِهَا تَنْطَوِي عَلَى نَفْسِهَا.

قَالَتْ «فَرِيدَةُ» فِي شَغَفٍ وَحُبِّ اسْتِطْلَاعٍ:

- عَمِّ «حَمْزَةَ».. حَدِّثْنَا عَنْ تَغَيُّرِ لَوْنِ جِلْدِ الْحِرْبَاءِ؟

ابْتَسَمَ الْعَمُّ «حَمْزَةُ» وَقَالَ:

- حَسَنًا.. بِاسْتِطَاعَةِ كَافَّةِ أَنْوَاعِ الْحِرْبَاءِ أَنْ تُغَيِّرَ لَوْنَ جِلْدِهَا إِلَى أَلْوَانٍ عَدِيدَةٍ. إِنَّ لُغَةَ الْأَلْوَانِ هِيَ عِمَادُ حَيَاةِ الْحِرْبَاءِ؛ فَكُلُّ لَوْنٍ بَلْ وَكُلُّ دَرَجَةٍ لَوْنِيَّةٍ، لَهُ دَلَالَةٌ وَمَعْنًى يُتِيحَانِ لِلْحِرْبَاءِ التَّصَرُّفَ مَعَ بِيئَتِهَا.

فَعِنْدَمَا تَتَلَوَّنُ الحِرْبَاءُ بِاللَّوْنِ الْأَخْضَرِ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الوَضْعَ فِي بِيئَتِهَا هَادِئٌ وَمُرِيحٌ.

وَإِذَا تَلَوَّنَتْ بِاللَّوْنِ الْأَصْفَرِ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهَا فِي حَالَةِ قَلَقٍ وَتَوَتُّرٍ عَصَبِيٍّ، فَقَدْ يَكُونُ هُنَاكَ أَحَدُ الْأَعْدَاءِ يَقْتَرِبُ، أَوْ قَدْ تَكُونُ جَائِعَةً وَلَمْ تَجِدْ بَعْدُ فَرِيسَةً تَسُدُّ جُوعَهَا.

أَمَّا اللَّوْنُ الْأَزْرَقُ فَيَعْنِي أَنَّ الحِرْبَاءَ تَغُطُّ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ؛ لِتَبْتَعِدَ عَنْ كُلِّ مَا يُثِيرَ أَحَاسِيسَهَا.

قَالَتْ «شَهْدٌ»:

- قَرَأْتُ فِي إِحْدَى الْمَجَلَّاتِ أَنَّ الحِرْبَاءَ تَلْجَأُ إِلَى تَغْيِيرِ لَوْنِ جِلْدِهَا؛ حَتَّى تَخْتَفِيَ عَنْ أَعْيُنِ أَعْدَائِهَا، فَهَلْ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتُ صَحِيحَةٌ؟

أَجَابَ الْعَمُّ «حَمْزَةُ» قَائِلًا:

- نَعَمْ.. هَذِهِ الْمَعْلُومَةُ صَحِيحَةٌ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ؛ فَالْحِرْبَاءُ عِنْدَمَا تُوَاجِهُ عَدُوًّا مِنَ الْأَعْدَاءِ يُمْكِنُ أَنْ تَصْبُغَ خَلَايَاهَا الْجِلْدِيَّةَ بِصِبْغَةٍ غَامِقَةٍ، الْأَمْرُ الَّذِي يُسَاعِدُهَا عَلَى التَّمَلُّصِ مِنْ هَذَا الْعَدُوِّ.

وَيَحْدُثُ الْعَكْسُ تَمَامًا فِي مَوْسِمِ التَّزَاوُجِ؛ حَيْثُ يَبْدُو ذَكَرُ الحِرْبَاءِ لَامِعًا لِاجْتِذَابِ الْأُنْثَى بِغَرَضِ التَّزَاوُجِ.

ابْتَسَمَتِ الْخَالَةُ «نُورُ» وَقَالَتْ:

- أَعْرِفُ إِحْدَى الحِكَايَاتِ عَنِ الْحِرْبَاءِ.

سَعِدَ الْأَصْدِقَاءُ بِذَلِكَ، وَأَبْدَى الْجَمِيعُ رَغْبَتَهُمْ فِي سَمَاعِ تِلْكَ الْحِكَايَةِ، فَقَالَتِ الْخَالَةُ «نُورُ»:

- عَلَى إِحْدَى الْجُزُرِ الْمُطِلَّةِ عَلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ.. عَاشَتْ فِي سَعَادَةٍ أُسْرَةُ «رَانُو»، وَالْمُكَوَّنَةُ مِنَ الْأَبِ «رَانُو» وَالْأُمِّ «دِيمَا» وَابْنَتِهِمَا الْجَمِيلَةِ «سَالِي»، وَالَّتِي أَصْبَحَتْ عَرُوسًا تَنْتَظِرُ فَارِسَ الْأَحْلَامِ.

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ أَقْبَلَتْ عَلَى مَرْسَى الْجَزِيرَةِ سَفِينَةٌ تِجَارِيَّةٌ كَبِيرَةٌ، يَقُودُهَا ابْنُ كَبِيرِ التُّجَّارِ الشَّابُّ الْبَحَّارُ، الَّذِي يُدْعَى «شَانْدُو». وَبَيْنَمَا كَانَ «شَانْدُو» يَسِيرُ فِي أَسْوَاقِ الْجَزِيرَةِ شَاهَدَ الْفَتَاةَ الْجَمِيلَةَ «سَالِي»، فَأُعْجِبَ بِهَا وَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِجَمَالِهَا، فَاتَّجَهَ إِلَى بَيْتِهَا، وَقَابَلَ وَالِدَيْهَا كَيْ يَخْطُبَهَا، وَقَدَّمَ لَهُمَا الْهَدَايَا وَزَادَ فِي الْعَطَايَا، فَسَعِدَ الْوَالِدَانِ بِهَذَا الشَّابِّ الْكَرِيمِ، وَالَّتِي تَدُلُّ سِمَاتُ وَجْهِهِ عَلَى الْأَصَالَةِ وَنُبْلِ الْأَخْلَاقِ، فَوَافَقَا عَلَى هَذَا الزَّوَاجِ.

أَبْلَغَ «شَانْدُو» أَصْحَابَهُ فِي السَّفِينَةِ التِّجَارِيَّةِ بِأَنَّهُ سَيَبْقَى فِي الْجَزِيرَةِ لِيَتَزَوَّجَ مِنَ الْفَتَاةِ الَّتِي أَسْعَدَتْ قَلْبَهُ، وَأَنَّ عَلَيْهِمُ الْعَوْدَةَ إِلَى بَلَدِهِمْ وَإِحْضَارِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَإِخْوَتِهِ وَأَهْلِهِ لِلِاحْتِفَالِ بِهَذَا الزَّوَاجِ. وَبِالْفِعْلِ غَادَرَتِ السَّفِينَةُ التِّجَارِيَّةُ الْجَزِيرَةَ لِتَنْفِيذِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ الْقُبْطَانُ «شَانْدُو».

وَهُنَا ظَهَرَتِ الْعَجُوزُ «كُوَالا»، وَهِيَ سَاحِرَةٌ شِرِّيرَةٌ يَخْشَى شُرُورَهَا كُلُّ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ. ذَهَبَتْ «كُوَالا»، وَهِيَ تَتَوَكَّأُ عَلَى عَصًا إِلَى بَيْتِ «سَالِي» وَوَالِدَيْهَا «رَانُو» وَ«دِيمَا». وَمَا إِنْ رَأَوْهَا حَتَّى اسْتَعَاذُوا بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. قَالَتْ لَهُمْ «كُوَالا»:

- عَلِمْتُ أَنَّ شَابًّا غَرِيبًا عَنِ الْجَزِيرَةِ قَدْ تَقَدَّمَ لِابْنَتِكُمَا الْجَمِيلَةِ «سَالِي» كَيْ يَتَزَوَّجَهَا، وَهَذَا الزَّوَاجُ لَنْ يَتِمَّ؛ لِأَنَّ الَّذِي سَيَتَزَوَّجُ «سَالِي» هُوَ ابْنِي «فَلْحُوص».

وَفِي انْزِعَاجٍ وَرُعْبٍ صَرَخَ الْأَبُ «رَانُو» قَائِلًا:

- «فَلْحُوص»، الْقَزَمُ الْمَمْسُوخُ!

ضَحِكَتْ «كُوَالا» الشِّرِّيرَةُ، وَقَالَتْ:

- نَعَمْ.. فَلَنْ تَتَزَوَّجَ ابْنَتُكُمَا إِلَّا مِنِ ابْنِي.. وَإِلَّا...

قَالَتِ الْعَجُوزُ الشِّرِّيرَةُ كَلِمَتَهَا التَّحْذِيرِيَّةَ، وَغَادَرَتِ الْبَيْتَ وَهِيَ تَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَاهَا.

انْتَابَتِ الْأُسْرَةَ حَالَةٌ مِنَ الْحُزْنِ وَالْخَوْفِ، وَأَخَذَتْ «سَالِي» تَبْكِي هَذَا الْمَصِيرَ الَّذِي سَتَؤُولُ إِلَيْهِ بِزَوَاجِهَا مِنَ الْقَزَمِ الْمَمْسُوخِ «فَلْحُوص».

وَعِنْدَمَا عَلِمَ «شَانْدُو» بِتَهْدِيدِ السَّاحِرَةِ الشِّرِّيرَةِ، طَمْأَنَ الْأَبَ وَالْأُمَّ وَ«سَالِي» قَائِلًا:

- إِنَّ هَـذَا التَّهْدِيـدَ لَا يَعْنِي لَهُ أَيَّ شَـيْءٍ، وَأَنَّهُ لَيْسَـتْ هُنَاكَ قُوَّةٌ فِي الْعَالَـمِ قَدْ تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ «سَالِي»، وَتَرَكَهُمْ وَذَهَبَ إِلَى كُوخِ السَّاحِرَةِ الَّذِي يَقَعُ عَلَى أَطْرَافِ الْجَزِيرَةِ.

وَمَا إِنْ دَخَلَ «شَانْدُو» عَلَى الْعَجُوزِ «كُوَالا» حَتَّى أَبْلَغَهَا فِي تَحَدٍّ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي سَيَتَزَوَّجُ «سَالِي»، وَلَيْسَ وَلَدُهَا القَزَمُ. ضَحِكَتِ الْعَجُوزُ الشِّرِّيرَةُ وَقَالَتْ:

- لَنْ تَتَزَوَّجَهَا مَا دُمْتُ أَنَا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَأَتَحَدَّاكَ أَيُّهَا الشَّابُّ الْمَغْرُورُ.

قَالَ «شَانْدُو»:

- وَأَنَا أَتَحَدَّاكِ أَيَّتُهَا العَجُوزُ الشِّرِّيرَةُ.

وَفِي الْحَالِ أَطْلَقَتْ «كُوَالا» تَعَاوِيذَ الْأَسْحَارِ، وَأَوْقَدَتْ مِنْ حَوْلِهَا النَّارَ، وَنَطَقَتْ كَمَا يَنْطِقُ الْأَشْرَارُ، وَصَرَخَتْ قَائِلَةً:

- أَيَّتُهَا الْجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ النُّبَلَاءُ، حَوِّلُوا هَذَا الشَّابَّ إِلَى حِرْبَاءَ.

وَمَا إِنِ انْتَهَتِ الْعَجُوزُ مِنْ كَلَامِهَا، حَتَّى تَحَوَّلَ «شَانْدُو» فِي الْحَالِ إِلَى حِرْبَاءَ تَقِفُ عَلَى الرِّمَالِ! فَحَمَلَتْهُ السَّاحِرَةُ بَيْنَ يَدَيْهَا وَهِيَ تَضْحَكُ ضَحِكَاتِ النَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى الغَابَةِ وَوَضَعَتْهُ عَلَى فُرُوعِ الْأَشْجَارِ، وَقَالَتْ:

- هُنَا تَجْلِسُ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ، وَلَنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ مَكَانَكَ، وَسَـأَذْهَبُ لِلِاسْتِعْدَادِ لِزَوَاجِ ابْنَتِي «فُلْحُوص» مِنَ الْجَمِيلَةِ «سَالِي».

وَقَـفَ «شَـانْدُو» فِي صُورَتِـهِ الْجَدِيدَةِ ـ صُورَةِ الْحِرْبَـاءِ ـ عَلَى أَحَدِ أَفْرُعِ الْأَشْـجَارِ فِي الْغَابَةِ، وَهُوَ لَا يَدْرِي مَاذَا يَصْنَعُ. وَهُنَا اقْتَرَبَتْ حِرْبَاءُ حَقِيقِيَّةٌ مِنْ «شَانْدُو» وَقَالَتْ:

- أُخْتِي الْعَزِيزَةَ.. أَنَا هُنَا مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ، وَلَكِنَّنِي لَمْ أَرَكِ قَبْلَ الْيَوْمِ.. فَمَنْ تَكُونِينَ؟

قَالَ لَهَا «شَانْدُو»:

- أَنَا لَسْتُ حِرْبَاءَ.. أَنَا إِنْسَانٌ واسْمِي «شَانْدُو»، وَلَقَدْ سَحَرَتْنِي العَجُوزُ الشِّرِّيرَةُ «كُوَالا» إِلَى هَذِهِ الصُّورَةِ الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا الْآنَ.

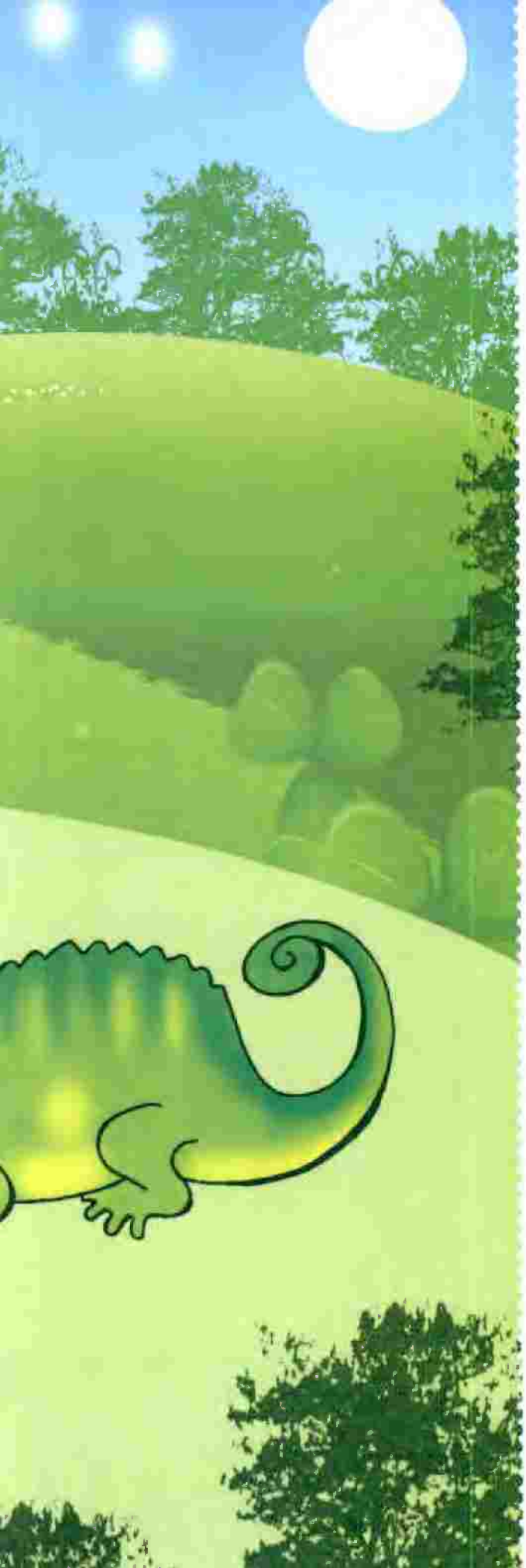

انْزَعَجَتِ الْحِرْبَاءُ مِنْ كَلَامِ «شَانْدُو»، وَعَقَدَتِ اجْتِمَاعًا عَاجِلًا مَعَ كِبَارِ جَمَاعَتِهَا، وَحَكَتْ لَهُمْ حِكَايَةَ الشَّابِّ «شَانْدُو» الَّذِي سَحَرَتْهُ العَجُوزُ الشِّرِّيرَةُ «كُوَالا» إِلَى حِرْبَاءَ، فَقَالَ كَبِيرُهُمْ بَعْدَ تَفْكِيرٍ وَتَأَنٍّ:

- الْحَلُّ لِهَذِهِ الْمُشْكِلَةِ يَكْمُنُ فِي الْقَضَاءِ عَلَى الْعَجُوزِ الشِّرِّيرَةِ وَوَلَدِهَا، فَيَبْطُلُ السِّحْرُ وَيَعُودُ «شَانْدُو» إِلَى صُورَتِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

قَالَتْ حِرْبَاءُ أُخْرَى مُتَسَائِلَةً:

- وَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى التَّخَلُّصِ مِنْ هَذِهِ الشِّرِّيرَةِ وَوَلَدِهَا؟

قَالَ الْكَبِيرُ:

- أَنَا عِنْدِي الْحَلُّ.. لِي ثُعْبَانٌ صَدِيقٌ، بَيْنِي وَبَيْنَهُ عُهُودٌ وَمَوَاثِيقُ. سَأَحْكِي لَهُ حِكَايَةَ الشَّابِّ «شَانْدُو»، وَسَأُحَرِّضُهُ وَأَدْفَعُهُ نَاحِيَةَ الْعَجُوزِ الشِّرِّيرَةِ لِيَلْدَغَهَا هِيَ وَابْنَهَا؛ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ شُرُورِهِمَا.

سَعِدَتِ الحَرَابِيُّ المُجْتَمِعَةُ بِهَذَا الحَلِّ، وَذَهَبَ كَبِيرُهَا لِيُقَابِلَ الثُّعْبَانَ.

وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى بَحَثَتْ عَائِلَةُ «رَانْو» وَ«دِيمَا» وَ«سَالِي» عَنْ «شَانْدُو» فَلَمْ يَعْثُرُوا عَلَيْهِ، وَحَاوَلَ بَعْضُ أَقَارِبِهِمُ الْبَحْثَ عَنْهُ دُونَ جَدْوَى، فَأَيْقَنُوا جَمِيعًا أَنَّ «شَانْدُو» تَعَرَّضَ لِكَارِثَةٍ سَبَّبَتْهَا الْعَجُوزُ الشِّرِّيرَةُ السَّاحِرَةُ «كُوَالا». فَعَمَّ الْحُزْنُ الْجَمِيعَ، وَلَمْ تَكُفَّ «سَالِي» عَنِ الْبُكَاءِ.

الْتَقَى كَبِيرُ الْحَرَابِيِّ بِصَدِيقِهِ الثُّعْبَانِ، وَحَكَى لَهُ حِكَايَةَ الْإِنْسَانِ «شَانْدُو»، وَأَفْهَمَهُ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ تَخْلِيصَ حَيَاتِهِ بِالْقَضَاءِ عَلَى الشِّرِّيرَةِ «كُوَالا» وَابْنِهَا «فَلْحُوص»، وَأَنَّ كُوخَهُمَا فِي أَطْرَافِ الْجَزِيرَةِ.

قَالَ الثُّعْبَانُ:

- اطْمَئِنَّ يَا صَدِيقِي، سَأُنَفِّذُ مَا طَلَبْتَهُ مِنِّي فِي الْحَالِ.

وَفِي التَّوِّ وَاللَّحْظَةِ أَسْرَعَ الثُّعْبَانُ إِلَى كُوخِ الشِّرِّيرَةِ وَابْنِهَا، وَعِنْدَمَا دَخَلَ عَلَيْهِمَا كَانَا نَائِمَيْنِ، فَلَدَغَ «كُوَالا» لَدْغَةً مَاتَتْ عَلَى إِثْرِهَا فِي الْحَالِ، وَلَدَغَ ابْنَهَا «فَلْحُوص» كَذَلِكَ، فَلَحِقَ بِأُمِّهِ.

وَفِي اللَّحْظَةِ نَفْسِهَا الَّتِي مَاتَتْ فِيهَا «كُوَالا» عَادَ «شَانْدُو» إِلَى صُورَتِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَذَهَبَ مُسْرِعًا إِلَى حَبِيبَتِهِ «سَالِي» وَوَالِدَيْهَا، فَفَرِحَ الْجَمِيعُ بِعَوْدَةِ الشَّابِّ، وَجَاءَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ السَّفِينَةَ التِّجَارِيَّةَ الَّتِي عَلَيْهَا أَهْلُ «شَانْدُو» وَصَلَتِ الْجَزِيرَةَ، فَعَمَّتِ الْجَزِيرَةَ الْأَفْرَاحُ، وَأُقِيمَ حَفْلُ زَوَاجِ «شَانْدُو» بِالْجَمِيلَةِ «سَالِي».

وَفِي النِّهَايَةِ احْتَفَلَتِ الْحَرَابِيُّ مَعَ صَدِيقِهِمُ الثُّعْبَانِ بِهَذِهِ النَّتِيجَةِ السَّارَّةِ.

سَعِدَ الْأَصْدِقَاءُ بِحِكَايَةِ الْخَالَةِ «نُور»، وَقَدَّمُوا الشُّكْرَ لَهَا وَلِلْعَمِّ «حَمْزَة» عَلَى كُلِّ مَا اسْتَفَادُوهُ مِنْ مَعْلُومَاتٍ وَمَعَارِفَ وَحِكَايَاتٍ عَنِ «الضَّفْدَعَةِ» وَ«الْحِرْبَاءِ»، وَشَكَرُوهُمَا كَثِيرًا عَلَى كَرَمِ الضِّيَافَةِ، وَوَعَدُوهُمَا بِتَكْرَارِ الزِّيَارَةِ؛ لِلتَّعَرُّفِ عَلَى بَقِيَّةِ حَيَوَانَاتِ الْمَزْرَعَةِ.